

الجزء الأول والثاني | المجلد الحادي والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٦ م
صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٥ هـ



دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي — في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً — وفي جميع الأقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق

أغلاط الافرنج

من نظر في كتب من يعالجون من الافرنج مسائل المسلمين والاسلام يقع فيما دونوه على أغلاط مستغربة قد تدعو الى سوء الظن بجثهم ودرسهم . وتكثر هذه الأغلاط وتقلُّ بحسب بعد المؤلف وقربه من ديار الاسلام . وأقل الكاتبين غلطاً في هذا المعنى علماء المشرقيات فانهم ينصرفون الى دراسة بعض لغات الشرق وقد يعاشرون بعض العرب والمسلمين ويرحلون الى اصقاعهم فيعرفونها معرفة لا بأس بها ويبتعدون عن ارتكاب الفاحش من الأغلاط ، وخاصة اذا لم يكن لهم ضلع في السياسة .

وتنقسم هذه الأغلاط الى أقسام منها الغلط اللفظي ومنها الغلط الفكري او الحسي . ومنها ما ينشأ عن جهل الكاتب موضوعه كأن يرجع الى كتب ضعاف المؤلفين عندهم من مثل ارباب الرحلات المرتجلة والقصص الملفقة وكتابات المؤرخين المستأجرين والصحافيين المهرجين ممن يهمهم قبل كل أمر ان يحملوا الى قرائهم كل غريب فان لم يجدوا اخترعوا ما تمليه عليهم مخيلاتهم وأوردوه في معرض الحقائق . ومنها الخطأ العمد وهذا يسوق اليه التعصب الديني أو الغرض السياسي أو كلاهما معاً . وهذا الضرب من الأغلاط يكثر في الأمم اللاتينية أكثر من غيرهم وهي منبعثة فيهم عن احقاد قديمة متوارثة ونتيجة لازمة لقلة عنايتهم بالتحقيق والتدقيق . ولا يتأتى في هذه العجالة استقصاء ما حملته كتبهم ومجلاتهم من هذا القبيل ولذلك نجتزيء بإيراد أمثلة منها يستدل الناظر البصير على مبلغ مؤلفيها من البحث .

فمن أقدم هذه الأغلاط محاولة الصاق حريق مكتبة الاسكندرية بعمر بن الخطاب ليذهبوا من ذلك الى ان الاسلام دين تخريب . وهذه الخزانة أُحرقت بالتحقيق قبل الاسلام بقرنين ، وكان واضع هذه الأسطورة السمجة راهب شرقي فتلقفها دعاة التعصب في الغرب كأنها رحمة نزلت عليهم من السماء . وقد

رد هذه الفرية جهابذة النقد من الغربيين لعهدنا بعد ان راجت قروناً عند عامتهم ومن في حكمهم من المؤلفين ·

ومن أغلاط الفكر المتعمدة ماروجه الآباء اليسوعيون للحط من قدر الاسلام وكانوا كيف داروا يختلقون ما لا أثر له إلا في أدمغتهم · وقد رددنا على بعض أغلاطهم فيما آزرنا فيه من المجلات وفي بعض ما ألفناه من الكتب · وفي مقدمة من كتب له التميز في هذا الباب عميدهم الأب هنري لامنس فانه صرف عمراً طويلاً في الطعن في الاسلام والعرب حتى دعوه في أوربا المؤرخ المتحزب وأصبح العارفون هناك يأخذون كل قول له بتحرز شديد لأن الغرض ظهر على كل ما كتب · وقد تقدمنا في المجلد الثاني والسادس والسابع من هذه المجلة ما ارتكبه من الأغلاط في تأليفه موجز تاريخ سورية (بالفرنسية) وأتينا على تزييف ما شوه به وجه معلمة الاسلام Encyclopédie de l'Islam من المقالات النابية عن حد العقل والعدل · ومن قرأ مقالاته في هذه المعلمة وهي من أصح ما كتبه علماء المشرقيات في الشرق الاسلامي وعارضها بما كتبه غيره ممن لا مأرب لهم غير ذكر الواقع يعرف مبلغ افتئاته على تاريخنا وشرعنا وصاحبه وصحابته ، وكأنه آلى على نفسه أن يهدم ولا يبني ، وينكر ولا يثبت ، ويهرج ولا يمحص ·

ومن أغلاط الفكر الناشئة بالضرورة عن تعصب متأصل قول مؤلف تاريخ اسبانيا Walteufel : Esquisse de l'histoire d'Espagne ان هؤلاء العرب المتعصبين الذين أمرهم نبيهم ان يحملوا على الكفار ويذبحوهم ليرضى عنهم خالقهم ! قد ساروا مع النصارى من سكان ابيريا (أهل اسبانيا) بتسامح عجيب فأطلقوا لهم الحرية في دينهم وكانوا يحترمون معابدهم ويحفظونهم في أموالهم وأنفسهم ، وهو مثال من الحكم قلما جرى عليه الفاتحون ويكفي أن نذكر ما أتاه النورميون النصارى اصحاب غليوم الفاتح واتباعه حتى القرن الرابع عشر من ظلم السكسونيين اهل دينهم وما ارتكبوه في اخلافهم من الفظائع ·

هذا ما قاله ونحن نرى انه كذب في حكمه على الرسول وصدق في قوله بأن المسلمين في الأندلس عاملوا نصاراها معاملة لم يقع لغالب ان عامل بها المغلوبين ، والأرجح أنه بنى حكمه في صاحب الرسالة على ماتلاه في بعض كتب رهبان القرون الوسطى وعما انتقل اليه في الدم من اجداده الذين كان من أهم مظاهرهم بغضة الاسلام وانكار فضل العرب . وحكم على تساهل المسلمين في الأندلس بأقوال المؤرخين المعاصرين وكان في حكميه مقلداً . ثم عاد لمكان التعصب من نفسه فأخذ بعد فقرات قليلة يصغر من شأن العرب في الأندلس ويقول انه لم ينشأ منهم سوى قليل من النبغاء من عيار ابن رشد . وليته قال لنا كم من فيلسوف اخرجت اسبانيا النصرانية في طويل عمرها ، واظن أمماً كثيرة وكبيرة لم تخرج نصف عيار ابن رشد . ولو قرأ المؤلف كتاباً واحدا من الكتب المعتمدة في التاريخ لخجل ان ينسب ما نسب الى محمد بن عبد الله الرسول العربي الأُمي من الشدة على غير أهل دينه ولعلم انه أوصى بأهل الذمة في كل فرصة ، وكذلك فعل اصحابه بعده ومن بعدهم . ولو كان حض على ارهاق النصارى وذبحهم كما زعم ذاك المؤلف كيف يجسر اخلافه ولو بعد قرون ان يخالفوا هديه ويعمدوا الى محاسنة النصارى ؟ هراء أملته عقول ضيقة لا تستحق ان انصفنا ان يُرد عليها . وما ورد في الكتاب العزيز من الحث على قتال الكفار فانه قصد بهم مشركي العرب لا أهل الكتاب كما هو ظاهر لمن يقرأ القرآن ويفهمه .

ومن أغلاط الحس المنبعثة من استقراء ناقص ولا يليق صدوره من فيلسوف مثل رنان — وهو الرجل الذي طالما أعجب بمدنية العرب وما في الاسلام من فضائل وود لو يسلم لما رأى خشوع المسلمين في صلاتهم — ما اصدره من حكم جائر على المسلمين كافة في كتابه بعثة فينيقية Mission de Phénicie لما جاء الشام سنة ١٨٦٠ ليجري حفريات في جزيرة ارواد فرأى من سكانها بعض غلظة فقال ان المسلمين كلهم منحطون وكال لنا بالكيل الوافي بما شاهده من سوء معاملة صيادين فقراء أساءوا معاملته على ما ادعى .

ومن الغلطات الناشئة عن جهل على ما يظهر قول توفنر في كتاب فلسفة الحضارة Towner : Histoire de la civilisation ان خلفاء المغرب (يعني بني أمية في الأندلس) ساروا على مذهب علي رابع خلفاء محمد (أي كانوا علويين !) ٠ والغالب انه نقل هذا عن جيبون في كتابه عظمة المملكة الرومانية وانحطاطها ٠ ومما أخذ عنه توفنر ايضاً ان علياً كان وزير محمد وهو شاب لم يتجاوز الرابعة عشرة من سنه ٠ ولتوفنر هذا غلطات غير مقصودة نشأت فيما رأينا من ضعف استنتاج مثل قوله ان الفاتحين من العرب في ديار الغرب كانوا من أبناء النصرانيات اللائي تزوجن من غير المسلمين فأخذوا منهن أطهر ما في الدم المسيحي ، ولئن دانوا بالاسلام وهم عرب بألسنتهم واسمائهم وأصول آبائهم فانهم لم يكن في دمهم من الدم العربي غير واحد من ستة عشر فقط ٠ ومثل هذا قوله ان المسلمين على ارجح الظن صلوا الى شمالي افريقية ألفوا شرب الخمر وزاد غرامهم بالخمرة لما بلغوا اسبانيا ٠ وأغرب من هذا وذاك دعواه ان المسلمين لما كانوا يتعاطون الخمور فتحوا العالم فلما استعاضوا عنها بشرب القهوة تراجع أمرهم !

ولو درس هذا المؤلف تاريخ المسلمين كما درسه صاحب حاضر العالم الاسلامي لوثروب ستودارد الأميركي ولم يكتب كتابه حتى تلقى تاريخ الاسلام بضع سنين على أستاذ يحسن أخذ التاريخ من الكتب العربية مباشرة لكان ادرك انه لم يكن احد من المسلمين يجرأ على تعاطي الخمر في القرن الأول وبعده إلا في سر ذلك لأن الشدة في إقامة الحدود كانت بالغة المبالغ ٠ وهذا النوع من المبالغة مثل مبالغته فيما نقله عن يونغ من ان الجيش الاسلامي الذي غزا فرنسا سنة ٧٣١ م كان خمسمائة الف على الأقل ، وهذا العدد لم تصل اليه دولة من دول العرب لأن الجيش العربي الذي فتح الأندلس كلها لم يتجاوز الاثني عشر ألفاً ومهما غلونا في تقدير جيش العرب يوم بواتيه فلا يتأتى لنا إبلاغه الى خمسين ألفاً ٠ على أن سينوبوس المؤرخ يقول في كتابه التاريخ السليم للأمة الفرنسية Seignobos : Histoire sincère de la nation Française

ان أخبار انتصارات شارل (مارتيل) على المسلمين في بواتيه لم تصل الينا إلا من طريق ضعيفة الثقة وليس من المؤكد كما زعموا انه أنجى اوربا من غارة العرب والعرب ما كانوا يريدون الاقامة إلا في الجنوب وجاءوا بواتية آيبين من غزوتهم في تور وقد حالت الحرب الأهلية التي نشبت بين العرب والبربر دون هذه الاقامة ·

ومن أغلاط اللفظ أو الترجمة ما قاله صاحب كتاب المرامي الاستقلالية في اوربا Les aspirations autonomiques en Europe عند الكلام على المغلوبين على أمرهم في الصرب انه تتألف منهم الرعية وفسر الرعية بالماشية وقال انها مواشي حقيرة وجديرة بالاحتقار · وليس من المعقول ان تطلق دولة على رعاياها اسم الماشية او السائمة فان المترجم اختار اصل المعنى اللغوي وبنى عليه وهو غير صواب · وفي « اللسان » الرعية (والجمع الرعايا) الماشية الراعية أو المرعية والراعي الوالي والرعية العامة · وهذا هو المقصود ، وقد جرت على الألسن كلمة الراعي والرعية مقرونين معاً عندما يراد اطلاق هذين اللفظين على الرئيس والمرؤوس والحاكم والمحكوم عليه ·

ومن مضحكات الهفوات ما ارتكبه مؤلفا التاريخ العام ومؤازروهما Lavisse et Rambaud : Histoire générale بقوله ان الأتراك أبناء رومية Rome اختلط على الكاتب لفظ الروم برومية والفرق بينهما كبير جداً فان الأتراك كان يقال لهم ابناء الروم او الروم اي سكان آسيا الصغرى وبقي هذا الاسم يطلق عليهم الى عهد قريب وكان يطلق على انبراطورية القسطنطينية مملكة الروم ولما فتحها العثمانيون بقي اسمها على ما كان أيام بني سلجوق أصحاب الأناضول قبل العثمانيين وكان يقال لهم أيضاً سلاجقة الروم ولما فتح الترك العثمانيون ممالك البلقان اطلقوا عليها اسم روم ايلي · وأطلق علماء الجغرافيا من العرب اسم بلاد الروم على شبه جزيرة الأناضول · فالأتراك العثمانيون ليسوا إذاً أبناء رومية العظمى كما قال هؤلاء المحققون ·

وفي هذا التاريخ أيضاً عند الكلام على حال جزيرة العرب في القرن الماضي (ص ٥٥١ ج ١١) ان محمد بن عبد الوهاب دعا في نجد الى اسقاط المذاهب المعتمدة عند اهل السنة (الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي) وقضى الا يعمل الا بالكتاب والسنة اي لا يقتدى إلا بمحمد وصحابته الأربعة مما ورد في الحديث وان مذهبه كاد ان يكون مذهب اعتزال جديد وأشار الى تحريمه شد الرحال لزيارة القبور والتوسل بغير الله الخ ٠

وقوله ان محمد بن عبد الوهاب خرج على مذهب احمد بن حنبل كما خرج على المذاهب المعروفة غير صحيح لأن ابن عبد الوهاب لم يدع الى مذهب جديد ابتدعه بل دعا الى مذهب احمد بن حنبل ٠ وهذا المذهب كسائر المذاهب يشتد في انكار البدع فمذهبه لم يخرج عن المذهب الحنبلي في شيء وانما كان هذا المذهب ميتاً في نجد فأحياه وأعاد قومه الى حجر التوحيد وكرّه اليهم الشرك بالله ٠ وأهل نجد لا يحبون ان يدعوا «وهابية» نسبة لمرشدهم الجديد ويفضلون ان يقال لهم سلفيون اي قائلون بمذهب السلف او حنابلة وهو الأقرب الى الواقع فان داعيتهم ما أخذ عن غير ابن حنبل ومن قال بقوله كابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية (راجع مقالتنا أصل الوهابية في مجلة المقتطف المجلد ٢٥ ص ١١٢)

وفي هذا التاريخ أمور ظهر عليها جهل يستغرب صدوره في سفر تعاورت أيدي كبار مؤرخي فرنسا على تأليفه وعدوه مثال الاجادة في التأليف وسلكوه في سلك مفاخرهم ولكن أنى يتجرد هؤلاء المؤرخون عن تربيتهم وهم اعداء كل ما يخالف ما اعتقدوه هم وآباؤهم ؟ ٠ ان ما كتبوه في الجزء الأول من هذا الكتاب في سيرة الرسول يخجل من كتبه اجهل الناس لبعده عن حقيقة الرسول كثيراً ولا يليق بمؤرخ تدوين مثل هذه الهنات في أعظم شخصية عرفها التاريخ ، وليست حياته الشريفة بالمجهولة وهي في متناول كل من أحب معرفتها وحكم عقله واستشرف انصافه ولكن من مؤرخي اللاتين من يكتبون تواريخهم الى اليوم بعوامل سياسية وعوامل دينية مع الأسف ٠

ومن أعجب ما يدون ان سينوبوس أكبر مؤرخي فرنسا في العهد الأخير ، وهو الرجل الذي قضى أكثر من ستين سنة بتعلم التاريخ وتعلمه ، لم يستطع ان يتحرر مما انتقل اليه من التعصب الموروث فقد قال في كتابه تاريخ الحضارة ان صاحب الرسالة كان رجلاً جباناً سوداوياً تنتابه عوارض من الحمى وتعروه نوبات عصبية وان المسلمين اعتادوا منذ القرن العاشر ان يغالوا ببلاغة القرآن ، ولم يكن هذا الاعجاب ببلاغته مألوفاً للعرب في القرون الوسطى ، ويرى احد العارفين (دوزي) ان معظم آيات القرآن قد كتبت بلغة عربية تكاد تكون الى الركاكة ! وقد رددنا على هذا الهذيان في المجلد السابع من مجلة المقتبس وفي الجزء الأول من كتاب الاسلام والحضارة العربية .

ومعلوم ان اعدى اعداء الرسول لم يجرأ أن يصمه بالجبن وهو الذي طالما تعوذ بالله من الجبن والبخل والكذب كما ورد في الصحيح . وهل لسوداوي ان يؤثر ما أثره محمد عليه الصلاة والسلام في أمته وغير أمته ? ومن نشل الانسانية المعذبة كما نشلها ، ومن أخرج الناس من الظلمات الى النور كما كان منه ? اما القول في غلو المسلمين ببلاغة القرآن فضرب من السخافة . ومن الغريب ان يقول دوزي ان معظم القرآن كتب بلغة تكاد تكون الى الركاكة . مع كل ما طعن به اليسوعيون في الاسلام فقد أقروا ان ليس له غير بلاغة كتابه ، ودوزي لم تقو المدنية الأخيرة ان تحرره من قول السخف في القرآن .

وقد اعتذر نولدكه الألماني صاحب كتاب تاريخ القرآن عن أغلاط ارتكبها في شبابه بقوله ان آثار شهور الشباب لا يمكن محوها كلها إلا بإعادة النظر فيها كتبوا او الابتداء بوضع تآليف جديدة تعفي أثر القديمة فان كثيراً من المسائل التي كنت أعتقد بصحتها قليلاً أو كثيراً استبانت لي فيما بعد أنها غير أكيدة . ولعل دوزي لو جاء لاعتذر بمثل هذا العذر وكذلك بعض من خلطوا في الكلام على الاسلام وهم لا يعرفونه وما كان خلطهم عن تعمد سيء .

والمؤرخ سنيوبوس على جلالة قدره في فنه غلطات في الاسلام لا تصدر

عن أقل الكاتبين بضاعة منها قوله في كتابه نبذة في التاريخ المقابل للشعوب الاوربية Seignobos:Essai d'une histoire comparée des peuples de l'Europe حال دون تقدم النصارى في الاندلس غارة مؤلفة من أهل نحلة جديدة سميت بالمرابطين جاءت من مراكش واخضعت لسلطانها عامة اسبانيا الاسلامية ٠ وما كان المرابطون أهل نحلة اي دين جديد بل كانت لهم طريقة ودعوا المرابطين لأنهم أخذوا على أنفسهم العهد ان يرابطوا في سبيل الله ومذهبهم كمذاهب المسلمين في عهدهم وكان مذهب مالك ٠

ومن أغلاط الافرنج الفكرية المنبعثة من جهل بالجغرافيا ما جاء في معجم السياسة أو الدبلوماسية ، وهو كتاب كتب في أوله انه تأليف معظم رجال السياسة في الأرض أو ٢٧ رئيس حكومة و ٤٧ وزير خارجية و ٥١٢ سفيراً ووزيراً مفوضاً وكلهم أعضاء مشتركون بهذا بالعمل ينوبون عن ٧٣ دولة ٠ تقول هذه المعلمة او دائرة المعارف السياسية أو المعجم السياسي ان حكومة العلويين تقع بين جبل الدروز ولبنان الكبير على البحر المتوسط وان سكانها ٣٦ ألفاً وعاصمتها اللاذقية في حين ان اللاذقية وحدها يبلغ سكانها نحو اربعين الفاً وجبال العلويين لا تقل نفوسها كثيراً عن خمسمائة الف ، وجبل الدروز يبعد أكثر من مئتي كيلو متر عن جبال العلويين فهو في أقصى جنوبي شرقي سورية وأرض العلويين في الشمال الغربي من الديار الشامية ٠

وعلى ذكر العلويين لا بأس أن نفكه القراء بما جاء في كتاب دولة العلويين لمؤلفه بول جاكو P. Jacquot : L'Etat des Alaouites من ان النصيرية والاسماعيلية شعبان مختلفان ودينان متباينان ليسا من الاسلام في شيء وقد بقيت في أرضهم العبادات الفينيقية القديمة حيث وجد الدينان الباطنيان النصيرية والاسماعيلية اشد اشياعها غيرة وحماسة ٠

وعجيب ان يفوت المؤلف — وقد عاونه في تأليفه ثلاثون رجلاً على ما ذكر في فاتحة كتابه — ان النصيرية والاسماعيلية شيعتان من شيع المسلمين

ويحاول ان يخرجها من الاسلام وجميع علماء الملل والنحل يقولون بأنها طائفتان اسلاميتان بأصلها وشعائرهما وعقائدهما فمن أين هذه الفصاحة في أنهم بقايا الفينيقيين وهم معروفون من أين أتوا وكيف تديروا تلك الأرجاء . وهذه أغلاط تمليها السياسة الخرقاء .

وقد حاول بعض من كتبوا في أخبار لبنان من الافرنج ان يخرجوا الأمير فخر الدين المعني الثاني من أهل السنة ويلحقوه بالدروز ومنهم من جهد ليقول إنه دان بالنصرانية . ولا يلزم من يحكم ولاية ان ينتحل مذهب أهلها . وفي رواية الصفدي مؤرخ الأمير فخر الدين هذا بلاغ لمن ينصف فقد قال ان الأمير فخر الدين لما ذهب الى طسقانة ونزل على أميرها كان معه إمامه في جملة من حمل من حاشيته وانه بنى جامعاً ومأذنة في البلد الذي نزله في ايطاليا يدعو الى الصلاة في الأوقات الخمسة ويصلي جماعة مع إمامه وانه ماتت له ابنة فأبقاها في تابوت حتى اذا عاد الى وطنه نقل رفاتها معه لتدفن في ديار الاسلام .

هذه أمثلة طفيفة عرضنا لذكرها ليأخذ منهـا الباحث فكرة عن العابثين بالحقائق من المؤلفين في الغرب . والمأمول ألا تغتر ناشئتنا بضخامة الألقاب التي يحملها بعض المؤلفين فقد ينشأ الغلط من الكبار ويكون أطول مقياساً مما هو في الصغار وفي القرباء أكثر منه في البعداء وفيمن يسمونهم بالعلماء أكثر من غيرهم من الطبقات .

وبعد فكثيراً ما وددت لو قام بعض أرباب الكفاءة منا فنشروا في القاهرة أو دمشق أو بغداد مجلة تعنى برد ما ينشر من هذا القبيل في الكتب والمجلات الافرنجية تدفع به هذه الأباطيل المقصودة عن تاريخنا ومقدساتنا وتنقي العلم من هذا الزؤان والزغل فعصرنا عصر دعاية ومن لا يدعو لما يهمه لا يهتم له أحد ويظل التباين بينه وبين من يريد أن يكون معهم على وئام متأصلاً .

محمد كرد علي

بقايا الفصاح

اذا قابلنا بين لغتنا العامة في هذه الأيام وبين ماتناهى الينا من بعض بقايا اللغة العامة في ايام بني العباس وجدنا ان لغتنا العامة اعلى طبقة من اللغة العامة في ذلك العصر ، فمن آثار تلك اللغة ما جاء في الاغاني في كلام صاحبه على ابراهيم الموصلي ، قال : ذكر ابن خرداذبه وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه ان سبب نسبة ابراهيم الموصلي الى الموصل انه كان اذا سكر كثيراً مايغني على سبيل الولع :

أناجت منطرق موصل　　أحمل قلال خمريا
من شارب الملوك　　فلا بد من سكريا

أفلا نرى ان هذه التراكيب العامة دون تراكيبنا العامة في عصرنا ، فمن قول العامة في دمشق : ماشبعت منه ، اي من النظر اليه ، اما لفرط جماله أو لطفه ، واما لحسن هيأته او غير ذلك ، وقد جاء في ذيل الامالي مايلي : قال الحجاج لثابت بن قيس الأنصاري : ارثِ ابني أبان ، فقال له : اني لاأجد به ماكنت أجده بحسن (ابن ثابت) قال : وما كنت تجد به ، قال : مارأيته قط فشبعت من رؤيته ...

فهذه لغة لاتخلو من آثار اللغة الشعرية ...

ومن قول العامة في دمشق : ركّبوها عليه ، وهم يريدون بذلك أنهم نسبوا اليه كلمة او مسأله إما من باب الافتراء وإما من باب الظرف ، فاذا قالوا : ركبوا عليه كذا او كذا ... ارادوا مرة الافتراء المطوي على شيء من الأذى ومرة السخرية المطوية على شيء من الظرف ، جاء في الامامة والسياسة لابن قتيبة في كلام على خروج علي من المدينة ان أخاه عقيلاً كتب اليه كتاباً جاء فيه : واني خرجت معتمراً فلقيت عائشة ، معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى البصرة ، قد أظهروا الخلاف ونكسوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان ...

فان عقيلاً يريد بالتركيب في هذا المقام الافتراء المشتمل على الأذى ، وقد اشتقت عامتنا من هذه المادة اسم المرّة فقالت : تركيبة ، اي مسألة ملفقة .

وانتقل الآن الى كتاب الأغاني ، فاستخرج منه طائفة من التراكيب الفصيحة التي لاتزال تجري على السنة عامتنا ، واني لأعتقد ان كتاب الاغاني اذا خلد في تاريخ أدبنا على تعاقب العصور فان من جملة أسباب خلوده هذه اللغة السهلة التي لانزال نرى بقاياها في عامة أهل الشام ...

من قولنا في دمشق : اجعل طريقك عليه ، أي مرّ به ، وهذا من كلام العامة والخاصة ، جاء في الأغاني ، في أخبار اسحق بن ابراهيم مايلي : حدث الزبير بن حماد قال : دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً ، فقال لي : قد عزمت غداً على الصبوح ، فصر اليّ بكرة ، فكنت أنا والصبح كفرسي رهان ، فلما اصبحت من غدٍ جعلت طريقي على اسحق بن ابراهيم ..

ومن قول العامة : فلان سقط من عيني ، وهم يريدون بذلك انه عمل عملاً قبيحاً اما انه كذب أو سرق أو أحتال أو غير ذلك ، وهذا تركيب فصيح ، فقد نقل صاحب الأغاني في أخبار يحيى المكي ونسبه كلاماً عن محمد ابن أحمد بن يحيي المكي الذي قال : عمل جدي كتاباً في الاغاني وأهداه الى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شاب حديث السن ، فاستحسنه وسرّ به ، ثم عرضه على اسحق ، فعرّفه عواراً كثيراً في نسبه ، لان جدي كان لا يصحح لأحد نسبة صوتٍ البتة ، وينسب صنعته الى المتقدمين وينحل بعضهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله ، وبقي في خزانته ... فالضمير في سقط يرجع في هذا المقام الى الكتاب لا الى يحيى المكي فالكتاب سقط من عين عبد الله بن طاهر لان فيه تخليطاً كثيراً .

ومن هذا القبيل قول العامة : مارأيت أسقط من فلان .. والمادة الواحدة تدل على شيء من الازدراء والاحتقار ، فقد جاء في الاغاني في أخبار بصبص جارية ابن نفيس مايلي :

فقبّلها وغنته ثم قالت : أبا اسحق : أرأيت اسقط من هؤلاء ، يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانًا بدرهم ...

ومن تراكيب العامة في دمشق : لاتدخل بيني وبينه ، وهو مفهوم ، وقد جاء هذا التركيب في الاغاني في اخبار اسحق بن ابراهيم ، فقد نقل عون ابن محمد حديثًا عن اسحق ، قال اسحق : لاعبت الفضل بن الربيع بالنرد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب علي وهجرني ، فكتبت اليه أبياتًا وعرضت الأبيات عليه فلما قرأها ضحك وقال : أشد من ذنبك انك لاترى لنفسك بذلك الفعل ذنبًا ، والله لولا انني ادبتك أدب الرجل ولده وان حسنك وقبيحك مضافان اليّ لأنكرتني ، فاصلح الآن قلب عون ، وكان يحجبه ، فخاطبته في ذلك ، فكلمني بما كرهت ، فقلت : أتدخل بيني وبين الأمير ، اعزه الله ...

ومن قول العامة في دمشق : ما له معنى ، أي مالهذا الامر او العمل سبب أو حاجة أو مقتضى أو ما شابه ذلك ، وقد جاء في الأغاني في أخبار ابراهيم الموصلي خبر طويل ذكره حماد بن اسحق عن أبيه ، وهو يتعلق بشراء الرشيد لجارية من ابراهيم الموصلي بستة وثلاثين الف دينار ، وقد طلب الرشيد الى الفضل بن الربيع ان يتوسط بينه وبين ابراهيم الموصلي حتى يحط له ابراهيم من ثمنها ستة آلاف دينار ، فحط اثني عشر الف دينار ، قال اسحق لابنه حماد بعد هذه الحطيطة : وكنت قد أتيت جدك فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنى ، وما هو بقليل ، فتغافل عني وقال : أنت أحمق ، أنا أعرف الناس به ، والله لو أخذت المال منه كملاً ماأخذته الاّ وهو كاره ، ويحقد ذلك عليّ ، وكنت أكون عنده صغير القدر ، وقد مننت عليه وعلى الفضل ...

ومن التراكيب الفصيحة التي تستعملها العامة قولهم : عليه موعد ... وقد جاء في الأغاني في اخبار ابن مسجح ونسبه في خلال قصة طريفة تتعلق بقبض عامل الحجاز لمال ابن مسجح ونفيه مايلي : ثم قال : يافتيان ! هل فيكم من

يضيف رجلاً غريباً من اهل الحجاز ، فنظر بعضهم الى بعض ، وكان عليهم موعد ان يذهبوا الى قينة يقال لها برق الأفق !

ومنها : كبسوا بيته ... وهو مفهوم تريد العامة بذلك انهم دخلوا بيته وفتشوه وقد جاء في الاغاني في اخبار ابراهيم الموصلي حديث لحماد بن اسحق عن جده ابراهيم قال : فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدي منه ولم يظهر له ، بسبب الايمان التي حلفه بها المهدي ، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت ...

ومن قول العامة في دمشق : عفت حياتي .. وليس في كلام يأس مثل ما في هذا الكلام فاذا عاف الرجل حياته فما يطيب في نظره شيء من الدنيا ، وقد جاء هذا التركيب في شعر ابراهيم الموصلي ، قاله لموسى الهادي :

ولقد عفت في هواك حياتي وتغربت بين أهلي ومالي

ومن آثار اللغة الشعرية التي بقيت في عامة دمشق قولهم : الله أوصى بالجار ... وقد ورد هذا التركيب في شعر الأحوص اذ قال :

ثنتان لاأدنو بوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
اما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي

ومن لغة الطعام قولهم : حطوا على السفرة لونين أو ثلاثة أو اربعة ألوان ، وهم يريدون بذلك أنواع الطعام ، وقد جاء في الاغاني في أخبار أبي العتاهية مايلي : قال مسلم بن الوليد : كنت مستخفاً بشعر ابي العتاهية ، فلقيني يوماً فسألني أن اصير اليه ، فصرت اليه ، فجائني بلون واحد فأكلنا ...

* * *

أظن ان هذه التراكيب التي ذكرتها في هذا المقال وفي مقالات متقدمة أفصح من التركيب الآتي :

أناجت من طرق موصل أحمل قلل خمربسا

أفلا نرى كل يوم دليلاً على ان دمشق حفظت من آثار لغتنا الفصيحة مالم تحفظه غيرها من المدن .

شفيق جبري

القضاء اللبناني[1]

الوضع الاجتماعي

— ٣ —

مضت كلمتنا في القضاء اللبناني من الوجهة التاريخية . وهذه كلمتنا فيه من الوجهة الاجتماعية ، نوطئ لها بهذا الموجز من القول :

كنت أريد ، والمؤتمر — مؤتمر المحامين — ان ينحصر البحث في أمر الاشتراع ، فلا يتعداه الى السياسة . غير ان من الخطباء من أبوا الا ان يجعلوا من السياسة تمهيداً للبحث في القانون ، كأنهم أرادوا ان يقيموا من الحدود السياسية المصنعة بين الأقطار العربية ، حدوداً اشتراعية ثابتة بين المحاكم العربية .

وقد أفاض احد الخطباء في ما يقوم في وجه الوحدة السياسية من عوائق ، افاضة مطولة مسهبة — والموضوع لم يك موضوعها ، ولا المجال مجالها — حتى خيّل الى السامعين ان من وراء ذلك فكرة معينة ، تسترت لمحة ثم عادت فانكشفت عن حقيقتها ، فعاد معها الحديث عن الاشتراع حديثاً عن السياسة ، لأن السياسة كانت الهدف الأول في الموضوع ، لا مباحث الشريعة ولا مطالب القانون[2] .

قال الخطيب : « لكن المعروف أيضاً ، هو ان اختلاف الأسس بين شعب وشعب ، وبين دولة ودولة ، وبين جار وجار ، يوجد من الفوارق الأساسية ما لا يساعد على التوحيد والوحدة » .

وضرب على ذلك مثلاً : الفارق في الدستور . فقال : « ان دستوري سورية ولبنان . شكل الحكم فيهما جمهوري ، وفي دساتير مصر ، والمملكة السعودية ، والعراق ، واليمن ملكي ، وفي شرق الأردن امارة .

---

(١) تتمة ما هو مدرج في الجزء الحادي عشر من السنة العشرين . وهو ملخص المحاضرة التي القيت في مؤتمر المحامين ١٢/٨/١٩٤٤

(٢) أجبنا عن ذلك في محاضرتنا ، بالكلمة التي اتسع لها المقام يومئذ ولا نرجع اليها هنا مرة ثانية .

وفي دستور لبنان فصل الدولة عن الدين ، ولكنهما جمعا في دساتير سورية ، ومصر ، والعراق ، وشرقي الأردن » .

نقول : الفارق في الدستور لا يقضي حتماً بفرق في القوانين ، ولا هو مما لا يساعد على التوحيد ، والوحدة في الاشتراع .

فكم من دولة انتقلت من ملكية الى جمهورية . ومنها ما انتقل شكل الحكم فيها من ملكية ، الى امبراطورية ، ثم الى جمهورية ، وظلت قوانينها هي إياها ، إلا ما اتصل منها مباشرة بشكل الحكم نفسه ، وهو شيء خاص ينحصر في الدستور خاصة ؛ بل في بعض مواده ، ولا يتعداه الى سائر القوانين . وما يتبدل من القوانين — عدا ذلك — انما يتبدل تبعاً للزمن والحاجة ؛ لا للتبدل في شكل الحكم .

بل كم من دولة أخذت قوانينها وشرائعها عن دولة أخرى ، وبين الدولتين من الفوارق الدستورية هوة سحيقة .

ولا نبعد كثيراً بل نضرب من أنفسنا مثلاً ، فلقد كانت الدولة العثمانية خلافة مطلقة « اوتوقراطية » فلم يمنعها هذا من ان تأخذ معظم قوانينها عن فرنسة وهي جمهورية شعبية (ديموقراطية) ثم انسلخ عن هذه الامبراطورية العثمانية من انسلخ من الشعوب والأقطار ، فألفوا حكومات ودولاً ، منها الملكية ، ومنها الجمهورية ، ومنها العسكرية ، ومنها الأميرية ، وكانت سورية ولبنان ، في جملة هذه الولايات المنسلخة ، وقد ظلت قوانين هذه البلدان وشرائعها واحدة ، حقبة من الزمن غير قليلة .

لا ! ان الفارق الدستوري ليس بالذي يحتم التفريق في التشريع ، هذه واحدة .

واخرى هي ان لبنان راعى الطائفية مراعاة شديدة دقيقة ، وهو قائم كله — نقول هذا والألم يحز في نفوسنا — على أوضاع طائفية ، من اخمص قدمه حتى قمة رأسه ، فتغير لبنان ، وغير اهل لبنان ؛ من حقهم ان يعترضوا على الطائفية .

نعم ! لقد قال الدستور السوري : « سورية جمهورية دين رئيسها الاسلام » ولم يقل الدستور اللبناني « لبنان جمهورية دين رئيسها المارونية » غير ان النصوص الفاظ جوفاء في ذات نفسها ، والقوانين والدساتير لا قيمة لها الا على قدر تطبيقها وتنفيذها .

فلبنان الذي لم ينص دستوره على دين بعينه يدين به رئيس جمهوريته ، لا يكون رئيس جمهوريته — من حيث الواقع — الا مارونياً . ولم يقف الأمر عند الرئيس الأعلى كما هو في سورية ، بل تناول سائر الرئاسات ، بل ما هو دون الرئاسات . فاذا كان رئيس الدولة في لبنان لا يكون إلا مارونياً ، فان رئيس الحكومة فيه لا يكون الا سنياً ، ووكيله ارثوذكسياً . ورئيس المجلس النيابي شيعياً . ولقد شهدنا من معارك التعيين والانتخابات لهذه المراكز ، ما كانت الغلبة فيها للطائفية أبداً . اما القول بأنه مع — اطلاق النص — « يمكن » و « يجوز » . فان « الممكن » و « الجائز » لا يصح الوثوق بها ، ولا الاعتماد عليها . فهي شيء موكول الى المستقبل ، وما قد يقع في المستقبل في لبنان ، قد يقع مثله وأكثر منه في سورية ، فكما ان السوابق قد تتحكم ؛ فان النصوص قد تتبدل . ثم اذا أبى آب ان ينزل السابقات المتبعة ، والعادات المرعية — وهي ما لها حكم القانون — منزلة القانون المكتوب ، فان المادة ٦ و٩٥ مكررة في الدستور اللبناني تنص نصاً صريحاً على الحقوق الطائفية في لبنان ، — أفليس في هذا النص تحديد وتخصيص ، وتوزيع للوظائف يتنافى في كثير من حالاته — هو وعلمانية الجمهورية التي يزعمونها ، ويحيي في الذاكرة الطائفية المقيتة ، بل يجعلها ابداً ماثلة للعيان ، وهو ما يشكو منه الأحرار في لبنان . فاذا كان يشكى من الطائفية في سورية مرة ، فانه يشكى منها في لبنان مرات .

نعود فنقول : إذا كان الدستور السوري حصر رئاسة الجمهورية في رجل دينه الاسلام . فلقد كان ذلك لأسباب دقيقة يعرفها كل من رافق الحركة السياسية في سورية من مسلمين وغير مسلمين ، على ان الدستور والتعامل السوريين إذا كانا حصرا هذا المنصب الفرد حصراً دينياً ، فهما قد اطلقا ما عداه من المناصب في الدولة اطلاقاً حراً واسعاً . فالوظائف في سورية من اكبرها حتى اصغرها مباحة — من حيث الطائفية — لكفاية السوريين . لا يفرق بينهم بين دين ودين ، حتى لتجدن من اقلية الأقليات من يتبوأ ارفع المناصب ، غير مدفوع منه ، ولا ممنوع عليه .

يقع هذا في سورية ، على حين يتنازعون في لبنان طائفياً بل مذهبياً على الوزير ، بل على الوزارة التي يجوز ان يقلدها الوزير بالنسبة الى مذهبه . بل يحصون حتى الشرطة والدرك والكتاب ، ثم يوزعونهم توزيعاً دينياً [1] .

ان اشتراط دين بعينه في رئاسة الدولة ، ليس له من سوء الاثر في احقاق الحق ، واقرار العدل ، ما لتوزيع الوظائف على الطوائف .

ثم هذه الولايات المتحدة التي تنادي بالحرية و « الديموقراطية » ألم يكن مذهب « اسمث » من اكبر العوامل في دفعه عن رئاسة الجمهورية في الانتخاب الاسبق .

بل هذه انكلترة نفسها الذي اخذ عنها العالم التمدن في القرون المتأخرة مبدأ الحكم النيابي ، يشترط في ملكها ان يكون على مذهب معين هو دين الدولة الرسمي .

وعاد الأستاذ ، وباسم العلم يبحث الفارق في الاشتراع المدني فيقول : « الشرعة المدنية أساس المجتمع ، وقد اجمعت القوانين الحديثة على تأسيس المجتمع على شرعة مدنية واحدة ... والاحوال الشخصية في الاشتراع المدني هي القاعدة التي يرتكز عليها كيان الهيأة الاجتماعية ، لأن الأحوال الشخصية بما فيه الزواج وتعدد الزوجات ، والسفور والحجاب ، وحقوق المرأة ، والوصية ، والارث ؛ هي اساس العائلة ؛ والعائلة اساس المجتمع » .

وان امرءاً يسمع هذه الحجة لا يستطيع الا ان يضحك منها بملء فيه . واضحك ما فيها انها اريدت ان تكون حجة دامغة ، تقوم على اساس من الحق والمنطق ... ومن العلم أيضاً .

حصر الأستاذ بحثه هنا في الأحوال الشخصية واعرض عن ذكر سائر القوانين ، وكأنه يحتج لهذا بأن « الأحوال الشخصية هي — كما قال — اساس العائلة ، والعائلة اساس المجتمع » فالقوانين في رأيه تقوم كلها على هذا الأساس . أو

(١) وفي لبنان ظاهرة انكى من هذا كله هي مداخلة الرؤساء الدينيين بشكل رسمي في الكبيرة والصغيرة من شؤون السياسة الخارجية والداخلية . وهو قل أن يقع مثله اليوم في بلد من البلدان .

كأنه رأى في قانون الأحوال الشخصية ، وفي ذكره « الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والوصية والارث ٠ ٠ » وَهْيِة يستطيع ان يجعل من توسيعها ، الشقة التي يريد ان يقيمها بين وحدة الاشتراع في بلاد العرب ٠

وذكره هذه الأمور على الشكل الذي ذكره ، يوهم ان في لبنان قانوناً خاصاً للأحوال الشخصية يجمع اللبنانيين كلهم تحت لوائه ، ويجعلهم في وضع يختلف عن وضع اخوانهم العرب في سائر الأقطار العربية ٠ وهذا غير الواقع ؛ فان لبنان ليس له قانون موحد للأحوال الشخصية ؛ بل له — كسائر بلاد العرب - قوانين هي في سورية وفي لبنان واحدة ؛ بل هي تكاد تكونها واحدة ، عند ابناء كل طائفة وأبناء كل مذهب ، من طوائف العرب ومذاهبهم الدينية ، في كل قطر من أقطارهم ٠

ونوضح ذلك فنقول : ان لبنان — على ظاهر احصائه — نصفه مسلمون ونصفه مسيحيون — وفي كل طائفة من هاتين الطائفتين مذاهب ٠ ولكل مذهب من هذه المذاهب محكمته الروحية الخاصة ، وقانونه الخاص ٠ وكل قانون من هذه القوانين يختلف عن قوانين سائر الطوائف بل سائر المذاهب في لبنان ، ويتفق هو وقانون ابنائه في خارج لبنان ٠ فقانون الأحوال الشخصية (وهو قانون العائلة) عند المسلم السني في لبنان ، لا علاقة له بقوانين المذاهب اللبنانية الأخرى ، ولكنه هو هو القانون المرعي عند المسلم السني في سورية ٠ وما يقال عن هذا عند السنة ، بل عند المذاهب الاسلامية كافة ، يقال مثله واكثر عن المذاهب المسيحية ٠ ذلك ان الطوائف المسيحية مرجعها الديني الأعلى في سورية ولبنان واحد ، وهذا المرجع هو صاحب السلطة الروحية والكنسية ، والولاية العامة في الأحوال الشخصية

ولنا بعد ان نقول : ان الأحوال الشخصية التي جعلها المحاضر حاجزاً دون وحدة الاشتراع ، بل ارادها ان تكون عاملاً على فصم هذه الوحدة القائمة ، قد يجوز ان تكون كذلك بالنسبة الى لبنان نفسه ، أما بين سورية ولبنان فالأمر على العكس ؛ إذ الأحوال الشخصية هي العامل الأقوى ، بل العروة القانونية

الوثق ،التي لا تزال تربط ما بين داخل الشام وساحله . فالمحاكم الشرعية ، والمحاكم المذهبية ، والمحاكم الكنسية ، على اختلاف مذاهبها ، هي هي في سورية ولبنان : شكلاً وتأليفاً وموضوعاً وشريعةً وقانوناً وتعاملاً .

وبعد ، فأين هو الاشتراع المدني الذي يزعمه المحاضر ؟ هذا الاشتراع الذي ينشده فريق كبير فلا يجاب اليه ، لأن الذين يعرفهم الأستاذ ، وخاصة صاحبه الذي يعمل تحت لوائه ، لا يريده ، احتفاظاً بسلطته الدينية ونفوذه الطائفي .

نعم ! انه لو صحت حجة الرجل ، بأن الأوطان تقوم وحدتها السياسية ووحدتها الاشتراعية على شرعتها المدنية وكيانها العائلي ؛ لكان خليقاً بلبنان ان يقسم على نفسه ، وحاله حاله من اختلاف الشرائع والقوانين .

واذا كان من مغمز في ذكر : « المرأة وحقوقها ، وتعدد الزوجات ، وقواعد الإرث . . » فالجواب عن هذا هين سهل . اما حقوق المرأة فلعله أصبح من الفضول ان نعود فنعدد للمرأة هذه الحقوق التي متعتها بها الشريعة الاسلامية ، والقوانين المتممة لها . فقد كثر فيها القول ، ووضعت لها الكتب . في العربية وفي غيرها من اللغات . والمرأة عندنا تتمتع الى اليوم في كثير من الحقوق ، تمتعاً كاملاً مستقلاً عن سلطة الرجال ، بما لا تتمتع به المرأة في كثير من البلدان الراقية .

وأما تعدد الزوجات ، والنظر به الى انه شرعة دينية لا تساير الرأي المدني اليوم ، وان اباحته معناه رجوع الى العصور المتأخرة ، وانه لا يتوافق وحال شعب يريد النهوض والانفلات من القيود الدينية في احواله الشخصية ، فهذا شيء يقال مثله في تحريم الطلاق . فهو شرعة دينية يتقيد بها بعض اللبنانيين الى اليوم على مخالفتها للرأي العام المتمدن ؛ انا نريد أن نسأل : عما اذا كان تحريم الطلاق يقوم على الشرعة المدنية التي يزعمونها ؟

وأما الارث فان معظم اللبنانيين يجرون فيه حتى يومنا هذا على حكم الشريعة الاسلامية . حتى الفريق الأكبر من الذين وضع لهم قانون الوصية ، فقد

أهملوه ، وظلوا على حكم الشريعة : ذلك لأن احكامها ولا سيما في هذه الناحية ، موافقة لميولهم وحاجاتهم ، مستمدة من طبائعهم وعاداتهم ٠

* * *

لا ! ليس بين الأقطار العربية عامة ، وبين سورية ولبنان خاصة ، ما يدعو الى الاختلاف في الاشتراع ، إلا رغبات سياسية جامحة ، ليست من مصلحة أحد ان تكون ٠

وقد ذكرنا الماضي وما فيه من وشائج وصلات ، فلماذا يراد تفكيك هذه الروابط ، بل تقطيع هذه اللحمة ، وفي سبيل من تفكك وتقطع ؟ وهل يجمع من في لبنان كلهم على تقطيعها وتفكيكها ؟ أم ينقسمون فيها على أنفسهم ٠ فيقول قوم بوصلها ، ويقول قوم بفصلها ، ونعود لا سمح الله كما كنا ، طوائف وطرائق ٠

عارف النكدي

اسماء نباتات اعجمية

من أصل عربي

عندما كنت أجمع كلمات «معجم الألفاظ الزراعية» ، وأدقق في أصول أسماء النباتات التي اشتمل عليها ذلك المعجم ، وجدت ان بعض الأسماء الفرنسية والأسماء العلمية لعدد من النباتات الزراعية هي من أصل عربي ، اي انها مأخوذة من كلمات عربية التجار أو من كلمات معربة قديماً .

ولا يُظنن ان تقارب الاسمين العربي والفرنسي (او العلمي) هو ما جعلني أجزم كون الثاني ينتسب الى الأول . فتقارب الألفاظ وحده لا يكفي لبت وجود الصلات بين الاسماء . واتخاذ هذا التقارب وحده دليلاً قاطعاً على وجود صلات النسب بين الألفاظ العربية والألفاظ الأعجمية ليس من التحقيق العلمي بشيء ، بل هو تجنٍّ على العلم .

ثم ان للتحقيق العلمي قواعد يجب على الباحثين في مثل هذا الموضوع الشائك ان يتعلموها ، قبل ان يرسلوا الكلام على عواهنه في أن الكلمة الأعجمية الفلانية هي من أصل عربي ، او ان الكلمة العربية الفلانية هي من أصل أعجمي . وإطلاق الرأي جزافاً في موضوعات مهمة كهذه الموضوعات يسيء الى لغتنا الضادية وبدينا في أعين العلماء ولا سيما الغربيين منهم .

فالأسماء الفرنسية والعلمية التي أتكلم عليها هي عربية التجار لا لأنها تشبه الأسماء العربية فحسب ، بل لأن الثقاة من علماء النبات وعلماء أصول الكلم الفرنسية قد جزموا انها من أصل عربي . وهؤلاء العلماء لا يجزمون أموراً كهذه الا بعد مراجعة المستندات المقنعة التي تبين واضع الاسم ، وتاريخ وضعه له ، وجريان ذلك الاسم على الألسنة ، والتبدلات التي قد تكون طرأت عليه الخ .

وبعد هاكم بعض هذه الأسماء مرتبةً على حروف المعجم :

Abelmosch — من حبّ المسك · وهو نبات من فصيلة الخبازيات تستعمل بزوره في صناعة العطور ·

Artichaut — من اَلخرْشَف · بقل معروف تسميه العامة إنكنار وأرضي شوكي · وهذه الكلمة العامية الأخيرة من أرتيشو الفرنسية · فانظر كيف ترد العامة الينا كلماتنا العربية الفصيحة مشوهةً ، وذلك شبيه بقول بعضهم في مصر الحمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر ·

Aubergine — محرفة عن كلمة «الباذنجان» العربية اي المعربة قديمًا · وكذا الاسم العلمي الدال على النوع وهو Melongena فهو أيضًا محرف من الكلمة العربية ·

وقد ورد في الكتب النباتية الباحثة باسهاب عن اصول اسماء النبات وفي المعجمات الباحثة بإسهاب عن أصول الكلم الفرنسية ما فيه كفاية عن تتابع تحريف الكلمة العربية المذكورة على كر السنين في اللغة الفرنسية ·

Azerole — ثمرة الزعرور · وهي من Acerola الاسبانية · وهذه من كلمة زعرور العربية ·

Caféier — من قهوة العربية · وكذا الاسم العلمي Coffea · والقهوة في اللغة الخمر · وهي بمعنى البن مولدة · وكلمة البن أيضًا مولدة ·

Cakile — من القاقُلَّى · وهو غير القاقُلَّة أي الهال ·

Caroubier — من الخروب · وهو شجر معروف ·

Cat — من كلمة قات المعربة من الحبشية على ما يرجح ·

Cheiranthus — اسم الجنس العلمي للمنثور Giroflée · واسم الجنس العلمي هذا من كلمة خِيرِيّ العربية · والخيري نوع من أنواع المنثور وهو المنثور الأصفر ·

Colocase — من القلقاس · وكذا الاسم العلمي لجنس هذا النبات ·

Cotonnier — من القطن ·

Cuscute — من الكَشوث · وكذا الاسم العلمي · وهو النبات الطفيلي الذي يسمى المالوك في مصر والشام ·

Estragon — من Tarcon بلاتينية النباتيين . وهذه من طَرْخون المعربة قديمًا .

Henné — من حِنّاء العربية . وهي جنبة صبغية مشهورة من فصيلة الحنائيات

Jasmin — من كلمة ياسمين . وهذه من اصل فارسي .

Ketmie - من الخِطْميّ . وتطلق الكلمة الفرنسية على بضع نبتات من فصيلة الخبازيات .

Lablab — من اللَّبلاب ، والكلمة الفرنسية هذه تطلق على نوع من اللوبيا . اما اللبلاب في العربية فكبيره يسمى Lierre والصغير Liseron .

Limonier — من اللَّيْمون .

Luffa — من لُوْف العربية . جنس نباتات معرشات للتزيين من القرعيات

Musa — الاسم العلمي لجنس الموز . وهو من العربية .

Nénuphar — من نيلوفر ونَيْنَوفر العربيتين . وهما من كلمة فارسية ، وهذه من كلمة سنسكريتية .

Oranger — من نارنج المعربة قديمًا ، وهي من أصل سنسكريتي . وقد حوّر الفرنسيون معناها القديم ، فأصبحت تدل اليوم عندهم على البرتقال بدلاً من النارنج اي Bigaradier .

Pastèque — من بِطّيخ العربية .

Pistachier — هذا الاسم والاسم العلمي من فستق العربية .

Retama — من رَتَم العربية . وهو جنس جنبات للتزيين من القرنيات . وتطلق كلمة الرتم أيضًا على غير هذا النبات .

Safran — من Safranum اللاتينية . وهذه من زعفران العربية وهو جنس نباتات بصلية صبغية من السوسنيات . ويسمى الجادي أيضًا .

Scille — من إشقيل المعربة قديمًا من اليونانية . وهو جنس العُنْصُل من الزنبقيات ، فيه انواع تزرع لزهرها .

Sesbane — هذا الاسم والاسم العلمي من سَيسَبان المعربة قديماً . وهو جنس جنبات للتزيين من القرنيات .

Sophora — من صُفَيراء العربية . جنس شجر للتزيين من القرنيات الفراشية .

Suæda fruticosa — جنبة من السرمقيات مبذولة في بقاع الشام الشرقية ، يسميها الفلاحون والعربان السُوَّيد بتشديد الواو . وذكر الثقاة من علماء النبات ان اسم الجنس العلمي من اصل عربي . ولذا سميت النبات السُوَيداء والسُوَيد وإن لم أجدهما بهذا المعنى في معجماتنا ولا في المفردات .

Sumac — هو السُمّاق بالعربية . والفرنسة من العربية

Tamarinier — من الاسم العلمي Tamarindus وهذا من التمر الهندي ، وهو اسم هذا النبات بالعربية .

هذه اثنتان وثلاثون كلمة أعجمية من أصول عربية لا شك فيها . وكلها تطلق على نباتات زراعية . وعندي في هذا الموضوع بعض اسماء ربما ذكرتها في فرصة أخرى .

مصطفى الشهابي

الكلمات اللغوية الطبية

وعدت القراء في مقالي السابق الذي جعلت عنوانه (حول المصطلحات الفنية) والمنشور في صفحة ٥١١ من مجلة السنة الماضية — بأن اكتب مقالاً خاصا في تفسير الكلمات اللغوية الطبية التي سردتها سرداً في ذلك المقال والتي تصلح ان تقوم في الاستعمال الطبي مقام الكلمات غير العربية . ولا يخفى ان التقاط الكلمات اللغوية الفنية من مظانها وتصنيفها ورد كل كلمةٍ منها الى جنسها ثم التعليق عليها وعرضها على ارباب الفنون ليأخذ كل منهم ما يناسبه ويتعلق بفنه منها — صنيع اللغوي هذا هو من أخص وظائفه وأبينها اثراً في تنمية اللغة العربية وخدمة الفنون العصرية . وقد اشار الى ذلك بعض كبار الكتاب المصريين فقال :

« ان من افضل ما تخدم به اللغة العربية اليوم جمع الالفاظ الفنية المتفرقة في « كتب اللغة وتدوينها في رسائل خاصة لتكون أساساً لما يوضع بعدُ بالاشتقاق « والنحت والتعريب ومعيناً على هذا الوضع » اه

وكنت منذ سنين خلت اهتديت من نفسي الى مشورة هذا الكاتب الفاضل فكنت اتقصىّ الكلمات اللغوية التي تتعلق بالعلوم العصرية المختلفة وأدونها في دفاتر خاصة ومنها الكلمات المسرودة في المقال الآنف الذكر والتي عقدت هذا المقال من أجلها . وها هي ذي اذكرها واحدة واحدة وأعلق عليها ما قاله علماء اللغة في تفسيرها . وتحديد المعنى المراد منها . مع ما يعن لنا من الملاحظات والمقارنات .

(العَلَز) فسروه بقولهم هو ماينبعث من الوجع بعضه في إثر بعضٍ : كالمحموم يدخل على حمّاه السعال والصداع اه ، فهو إذن يؤدي معنى كلمة (Complication) الطبية وقد ترجمها أساتذة الطب السوريون منذ اكثر من نصف قرن بكلمة (الاشتراك) وغيرهم بالاختلاط . وقد تقرر في مجامعنا اللغوية اخيراً انه لا ينبغي أن يصار في الاوضاع الى ترجمتها إلا بعد اليأس من وجود كلمة لغوية تؤدي

معناها . وهذه هي كلمة (العَاز) تؤدي هذا المعنى على مايفهم من معاجم اللغة . ويوجد في أطبائنا من يقول : ان كلمتي (الاشتراك) و (الاختلاط) شاعتا بيننا شيوعاً يصعب معه العدول عنهما فالاولى الابقاء عليهما مادامتا عربيتين .

(العِداد) ومثله (المعادّة) كلاهما مصدر (عادّ) من العدّ وهو الحساب . ومعناها في اللغة ان يزول المرض — كالحمى مثلاً — عن المحموم اياماً معدودة ثم يعود : يقال : بفلان (مرضُ عدادٍ) بالاضافة ويقال : (أكلتُ أكلةً خسارة مازالت تعادّني) اي مازال المرض الناشئ عنها يفارقني اياماً ثم يعود اليّ وقد وردت في كلام النبوّة بهذا المعنى .

(الأبهر) عرق اختلفوا في تعيين موضعه من الجسد ، لكنهم لم يختلفوا في أنه اذا انقطع مات صاحبه ، وقال بعضهم ، هو عرق منشؤه الرأس ثم يتشعب في جميع البدن ، ولكل شعبة من شعبه اسم خاص : (وريد) (وتين) (أكحل) (نَسا) (صافن) وهذا الاخير في الساق . أما (البائج) فهو عرق يطيف بالبدن أجمع ، فالاطباء وشأنهم في هذه الاسماء وفي تخصيص كل عرق بالاسم الذي يلائمه . أما الجغرافيون فيحسن ان يستعيروا اسم (البائج) للانهار الكبرى الكثيرة الشعب والفروع . وهذا كنهر الامازون في اميركة الجنوبية مثلاً فيصح ان يسمى (البائج) على التشبيه بالعرق المذكور .

(أثاب) من مرضه و**(أفاق)** . في اللغة كلمات بهذا المعنى قد تبلغ العشرين : منها الثقيل كفعل (اطرغشّ) و (تقشقش) ومنها الخفيف مثل : (ابَلّ) و (نقه) ومنها مالم يشتهر استعماله مثل (أرَكَ) و (أفاق) (وثاب) . ويجمعهما (اندمل) لكنهم عادوا فخصوا الأخير بشفاء الجروح والدمامل . اما الشفاء من وعكة خفيفة ففعله الدال عليه (خطف) من باب علم وفسروه بأن يمرض الرجل مرضاً يسيراً ثم لايلبث ان يشفى ، فالخطف نقه خاص . ومثله فعل (أفرق) فانه خاص بالنقه من مرض (لايصيب الانسان الا مرة واحدة في عمره كالجدرى والحصبة) وأهل دمشق يستعملون هذا الفعل ثلاثياً ويقولون (فرق فلان) يريدون

أنه عوفي من مرض حادّ ثقيل كالتيفوس مثلا : فهو في اصطلاحهم على الضد من فعل (خطف) الذي قلنا ان معنـاه ان يشفى من مرض خفيف ، والذي نقترحه على اطبائنا ان يحيوا فيا بينهم هذين الفعلين (خطف) و (أفرق) لخفتها ، ومثلها في الخفة وجدارة الاستعمال (أرك) و (أفاق) (وأثاب) . أما (أطرغشّ) و (تقشقش) فلا نشير بهما .

(القرحان) : المقروح اسم مفعول مشتق من القرح ومعناه الذي به قروح . اما (القُرحان) فعلى العكس اذ ان معناه الذي لم يُصب بقروح او الخالص من القروح : فالقرحان غير مشتق من القرح وإنما اشتقاقه جاء على حدّ ماء قراح اي صاف خالص من الشوائب . وهكذا الانسان القرحان فهو خالص من شوائب القروح . وهو اسم عام يوصف به الفرد والجمع والمذكر والمؤنث يقال : صبيٌ قرحان ورجال قرحان ونساء قرحان وامرأة قرحان . وجاء في حديث عمر رضي الله عنه ان الصحابة لما قدموا معه الشام وبها طاعون عمواس المشهور قالوا له : (ان معك من الصحابة قرحان فلا تدخلهم على هذا الطاعون) اي انهم خالصون من القروح لم يصابوا بها من قبل . فيفهم منه انهم لو لم يكونوا قرحانًا بل كانوا من قبل قد اصيبوا بقروح الطاعون ثم دخلوا كانوا غير معرّضين أو غير مستعدين لقبول الطاعون والإصابة بقروحه . ويفهم من الحديث ايضاً ان (القرحان) غير خاص بالسليم من الجدري — وان كانت عبارة اللغويين تفيد الخصوص — فانهم يقولون في تفسيره (القرحان من الصبية من لم يجدر) اي من لم تصبه قروح الجدري . وقال بعضهم (القرحان من لم يمسه قرح ولا جُدرى ولا حصبة) ، وينبغي ان يزاد عليه (ولا طاعون) استنتاجا من خبر عمر الآنف الذكر فيمكن استعمال القرحان — (ونشتق منه مصدراً فنقول القرحانيّة) — في من كان مستعداً لامراض خاصة . حتى اذا أُصيب بها واكتسب جسمه المناعة بسببها قيل انه غير قرحان وإنّ في جسمه (قرحانيّة) اي مناعة تقيه العدوى .

(الحِقاءُ والطَّسَأُ) أما الحقاء فهو اسم لوجع يأخذ الانسان في بطنه من أكله اللحم بحتاً ومن عوارضه الاسهال ويشتق منه فعل فيقال (حُقِي فلان) إذا اصابه الحقاء . فهل يكون «الحقاء» مرض (الاسقربوط) ؟ وهل يصح ان يطلق الحِقاء عليه او على نوع منه ؟

قلنا ان (الحقاء) ينشأ عن أكل اللحم بحتاً ومن عوارضه الاسهال . أما (الطسأ) فينشأ عن الاكثار من أكل الشحم والدسم : فيصاب المكثر منه بالتخمة وهذه التخمة تسمى (الطسأ) يقال فلان أطسأه الشحم .

وخلاصة القول ان اللحم المسبب للاسهال يسمى مرضه (حقاء) والدسم المسبب للتخمة يسمى مرضه (طسأ) .

(العَثَم) بالثاء المثلثة يكون في العظم وفي الجرح . أما عثم العظم فبأن ينكسر ثم ينجبر على غير استواء ، يقال عَثِمَ العظم اي ان تجبيره لم يكن محكماً . وبعضهم خص العثم بالكسر الذي يكون في اليد . هذا عثم العظم اما عثم الجرح فهو ان تعلو عليه الجُلبة وهي القشرة ولا يكون قد برئ .

(الصمخ وأضواته) الصمخ (بالخاء المعجمة) ان تصيب الشمس وجه الانسان فتترك فيه اثراً لا يتعدى ظاهر الجسم يقال : (صمخته الشمس)اما الصمحُ بالحاء المهملة فان يتعدي أثر إصابة الشمس الى باطن البدن كالدماغ يقال صمحته الشمس ومثله(دمغته) و (رعنته) و (ضربته) كلها بمعنى انها آلمت دماغه فاسترخى وغُشي عليه و (ضربة الشمس) معروفة بين الاطباء ويسمونها ايضاً الرعن (بسكون العين . وفتحها خطأ) ولو سميت ضربة الشمس بالصمحة (بالحاء المهملة) لكان حسنا اما (الدمغة) فقد اشتهر لها معنى آخر

(الحُماق والجدري) الجدري مرض معروف وفعله (جُدِر) على البناء للمجهول والوصف منه مجدور . وهناك مرض آخر سماه العرب (الحماق) وقالوا هو شبه الجدري تتنفّط بثوره وتتفرق في البدن . والمصاب به يسمى (محموق) . وقولهم شبه الجدري يدل على انه ليس به وانما بثور هذا تشبه بثور ذاك .

فلعل الحماق هو ما يسميه العامة (جدري المي) (الماء) وهو بثور تتنفط لكنها لا تميت ولا تشوه الجسم

(**الدوام والدوار**) الحالة التي تعتري الانسان فتجعله يشعر كأن رأسه يدور او كأنه هو يدور — تسمى (الدوار) (بضم الدال وتخفيف الواو) ومثله (الدوام) بالميم وزنا ومعنى · وفي (الدوام) ايضا معنى الدوران ومنه التدويم : يقال دوّمت الخمر شاربها اذا اخذه (الدوام) وتدويم الطائر دورانه وتحليقه في الفضاء · ومنه ايضاً (الدوامة) وهي لعبة للصبيان : يلفون عليها الخيط ويلقونها على الارض بشدة فتدوّم اي تدور طويلاً و (الدوخة) بمعنى الدوار ليست فصيحة اما فعلها وهو (دوّخ) ففصيح يقال : دوخ الوجع رأسه اذا اداره فاشتق العامة من هذا الفعل كلمة (دوخة) واصل معنى التدويخ التذليل والاخضاع ومنه تدويخ الفاتحين للبلاد · وهناك نوع من الدوام يصيب الانسان في البحر وقد سماه العرب (هُدام) قال ابن دريد الهدام [داء يصيب الانسان في البحر] ولا يريد بالداء الا هذا الدوار وربما كانت كلمة [داء] في عبارته محرفة عن [دوار] · فاذا خصصنا الهدام بدوار البحر فلنخصص [الدوام] بدوار الهواء كما اذا حصل شيءٌ منه لركاب طائرات الجو · و [الدوخة] — اعتباراً بان لها اصلا في اللغة العربية — نخصها بما ينتج عن مرض او وجع او رائحة خبيثة · وتبقى كلمة [الدوار] عامة لكل انواع الدوار · على ان القول الفصل في ما ذكرنا راجع الى أطبائنا الافاضل ·

(**الأَطْم والأَسر**) : الامساك عن النجو والبول يقال له في اللغة [أَطَمٌ] و [ائتطام] فاذا قالوا ائتُطم على فلان بالبناء للمجهول كان المعنى انه حُصر بوله او نجوه · اما انحباس البول وحده فهو [الاسر] وفعله [أُسر] بالبناء للمجهول ايضاً · و [أخذه الأُسر] اذا اصيب بهذا المرض · وضد الأُسر [السرح] وهو انفجار البول بعد انحباسه · وماء العين الفلانية مبولة :

اي تسبب ادرار البول . و [التفسرة] هي البولة ينظر اليهـا الطبيب فتفسر له المرض ويستدل بها على جنسه . واذا كان [الأسر] خاصًا بانحباس البول و [السرح] بضده فلتخص [الاطم والائتطام] بانحبـاس النجو . اما [التفسرة] فتعمم في كل نتيجة فحص طبي سواء أكان المفحوص البول او النجو او الدم او ضغطه أو أياً كان .

فلان (عميدُ وجعه معدته او عميد وجعه في معدته)

يريدون بهذا التعبير ان الغالب على فلان او ان معظم السبب في مرضه هو معدته . قال ابن الأعرابي [وكذلك كل موضع غلب عليه وجعه] . فاذا كان في معدته قيل عميد وجعه معدته وان كان في قلبه او كبده او وركه قيل كذلك . فابن الأعرابي — أحسن الله اليه — وسّع ولم يضيق

(التأب والتوصيم والثقل) الثَّقَل بفتحتين اشتداد المرض وفعله من حدّ علم . أما ضد الخفة فمصدرها ثِقَل [بكسر ففتح] وفعلها من باب حَسُن . وقد يكون المرض خفيفًا فيشعر الانسان بفتور وتكسر واسترخاء في بدنه . وهذا الفتور يسمى في اللغة [توصيماً] و [ثأباً] وفعل ثأب [ثئب] من باب علم . ومن الثأب اشتقت كلمة [الثُؤباء] لأنها أثر من آثار ثأب الجسم وتوصيمه . على ان كلمة [التوصيم] تصلح للاستعمال في علم النفس أيضًا : فان ضعف الإرادة اذا غلب على المرء شعر بتثاقل في جسمه . وهذا التثاقل أو الكسل يصح ان نسميه [توصيماً] بدليل ما قاله لبيد احد أصحاب المعلقات :

(واعصِ ما يأمرُ توصيم الكَسَل)

وربما كان لبيد أول من نقل [التوصيم] من معنى فتور الأجسام مرضًا الى معنى فتور النفوس والأرواح خُلُقًا . ومهما يكن فان كلمة [التوصيم] قد يحتاج اليها او ينتفع بها في علم النفس .

(**الخُزَرَة**) على وزان همَزَة ويجوز ان تكون خَزْرة على وزن تمرة اي بفتح فسكون — هي الداء الذي يأخذ في مستدق الظهر · بفقرة القَطَن · والقطن آخرُ فقرات الظهر بين الوركين · وتسمى العَجْب وعجب الذنب · قال الشاعر:

(داوِ به ظهرك من توجاعه   من خُزَرات فيه وانقطاعه)

(**الرِزّ والرِزّيزي**) أصل معنى [الرِزّ] بكسر الراء الصوت الخفي ثم نقلوه الى معنى [وجع البطن] ولعل الأمعاء في بعض أوجاع البطن يكون لها مثل هذا الصوت الخفي · وانما قلنا ان [الرِز] بكسر الراء لئلا يشتبه لفظها بلفظ [الرُز] وهو الحب المأكول فإن راءه مضمومة · والأفصح فيه [أرز] بهمزة في أوله

كتب ابو اسحق الصابئ الى الببغاء الشاعر المعروف أبياتاً في صفة طير [الببغاء] منها قوله :

زارتك من بلادها البعيدة   واستوطنت عندك كالقعيدة
ضيفٌ قِراه الجوز والأرزّ   والضيف في إتيانه يعزّ

فأجابه [الببغا] بأبيات وصفها فيها أيضاً منها :

ذات شَفاً تحسبه ياقوتا   لا يرتضي غير الأُرزّ قوتا
كأنما الحبة في منقارها   حبابة تطفو على عُقارها

وقد استعمل الشاعران [الأُرزّ] ولم يقولا [الرزّ] مع ان الببغا كان يمكنه ان يقول في البيت الثاني [كأنما الرزة في منقارها] مكان [كأنما الحبة في منقارها] لكنه لم يقله · فهذا يشعر بأن قولنا اليوم [الرزّ والرزّة] غير فصيح · اما كلمة [الشغا] بالغين المعجمة وأصل معناه عدم التئام اسنان الانسان فيكون بعضها قصيراً وبعضها طويلاً وبعضها متقدماً وبعضها متأخراً · والوصف منه أشغى والمؤنث شغواء : فالببغا شغواء اي ذات شغا · وليس لها اسنان حتى تكون ذات شغا وانما هي ذات منقار · والشغا في منقارها ظاهر أتم الظهور : فان الشق الأعلى

م (٣)

منه أطول من الشق الأسفل · على ان استعمال الشغا في المنقار فيه تسامح أو توسع او ان فيه شيئًا من إلغاز ·

نرجع الى ما كنا فيه من ان (الرزّ) بمعنى وجع البطن · ومثله (الرزّيزي) ويمكننا ان نصطلح على التفرقة بينهما فنسمي الوجع الخفيف بالرز والشديد بالرزيزي اقتداء بالعرب فان الكلمة اذا كانت قليلة الحروف دلت على شيء يكون قليلاً او صغيراً فاذا كان الشيء كبيراً او كثيراً زادوا في حروف الكلمة الدالة عليه وهذا كالشقدف وهو هودج الحجاج وفي سواد العراق هودج اكبر من الشقدف يسمونه (شقنداف) بزيادة نون والف قال الزبيدي في مستدركه : سمعت بعض مشايخي يقول : مر رجل على عراقي فقال : ماتسمون هذا عندكم ؟ قال الشقنداف ، فقال : أليس هو الشقدف نفسه ؟ قال لا ، ألا تدري ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وشقندافنا اعظم من شقدفكم واوسع جرما اه ·

(**شغا . رتل**) مرّ معنا آنفًا بمناسبة الارز ومنقار الببغا معنى الشغا · وقلنا إنه في الانسان عدم استواء اسنانه طولاً وقصراً وتقدمًا وتأخراً ومثل [الشغا] او هو أشد منه [التشاخس] ، فالاسنان المتشاخسة تكون (عدا شغاها) متعوجة او متهتمة (اي متكسرة) او ساقط بعضها كما هي الحال في الشيوخ الهرمين ، وضد الشغا والتشاخس (الرَّتل) وهو ان تكون الاسنان مستوية منسقة (لاترى فيها عوجا ولا أمتا) وأصل معنى [الرتل] في كل شيء ان يكون على استقامة وحسن تنضيد · والوصف منه [رتل] ككتف يقال ثغر رتل اي لاهو أشغى ولا متشاخس · ويقال كلام رتل اذا كانت الفاظه متناسقة منفصلة لاعجلة فيها فتفهم بسهولة [وَرَتِّلِ القرآن ترتيلاً] واستعمل الكتاب المعاصرون [الرّتل] اسمًا لقطار السكة الحديدية من حيث ان العربات فيه مرتبة متناسقة تتتابع على استواء · واخيراً أخذ رجال التعليم

العسكري كلمة الرتل فسموا بها نوعاً من تصفيف الجنود وادخلوها في جملة اصطلاحاتهم وإيعازاتهم [أو أقول مكان إيعازاتهم صوادعهم] .

(**الأسغال والأسغان**) احداهما باللام والاخرى بالنون وكلتاهما بالغين المعجمة جمع سغل وسغن وفسروهما بالاغذية الردية . يقال في صدد وصف القوم بالعدم وسوء الحال : انهم يتعيشون بالاسغان . واذا تمادى بهم التعيش بالاسغان ضؤلت أجسامهم وأصابهم الضعف والهزال . واكثر مايستعمل (السغل) و (السغن) في امراض الخيل : يقال فرس سغل ككتف ، واستعمل ايضاً في امراض الاطفال يقال : صبي سغل وسغن ووغل ، اذا كان سيء التغذية . وهذا بالطبع يؤدي الى الهزال وضؤولة الجثة [1]

* * *

انتهى ماالبه قصدنا من شرح الكلمات اللغوية التي لها علاقة بالطب والاطباء وقد رأى القاريء اننا لم نتعدّ في التعليق الى مالا نعلمه من علم الطب وانما اقتصرنا على مارأينا علماء اللغة والادب نالوه في كتبهم . اما كيفية الانتفاع بهذه الكلمات واستعمالها وتطبيقها على ماوصلت اليه الحقائق الطبية في هذه الازمنة المتأخرة — فهو من وظائف الاطباء أنفسهم . والقول الفصل فيه لهم لاغيرهم .

المغربي

---

(١) شرحنا الكلمات الموعود بها كلها ماعدا ماذلّ منها على بعض الامراض النسائية وهي المهاء والضهياء والفصع الخ فاننا لم نستحسن الافاضة في التعليق عليها اكتفاء بحرص من يهمه شأنها فان حرصه يحمله على مراجعة ماجاء في معاجم اللغة عنها وماقالوه في تفسيرها .

آراء وملاحظات

بشأن دروس العربية والمراقبة المدرسية

جاء في مأثور الكلام عند العرب قولهم : « لايكذب الرائد قومه » ، وانا احد رواد قومي بالشرق العربي في فن التدريس لاني زاولته منذ بلغت التاسعة عشرة من عمري الى ان نيفت على الستين وان كنت قد زاولت معه في القسم الاكبر من تلك السنين الكتابات الصحافية وغير الصحافية . ويطيب لي اليوم ان ادلي بآراء لي في هذا السبيل احسبها صوابًا ولعل التجارب الطويلة لاتخونني في حسباني ولعل الفائدة التي اتوخاها من ورائها لاتفوت طلابها .

ولاجل حسن الاستيعاب وتمهيد الطريق امام القارىء اقول ان ماادلي به الساعة ينحصر في خمسة أوجه هي هذه : — تدريس قواعد البيان العربي — تاريخ الادب العربي ازاء غيره من علوم العربية — العناية بالانشاء الشفاهي والخطابة — ادخال درس جديد مستقل — ماالمعول الاكبر في مراقبة التدريس والمدرسين . —

* * *

الوجه الاول

تدريس قواعد البيان العربي

ان علم البيان عندنا المشتمل على فنونه الثلاثة المعاني والبيان والبديع قوامه بسط جزئيات لطيفة دقيقة في الانشاء مثل احكام القصر والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والفصل والوصل وحمل الكلام على خلاف مايقتضيه الظاهر ومثل تقسيم ضروب المجاز الى تشبيه وكناية واستعارة ومجاز مفرد ومجاز مركب يسمونه ايضًا التمثيل على سبيل الاستعارة ومثل الاشارة الى اساليب وقوالب رشيقة سموها محسنات بديعية وفي طليعتها حسنًا التورية والمشاكلة والتلميح والطباق

والمقابلة والمغايرة والادماج ومراعاة النظير والاستخدام والمبالغة والطي والنشر والاحتراس والتهكم . فهذه الابواب كلها لاتخرج عن كونها احوالاً جزئية للجملة فهي لاتعد من اركان البلاغة الكلية الاساسية مثل تنبيه الدارس على الشروط الجوهرية الواجب عليه مراعاتها في كل موضوع من موضوعات الكلام في المقالات والمباحث والخطب والرسائل وفي طليعة تلك الشروط حسن الالتفات الى مكان القول وزمانه واحوال الناس الذين يوجه اليهم الكلام ونسبة المتكلم اليهم ومقامه لديهم ومثل المواضع اللائقة بالاطناب او بالايجاز او بالمساواة واللائقة برشاقة الكلام ورقته او بجزالته وفخامته ، والنواحي التي يجب على البليغ ان يحرص عليها ويتسلح بها في كل مقام ومن تلك المقامات الرثاء والتعزية والتهنئة والمديح والمودة والغرام والهجاء والعتاب والاعتذار والشفاعة والحماسة والخضوع والندم والتوبة والشكر والمداعبة والأمل واليأس والتدين الخ ... فلا بد للمعلم ان يحرص على هذه الكليات الضرورية غير مكتف بتلك الامور الجزئية المدونة في كتب البيان عندنا . ولا ننكر ان جزءاً من هذه الضروريات ورد استطراداً في بعض كتبنا البيانية . ولكنه مبعثر غير مجتمع الشمل ولا قريب المأخذ ولا مستوفي الايضاح والفائدة ولا مدعوماً بالامثلة والتمارين . فلا بد لاستاذ البيان في مدرستنا ان يتدارك بجهده مواضع هذا النقص والتقصير بلسانه ومذاكراته وتذليله ريثما ينهض جماعة من اكابر ادبائنا في هذه الايام فيؤلفون كتباً في البيان على النمط الجديد الجامع المانع مما أشرنا اليه هنا غير ناسين علاوة على ذلك ان ينبهوا الدارس على وجود اشتراك عظيم في بعض اساليب الكلام بين المعاني والبيان والبديع وقد اختلفوا في تسمية بعض هذه المشتركات واتفقوا في تسمية بعضها الآخر الامر الذي اشرت اليه في احد مؤلفاتي منذ عشر سنوات . ثم في بحث نشرته لي مجلة المقتطف السنة الماضية .

ويترتب أيضاً على استاذ البيان والانشاء العربي عند كل فرصة سانحة —

اذا كان مطلعاً على احدى اللغات الافرنجية — ان يذكر لتلاميذه بالتدريج فوارق الانشاء العربي والانشاء الافرنجي لكي يقيهم من السقوط في كثير من قبح وسخافة الترجمة الى العربية الذي استفاض في اقلام معظم كتابنا وادبائنا هذه الايام الى حد شائن فظيع كاد يقلب محاسن ادبنا العربي رأساً على عقب وآخر ماوقفت عليه وغاظني من ترجماتهم المختلفة السخيفة قولهم المتواتر « الوطن الام » كما يقول الفرنسيون ولفظ الوطن عندهم مؤنث وهو عندنا مذكر ، فان لم نجد مندوحة من نقل هذا التعبير المجازي عندهم بقالبه الى لساننا فلنقل على الاقل « الوطن الاب » لا « الوطن الام » والا فلعلنا غداً او بعد غد نجاريهم ايضاً في هذا السبيل فلا نقول : « ان الوطنية هي امنا » حسبما تقضي به لغتنا . ولفظ الوطنية عندنا مؤنث . بل نضطر ان نجاريهم ونقول مثلهم : « ان الوطنية هو ابونا » ولِمَ لانسقط في هذه الهاوية الجديدة ، ولفظ الوطنية عندهم مذكر لامؤنث . وقد لايحول علينا الحول باذن الله حتى نقول مماشاة لهم في التذكير والتأنيث : « هذا الشمس قد طلع فكان جميلاً نافعاً » وهذه القمر قد أسفرت فكانت لطيفة مؤنسة ... » وحينئذ اسمح لنا ياشيخنا ابا العلاء المعري ان ننشد معك :

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

* * *

الوهم الثاني

تاريخ الادب العربي

ان مدارسنا لقريبة العهد بهذا العلم الممتع « تاريخ علم الادب » فلم يدخل في براجها الا منذ ثلاثين سنة او نحوها . وانما تنبهنا الى تكوينه علماً منظماً حسن الترتيب والتبويب في هذه السنوات الاخيرة . واظن المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال كان أسبق المؤلفين الى هذا المضمار أو أحد السابقين منهم .

ولا ننكر ان أمم أوربا الحديثة هي أول من شق هذا الطريق في الوان العلم والأدب فحذونا حذوها وكان الصواب نصيبنا . ولم يكن مفقوداً بيننا من هذا العلم الا قالبه الفني على صورة تدريسية مجدية سهلة المنال . وأما مواده الأولى وعناصره الأصلية فكانت موجودة في أمهات كتبنا منذ عدة قرون . ويكفينا ان نذكر منها كتاب الفهرست لابن النديم . ووفيات الأعيان لابن خلكان . ويتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي . هذا فضلاً عن نبذ عديدة نفيسة تتخلل موضوعات أخرى أدبية في كتاب الأغاني للاصبهاني وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . وغيرهما من الكتب القديمة القيمة . ولكن هذه العناصر الغالية من تاريخ علم الادب المبعثرة في عدة أماكن لم يكن ينتبه اليها ويحسن استخراجها والانتفاع بها الا أكابر الأدباء فيتمكنوا ان يضربوا بسهم صالح من هذا العلم على تردده بين عالم الشهادة وعالم الغيب . وأما الأدباء المتوسطو الدرجة وطلبة العلم والذين لهم شيء من العلم والثقافة من سائر الناس فلم يكونوا يحرزون من هذا العلم كثيراً ولا يسيراً . وكان الواحد منهم لا يستبعد منه ان يخلط بين عصر امرئ القيس وعصر المتنبي . ولا بين عصر جرير وعصر عبد الغني النابلسي ولا بين أئمة اللغة والأدب وبين علماء الرياضيات وبين رجال المنطق والفلسفة وبين المشتغلين بأحكام الدين والشريعة او المنصرفين الى تصنيف كتب السير والمغازي والرحلات والتاريخ العام وخطط البلدان وهو علم الجغرافية . وهذا قصور يحز في الصدور فالفضيحة والعار عن يمينه ، والجهل المطبوع عن يساره .

ان أول ما يترتب علينا في دراسة تاريخ الأدب العربي توقي هذا القصور مما يطالب به التلميذ ولو لم يجز صف الشهادة الابتدائية فاذا اجتازه مسافة قصيرة أو طويلة وجب عليه أن يتقدم على هذه النسبة في ميدان هذا العلم باطلاعه على تفاصيل متفاوتة ولكن على غير اسراف في الموازنة بين جماعة من مشاهير حملة الأقلام العربية مع الالتفات الى فوارق المجتمع عيشةً ومدنيةً وسياسةً وإدارةً مقرونة بعوامل أخرى خصوصية – اذا وجدت — وهذه الاعتبارات لا بد من

اتخاذها مقياساً صحيحاً عادلاً عند الحكم على أطوار تاريخ الأدب العربي وهي طور الجاهلية والمخضرمين والطور الأموي وهو طور صدر الاسلام ثم الطور العباسي وهو أطول الأطوار أمداً وأخصبها بالحوادث والكوارث ثم طور الانحطاط الذي انسلخت عنه نهضتنا الأدبية الحديثة ثم طورنا الحاضر ٠

قلت ينبغي لمدارسنا أن تضع بين أيدي طلابها امثال هذه المعلومات ولكن على غير اسراف ٠ وهذا الاستدراك هو بيت القصيد ونقطة المركز مما توخيناه هنا ٠ فان معظم مدارسنا أسرفت في الاتجاه الى هذا العلم اسرافاً مستغرباً ليس تحته كبير طائل مع ما يستلزمه من زيادة عناء واضاعة وقت بحيث يعوق الطالب عن حسن تحصيل غيره من علوم العربية ، كالاطلاع الكافي على أحكام الصرف والنحو والبيان وعلى طائفة كبيرة من أوضاع اللغة وعلى العروض والقافية ٠ فقد نرى هذه العلوم لا تمنح كلها معاً من الأوقات الدراسية إلا بقدر ما يجودون به على علم تاريخ الأدب وحده وهكذا تخرج ناشئتنا المدرسية قوية في هذا العلم وحده الى حد الحشو والفضول ضعيفة في تلك العلوم كلها وما أشبه الشاب منها حينئذ بمن يكتسي حلة ملؤها الخلل وعدم الذوق اذ ترى سدرته وحدها استغرقت نصف جسمه أي من عند عنقه الى منتصف بطنه ٠ أما معطفه فقد قصر عليه وشمر عنه الى منتصف ظهره وكذلك سرابيله شمرت عنه الى ما فوق ركبتيه وبقي مع هذا الزي الغريب حاسراً حافياً ليس على رأسه طربوش أو قلنسوة ولا يستر قدميه جورب ولا حذاء ٠ فتأمل هذا المنظر الذي لا يصلح إلا لملاعب التمثيل في رواياتها الهزلية ٠ أو ليس من مبكيات الدهر ومضحكاته أن نرى هذا الفتى من فتيان المدارس يلقي عليك من محفوظه كل بادرة ونادرة من سيرة الفرزدق مثلاً ووجوه التعصب لأبي الطيب المتنبي ووجوه التعصب عليه ويسرد عليك أخبار مغامراته كلها لا يخرم منها الى ما يشبه هذه التفاصيل ثم تراه مقصراً في بقية علوم العربية تقصيراً لا يغتفره الاستاذ المخلص الخبير لمن هو دون هذا الشاب بثلاث سنوات في تحصيله العلمي ٠ سل هذا الشاب بناء اسم المفعول

من هاب فيقول « مهيوب » او يقال « مهاب » والصحيح « مهيب » بفتح الميم ، ثم سله مارأيك في لفظ تحابب وتضادد — بضم الباء الاولى والدال الاولى — فلا يجد فيها مطعناً . والصحيح ان يقال تحاب وتضاد بتشديد الباء والدال . اذ لايجوز فك الادغام في هذين اللفظين وامثالهما . وهو لايجد نكيراً ان نقول من استقل استقلينا ، ومن استمد استمدينا . والصحيح استقللنا واستمددنا . كما يستصوب ان نقول له او يقول لنا شهور الشتاء وأشهر السنة . والصحيح أشهر الشتاء وشهور السنة . باستعمال كل من جمع القلة وجمع الكثرة في الموضع اللائق به ، كما انه يستصوب قول القائل : هـذا النسيج أحمر من ذاك . والصحيح اشد منه حمرة .

فاذا انتقلنا بفتانا من هذه الشذرات الصرفية الى شذرات نحوية لم نجده فيها احسن حظاً ولا ارسخ قدماً . فهو لايعرف موضع الخطأ في قولهم : سبعـة عشرة ورقة . والصحيح « سبع عشرة ورقة » ولا في قولهم : « المتعصبون تعصباً دينياً يلامون الا الجاهلون منهم » والصحيح « الا الجاهلين منهم » ولا في قولهم : انتم ذوو الغنى واليسار يجب عليكم اسعاف الفقراء والمحتاجين والصحيح « انتم ذوي الغنى واليسار الخ » لان هذا الموضع من مواضع الاختصـاص المحسوب من فروع المفعول به وحظه النصب . ثم هو لايعلم الفرق بين قولنـا سافر بكر وخالد ، باستعمال واو العطف . وقولنا سافر بكر وخالدا . باستعمال واو المصاحبة . والعبارة الاولى لاتعين ترافقهما او عدم ترافقهما في السفر ، واما العبارة الثانية تتعين الترافق . كما انه يجهل الفرق بين قولنا : عليك أباك . اي الزمه وارع حقه ، فعليك اسم فعل ، وبين قولنا عليك أبوك . أي أنه يؤاخذك او يعارضك في امر من الامور فعليك جار ومجرور . ومن هذا الباب قولنا : دونك زيداً . أي أقبل عليه . وقولنا دونك زيد . اي ان مرتبته تحت مرتبتك . بجعل دونك ظرف مكان متعلق بخبر مقدم محـذوف وقـد لايخطر لهذا المسؤول على بال وجود فرق بين قولنا « اجتزنا حقول القرية حتى

سواقيها » بفتح الياء من سواقيها ، وقولنا : « اجتزنا حقول القرية حتى سواقيها » باسكان الياء ، مع ان هناك فرقا لايجوز التغاضي عنه فالعبارة الاولى تفيد اننا اجتزنا السواقي كما اجتزنا الحقول ، فحتى في العبارة هي حرف عطف . والعبارة الثانية تفيد اننا لم نجتز السواقي بل توقفنا عن السير عندما بلغناها . فحتى في العبارة الثانية هي حرف جر لانتهاء الغاية . ثم ان المسؤول لانظنه يحس بخطأ في قولنا « مهما يسعى المنافق تصيبه الفضيحة » مع ان في العبارة خطأين والصواب ان يقال : « مهما يسع المنافق تصبه الفضيحة » او ان يقال : « مهما سعى المنافق فتصيبه الفضيحة » او : فالفضيحة تصيبه . او مصيره أو عاقبته أو عقباه واذا سألنا احد الفصحاء : « أما سافر اخوك » فاجابنا نعم . أو أجابنا بلى . فنعم في مثل هذه الحال تفيد ان اخاه لم يسافر ، وبلى تفيد انه سافر . واذا قلنا « ماخنت عهدك ابداً » فهو خطأ صوابه « ماخنت عهدك قط » ومثله في الخطأ اذا قلنا : « لاأخون عهدك قط » وصوابه « لااخون عهدك أبداً » ومن الخطأ ان نقول : « لما يزورني ابن عمك اكرمه » والصحيح : حينما يزورني او عندما يزورني اكرمه ، ومن الخطأ الشائع في أعلام جمهور من كتاب هذه الايام قولهم : « سوف لااعول على فلان » والصحيح لن اعول على فلان » فهذه اللطائف كيف ينتظر من ناشئة مدارسنا ان يدركوها ويعرفوا اسبابها ، مادام درس تاريخ الادب يستغرق من اوقاتهم واوقات معلميهم ومن جهود الفريقين مايستغرق على غير ضرورة ولا فائدة ثقافية تستحق الذكر . ولعمر الحق لاأدري ماالغنيمة العلمية العظيمة التي يحرزها طالب العلم اذا اطلع على عشرة اخبار من اخبار للاخطل مثلا شاعر الدولة الاموية بحجة ان يستوعب المؤثرات الجوهرية على منظوماته في بعض نواحيه مع ان هذا الغرض نفسه يمكن بلوغه بالاطلاع على ثلاثة أو أربعة اخبار من سيرة هذا الرجل عوض الاطلاع على عشرة اخبار . والامر المهم الذي لايجوز ان يبرح ذهن احد ان من اراد من ناشئة المدارس التوسع في تاريخ علم الادب امكنه ذلك على اهون سبيل

بعد ما يفارق طور التلمذة بمطالعات كافية في كتب هذا العلم غير محتاج مطلقاً في سبيل هذا التوسع الى اعنات ذهن ولا الى ارشاد معلم . وهيهات ان يكون الأمر كذلك اذا احس هذا الفتى بتقصير في الاطلاع على أصول الصرف والنحو والبيان والعروض ولطائفها ووقائعها فان معظم ما يفوته من هذا القبيل يعوزه فيه إرشاد أستاذ ضليع مع كد ذهن واتخاذ تمرينات جمة الأمر الذي لا يتيسر له إلا وهو بين جدران مدرسته تحت أنظار معلميه ووسط طلاب علم مثله يذاكرهم ويذاكرونه حيناً بعد حين . وانى لهذا المنكود الحظ اعادة فائت لم يحسن استغلال خيراته . ولماذا ؟ الجواب لكي يتفرغ تماماً لسيرة الأعشى وديك الجن الحمصي وامثالها فلا يكاد يفوته شيء من بركات غدواتهم وروحاتهم . . . .

فاذا انتقلنا بالفتى المسؤول من احكام علم النحو الى أحكام علم البلاغة اي المعاني والبيان لم نجده فيه ابير نجاحاً ولا أحد سلاحاً . ولعله يشخص اليك ببصره حائراً مستنكراً اذا أخبرته ان قولنا : « اجاركم في بيتكم أم في بيته » تركيب خطأ والصحيح « افي بيتكم جاركم أم في بيته » وكذلك اذا حكمنا أمامه بالخطأ في سوء استعمال القصر ويسمى أيضاً الحصر عندما يسألنا سائل « أشاعر يوسف أم لا » فنجيبه « انما شاعر يوسف » وصوابه : « انما يوسف شاعر » واما العبارة الأولى « انما شاعر يوسف » فلا يعرج عليها البليغ الا اذا أراد تعيين الشاعرية بين يوسف وغيره من الناس . . ولا نظن التلميذ المقصود جس نبضه ادبياً يدرك المعنى المراد في بيت عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي من معلقته :

ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

فالبيت يشتمل على معنى دقيق عن طريق الكناية وهي أحد أركان فن البيان . والذي أراده الشاعر أنه هو وقبيلته بني تغلب إذا وردوا الماء ومعهم دوابهم لم يجسر غيرهم من القبائل والعشائر أن يزاحموهم عليه فيردونه ويشربون ويسقون دوابهم ومياهه لا تزال صافية فاذا صدروا عن ذلك المنهل وقد اضطربت مياهه

بأقدامهم وبحوافر خيلهم وأخفاف ماشيتهم نغشيه الطين والوحل تقدم غيرهم فوردوا وشربوا • ففي البيت رشاقة تعبير وحسن تصوير • ولكن أبا تمام من شعراء الطور العباسي لم يحرز مثل هذا التوفيق وأن كان موفقاً في كثير من شعره حين قال :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وان أبا الحسين كريمُ

فالعطف في هذا البيت منافٍ للبلاغة لعدم وجود جامع موافقة أو جامع مضادة بين المعطوف والمعطوف عليه أي بين مرات الفراق وكرم أبي الحسين فالتركيب لا يقل سماجة عن قول القائل « فلان عالم والغراب طائر » •

فهذه الطرق البيانية أجنبية عن فتانا المراد امتحانه المولع بحركات وسكنات النابغة الذبياني وأبي عبادة البحتري • • • والمنتظر أن تكون بضاعته من العروض والقافية ومتن اللغة أقل وأحط من بضاعته في الصرف والنحو والبيان فلا نظنه يعلم جوازات البحور ولا نظنه يحسن التمييز بين الأبحر التي يشتبه بعضها ببعض كالرجز والكامل والهزج ومجزوء الوافر ولا شك أنه يجهل عيوب القافية كما كما يجهل احدنا اراضي القطب الشمالي او القطب الجنوبي ، واما علم متن اللغة فهو علم لا يمكن حصره واستقصاؤه ، ولكن يطالب دارس العربية بحفظ نخب حسنة منه في الالفاظ المترادفة والمشتركة والاضداد والمثلثات ونخب من قيود الاصوات والاولاد والمنازل وترتيب درجات الساعات ليلا ونهاراً ودرجات الجبال والانهار والطرق والآثار والحب والبغض والخوف والحزن والسرور والكرم والبخل والعقل والجنون واطوار العمر البشري واشباه ذلك - وليس من نبل العلم ان يفوته مثلا في متن اللغة الفرق بين كسا وكَسِيَ فضَر وبين فضُل وبين رؤية ورأي ورؤيا ، وبين وجود ووجدان ووُجد وجدة وموجدة •وان انتمت كلها الى وجد بفتح الجيم ووجد بكسر الجيم • وبين اب ووالد ، وعام وسنة وحجة - وبين نظرت الشيء ونظرت اليه ونظرت فيه ونظرت لفلان ، وبين كتبت الى فلان وكتبت لفلان ، وبين ماأحب فلاناً الي ، وما أحبه لي •

ان هذه الفرائد في متن اللغة وتلك الاحكام في الصرف والنحو والبيان

والعروض لو وعتها ناشئة مدارسنا ودربت بها اذهانهم والسنتهم لساعدتهم فضلا عن فوائدها لذاتها حسن النظر وصحة الفحص والتمييز والحكم في الآثار الادبية نثراً ونظماً مساعدةً عظيمة لايتأتى لهم الا الشيء اليسير منها في حالتهم الحاضرة مع مايأخذون به انفسهم من التفصيل والتطويل في تاريخ علم الادب .

وهذا قدر كافٍ لتفنيد الخطة العوجاء العرجاء التي نجري عليها بالتوسيع على تاريخ علم الأدب في برامج التدريس والامتحانات مع التضييق على سائر علوم العربية . خطة ان كانت نتيجة سهو وغفلة فالامر قبيح . وان كانت نتيجة كسل وتطلب راحة — لان تاريخ علم الادب لايتطلب من العناء مايتطلبه درس القواعد — فالامر أقبح — . وان كان نتيجة ضعف ثقة بمقدرة الاساتذة في دروس القواعد فالامر بالغ منتهى القبح . وان كان الامر نتيجة للاسباب الثلاثة معاً فلا تحضرني عبارة لتصوير قبحه وفظاعته .

* * *

الوجه الثالث

العناية بالانشاء الشفاهي والخطابة

لابد من العناية تماماً بهذا المطلب وهو يقتضي تمريناً وتيقظاً وانتباهاً لاسيما في تقسيم كل موضوع الى اجزاء فرعية مع حسن ترتيب لها وفي حفظ المفردات والمركبات الممتازة بلاغة ودقة اداء حين يرى التلميذ هذه المفردات والمركبات جديدة على سمعه وهو يتلقاها من لسان استاذه او من القطعة التي عرضت على تلاميذ الصف لكي يترووها ثم يحتذوها بغير اختصار ولا تطويل وتفصيل او بالاختصار او بالتطويل والتفصيل حسبما يرى الاستاذ ويقترح عليهم . واحياناً كثيرة حسبما يسمح به وقت الدراسة . والانشاء الشفاهي يتناول المواضيع الخفيفة السهلة المأخذ وهو يصلح للصفوف الابتدائية والصفوف المتوسطة من رسائل وحكايات وملاحظات . والخطابة تصلح للصفوف العالية وتتناول موضوعات

أسمى وابجاثاً هم • وفي كلا الغرضين الانـشاء بالخطابة لابد من رسم اجزاء الموضوع المطلوب على لوح الصف الكبير الأسود فاذا رأى الاستاذ ان تأسيس الموضوع يعسر على الطلاب تولى وحده تأسيسه أي رسم اجزائه كلها على اللوح واذا أحس أن تأسيسه غير عسير على جماعة من الطلاب • تمهـل عمداً في هـذا التأسيس أي في رسم الاجزاء وكلما رسم منه جزءاً سألهم ان يفكروا في جزء آخر الى منتهى العمل • فاذا فرغ من رسم الاجزاء عاد فتناولها على الترتيب واحداً واحداً مقترحاً على كل تلميذ ان يسرد ارتجالاً الجزء المطلوب او جانباً من هذا الجزء ثم يتناول على التعاقب الاجزاء التي تليه موزعة على تلميذ ثان فثالث فرابع طبقاً لما تقتضيه الحال • واخيراً يكلف احد المتقدمين من طلبـة الصف القاء الموضوع باسره وربما استصوب ان يعقبـه هو ايضاً فيعيد سرده كله بعبارات أنصع • ولا بد ان يحرص الاستاذ في اثناء هذا الدرس بوجه خاص على استعمال اللغة الفصحى هو وطلابه في كل سؤال وجواب وشرح واعتراض •

* * *

الوجه الرابع

ادخال درس جديد

نحن اليوم في بلاد الشرق العربي نخوض طور انتقال سياسي واداري واجتماعي طور انتقال جديد عظيم الشأن ولا سيما في تكوين قوميتنا وتعزيز وطنيتنا ومكافحة كل مايماكس هذا المأرب الشريف او يعوق سيره من تقاليد وعادات وأوهام وادعاءات باطلة توارثناها منذ عصور • وقد حان لنا ان نبيدها قبل ان تبيد معزتنا وراحتنا وكرامتنا وأمانينا الذهبية • هذا الطور الجديد يتطلب درساً جديداً يتلقنه ناشئة المدارس يتعلق بهذا المأرب • وهذا الدرس الجديد يتطلب وضع كتاب بهذا الصدد عنوانه « القومية العربية » يتناول المباحث الجوهرية المتعلقة بها وفي مقدمتها موجبات هذه الوطنية ووسائلها ومحاسنها والمخاطر التي تتعرض

لها وأعظمها التعصب الديني والنعرات الطائفية . ولا بد ان يجعل الكتاب في ثلاثة مجلدات وجيز ومتوسط ومفصل ، يعين كل منها للصفوف التي يلائمها ، ويعهد بتصنيف الكتاب في مجلداته الثلاثة الى لجنة من كبار العلماء والادباء فتتقاسم ابوابه وفصوله ؛ واذا اخرجته المطابع وجب استخدامه فوراً وارصاد ساعة لدراسته في كل صف مرة كل اسبوع او كل اسبوعين حسبما تؤاتينا برامج لدروس واوقاتها .

واذا قدرنا ان اخراج هذا الكتاب يتطلب انتظار وقت غير يسير أي سنتين او نحوهما فالاولى ان لانضيع الوقت هدراً بانتظاره بل يتولى تدريسه في كل مدرسة الاساتذة الذين هم اجدر به من سواهم فيلقنوا الطلبة فذلكات مفيدة من صميمه، وذلك ريثما يظهر الكتاب المنتظر فيكون الدرس أتم نظاماً وأسهل تناولا .

* * *

الوجه الخامس

المعوّل الأكبر في مراقبة الدروس والمدرسين

الغالب ان يعول مدير المدرسة في مراقبة الدروس والمدرسين على الدفاتر التي ينظمها المعلمون لأجل صفوفهم فمنها دفتر تقسيم الدروس وذكر الفصل أو الباب الذي يفرض على الطلاّب يوماً فيوماً . ومنها دفتر علامات الدروس وعلامات حسن السلوك ورداءته . وثالثها دفتر الحضور والغياب . هذه هي الدفاتر الواجب اتخاذها وقد يضاف اليها رابع اذا رجا الأستاذ أو المدير من ورائه شيئاً من المدد والفائدة . ولكنه يكون دفتراً اختيارياً زائداً على مقتضيات النظام .

هذه الدفاتر هي وحدها تقريباً معول مدير المدرسة على معرفة نجاح الطلاب أو تقصيرهم واخلاص معلميهم في العمل أو عدم اخلاصهم . يلقي نظراً خفيفاً على هذه الدفاتر فاذا رآها نظيفة حسنة التنظيم فالمعلم قدير بصير أمين . والاّ فلا . وعلى هذه الخطة يجري المفتش حين يزور المدرسة مرة أو مرتين في السنة .

يطلع على دفاتر المعلمين وعلى دفتر مدير المدرسة وقد يفاوضه الحديث على خلوة ربع ساعة أو نصف ساعة بينهما . واستناداً الى هذه الظواهر السطحية ينظم تقريره الذي يرفعه الى رؤسائه . هكذا يظن المفتشون انهم قاموا بواجباتهم وهكذا يظن المديرون انهم أدوا مهمتهم . وشتان بين هذه الظواهر الخداعة وبين البواطن التي ملؤها الصواب والحقائق الراهنة . ان الدفاتر يجوز اتخاذها وسيلة استئناس وتنبيه الى حد محدود . وأما لباب المراقبة فيتطلب وسائل أعمق وأضمن كدخول الصفوف حيناً بعد حين والاستماع الى شرح والقاء التلاميذ وتوجيه شيء من الأسئلة اليهم . والاطلاع ملياً على دفاترهم . ومكاشفة المعلمين في سياق حديث رصين آرائهم وخططهم ومبلغ نشاطهم وتهاونهم . هذا هو اللباب وما عداه قشر أو زخارف ومن منا يا ترى يحكم بالجودة أو بالرداءة على أرز مطبوخ بمجرد أن الطاهي اخبرنا عما دخله من أرز وسمن ولحم ولوز وصنوبر وحسبه صادقاً في ما قال فان المواد التي ذكرها تتفاوت درجاتها في النفاسة فالعبرة في المذاق والاختبار لا في تصديق الأخبار ومن لم يبالوا بموت الضمير فضمائرهم في عداد المرحومين من موتانا .

(اللاذقية) ادوار مرقص

دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها

— ٥ —

المجاميع

٨٧ [١] مجموعة [1] لتقي الدين ابي الحسن علي بن عبد الله الكافي بن تمام بن حماد السبكي (— ٧٥٦) [2] تحتوي على ما يأتي :

(١) رسالة في جواب سؤال وجه اليه عن حديث «أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي»

(٢) رسالة «الأدلة في إثبات الأهلة» وقد كتبها بيده بالمدرسة العادلية بدمشق سنة ٧٤٨

(٣) رسالة «بيان الأدلة في إثبات الأهلة»

(٤) رسالة «في تفسير قوله تعالى «لا جناح عليكم»

(٥) رسالة موجهة للحضرة النبوية في الرد على ما انكر عليه في نقده «كتاب العقل والنقل لابن تيمية» وقد كتبها بيده سنة ٧٥١

(٦) رسالة «شرح القصيدة النبوية المتضمنة الرد على الاشاعرة لابن القيم» وقد كتبها بخطه سنة ٧٤٩

(٧) رسالة «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» كتبها بخطه سنة ٧٤٨

(٨) بعض فتاوى وفوائد بخطه

٨٨ [٣] مجموع [3] للجلال محمد اسعد الدواني الصديقي (— ٩٠٧) [4] فيه :

(١) رسالة التعليقات على المحاكات

(٢) رسالة «في كلمة التوحيد» [5]

---

(١) برنامج : ٧١ (٢) بروكلمان ٢ : ٨٦ والذيل ٢ : ١٠٢ (٣) برنامج : ٧٢
(٤) بروكلمان ٢ : ٢١٧ والذيل ٢ : ٣٠٦ (٥) ذكرها بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [١٤]

(٣) شرح « هياكل النور السبعة للسهروردي[١]

(٤) رسالة « تعريف علم الكلام »[٢]

(٥) رسالة « في بعض التعليقات على كتاب طوالع الانوار »[٣]

(٦) شرح كتاب « التهذيب في المنطق »[٤]

(٧) شرح رسالة الطوسي

(٨) شرح رسالة الزوراء وكلاهما للجلال [٥]

(٩) تنوير المطالع

(١٠) حل المغالطة

(١١) بعض تعليقات على اوائل حاشية مختصر المنتهى للسيد

٨٩ [٤] مجموع فيه :[٦]

(١) رسالة « نصرة المتأهلين » في التصوف لمحمد البركوي بن بير علي (— ٩٨١)[٧]

(٢) رسالة « نفيس المتجر بشراء الدرر » لابي الاخلاص حسن بن عمار الشرنبلالي (— ١٠٦٩)[٨]

(٣) رسالة « الدر الثمين في أحكام اليمين » لأبي الاخلاص حسن ابن عمار الشرنبلالي

(٤) رسالة « الحكم المسند بترجيح بينة غير ذي اليد » لمحمد بن ابي بكر ابن جماعة الكناني (— ٨١٩)[٩] وهي مكتوبة سنة ١١٠٤

(٥) « رسالة تحفة المجدين بنصرة خير الدين » الرملي لمحمد بن محمد الطيب المالكي التافلاتي مفتي القدس (— ١١٩١)[١٠] وهي مكتوبة سنة ١١٧٨

---

(١) بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [٢٠] (٢) الذيل ٢ : ٢١٧ رقم [٤٣] (٣) بروكلمان ٢١٨:٢ رقم [٣٥] (٤) بروكلمان ٢١٨:٢ رقم [٣٣] (٥) بروكلمان ٢ : ٩٨ رقم [٢] (٦) برنامج : ٢٢ (٧) بروكلمان ٤٤٠:٢ (٨) بروكلمان ٢ : ٣١٣ (٩) بروكلمان ٢ : ٩٤ والذيل ٢ : ١١١ (١٠) المرادي سلك الدرر ٤ : ١٣٠ — ١٠٨

[٦] « رسالة الاسعاد بشرح تخميس بانت سعاد » لمحمد بن محمد الطيب المالكي التافلاتي

[٧] «رسالة الارشاد في احاديث البلاد » 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[٨] 〃 «تعذيب المقامة فيما ورد في الفصد والحجامة» 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[٩] 〃 «النفح المعنوي في المولد النبوي» 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[١٠] 〃 «مقامات الصفا بمعراج المصطفى» 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[١١] 〃 اسعاف ذوي الوفا بمولد المصطفى 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[١٢] 〃 حبور المهيمن في الكلام على اسمه تعالى المهيمن 〃 〃 〃 〃 〃

[١٣] 〃 الاقلام المجملة في هواتف البسملة 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[١٤] رسالة «حسن البيان في مدلول القرآن » 〃 〃 〃 〃 〃 〃

[١٥] الصلح بين المجتهدين في كلام رب العالمين 〃 〃 〃 〃 〃

[١٦] « الحور العين » 〃 〃 〃 〃

[١٧] تحذير اعيان البشر من احاديث عكا وعينها المسماة عين البقر

[١٨] قطع اللسان عن تحريم الدخان 〃 〃

[١٩] تحرير المسطر في فروع المشتى وحكم المسحر 〃 〃

[٢٠] الفتح الاكبر في تأييد توجيه الشيخ الاكبر . 〃 〃

[٢١] رسالة حسن الاستقصا لما صح رثبت في المسجد الاقصى 〃 〃

[٢٢] 〃 القول المقدس في شأن البيت المقدس

٩٠ [٦] مجموع فيه [١] رسائل لمحيي الدين بن عربي الطائي (— ٦٣٨) [٢]

[١] رسالة « النقباء والابدال »

[٢] رسالة « الحق » [٣]

[٣] رسالة « الفناء والمشاهدة »

[٤] رسالة « فيما تحوي عليه الجلالة من الأسرار »

[٥] رسالة « مقام القربة وفك الكربة »

(١) برنامج : ٧٢ (٢) بروكلمان ١ : ٤٤١ (٣) بروكلمان ١ : ٤٤٣ رقم [٢٤]

[٦] كتاب الياء وهو كتاب الهو [١]

[٧] كتاب الأزل

[٨] كتاب الأحدية [٢]

[٩] كتاب الباء وهو مفتاح دار الحقيقة [٣]

[١٠] الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية لزكي الدين ابي العباس احمد الهمذاني [٤] تلميذ صدر الدين ابي المعالي محمد بن اسحق الصوفي القونوي الذي كان في أواخر القرن السابع [٥]

٩١ [٧] مجموع فيه [٦]

[١] حاشية على شرح رسالة ابي الليث السمرقندي في الاستعارات [٧] لمؤلف مجهول

[٢] مسعفة الحكام في الأحكام لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التمرتاشي الحنفي الغزي (— ١٠٠٤) [٨]

[٣] وصية الحسن البصري لعبد الرحيم بن انس [٩]

[٤] الصحف الحديثة المنسوبة الى سيدنا موسى عليه السلام

[٥] رسالة «المنبهات على الاستعداد ليوم الميعاد» لأحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي المكي (— ٩٧٣) [١٠]

[٦] رسالة «الخبر التام في ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأرض الشام» لصالح بن محمد [أحمد] بن عبد الله العمري التمرتاشي (— ١٠٥٥) وهي مكتوبة سنة ١١١٢ [١١]

[٧] شرح القصيدة الخزرجية في العروض لعبد الله بن محمد الخزرجي (— ٦٢٦) والشارح مجهول وهي مكتوبة سنة ٩٩٩

(١) بروكلمان ١ : ٤٤٦ رقم [٧٦] (٢) بروكلمان ١ : ٤١٦ رقم [١٠٨] (٣) بروكلمان ١ : ٤٤٥ رقم [٧٥] (٤) بروكلمان ١ : ٤٥١ (٥) بروكلمان ١ : ٤٤٩ (٦) برنامج : ٧٢ (٧) الذيل ٢ : ٢٥٩ (٨) بروكلمان ٢ : ٣١١ وكش ٢ : ٤٢٩ (٩) الذيل ١ : ١٠٣ (١٠) بروكلمان ٢ : ٣٨٧ والذيل ٢ : ٥٢٩ (١١) بروكلمان ٢ : ٣٠٣

٩٢ [٨] مجموع فيه [1]

[١] ارجوزة الحج وهي المسماة «مرشدة الناسك لأداء المناسك» لتاج الدين هبة الله عبد الوهاب بن ابي نصر احمد بن عربشاه القرشي العثماني المؤرخ الأديب (— ٩٠١) [2] وهي نسخة بخطه كتبها سنة ٨٩٨

[٢] القصيدة البديعية وهي المسماة بشفاء الكليم بمدح النبي الكريم لابن عربشاه وبخطه [3]

[٣] تخميس قصيدة نظم اسماء الله الحسنى لسعد بن عبيد الله الحضرموتي (؟) خمسها ابن عربشاه وهي بخطه

[٤] تخميس قصيدة عز الدين الديري (؟) لابن عربشاه وبخطه

٩٣ [٩] مجموع لابن عربشاه السابق ذكره فيه [4]

[١] مولد النبي ﷺ لسعد الدين الديري الحنفي (؟) بخط ابن عربشاه

[٢] تحرير تنقيح التبيان في تقرير توضيح مسائل خامس الأركان (الحج) لابن عربشاه

[٣] ترجمة الوالد وشيوخه وأبوه هو صاحب كتاب «فاكهة الخلفاء» المشهور [5]

[٤] «تنزيه الموحد» لابن عربشاه وهي قصيدة لامية في التوحيد

[٥] «شرب رياض التعبيد في التوحيد» وهي قصيدة نونية

٩٤ [١٠] مجموعة فيها [4]

[١] رسالة في المواعظ والنصائح المسجعة لخليل بن علي ولم اعرف شيئاً عنه واغلب الظن انه خليل بن علي المرادي مؤلف سلك الدرر والتاريخ المسجوع وعرف البشام فيمن ولي فتوى الشام [6] وكله سجع أيضاً.

[٢] قطعة من كتاب الاشباه والنظائر للجلال السيوطي [6] وهي الفن الرابع من الاشباه والنظائر في الالغاز والحيل والفروق والحكايات.

---

(١) برنامج : ٧٢ (٢) بروكلمان ٢ : ٢٩ والذيل ٢ : ١٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٢٩ والذيل ٢ : ١٣ رقم [١] (٤) برنامج : ١٣ (٥) الذيل ٢ : ١٣ رقم [١٥]

(٦) من الكتاب نسخة بخزانة آل الشطي بدمشق وأخرى بمكتبة الأستاذ خليل مردم بك.

[٣] القصيدة الموشحة بالاسماء المؤنثة للجمال أبي عمر عثمان بن عمر المشهور بابن الحاجب ٦٤٦[1]

[٤] رسالة « دفع المطاعن عن القرآن الكريم » لمؤلف مجهول

[٥] « في « بحور الشعر » « «

[٦] « في « تحريم شرب الدخان » « «

[٧] « في « الخلاف بين البصريين والكوفيين » « «

٩٥ [١١] مجموعة فيها[2]

[١] رسالة « الشهاب القابس في البيع والكنائس » لمحمد بن فخر الاسلام الخيرى (؟) وهي مكتوبة ١٠٨٢ ، ولم اهتد الى صاحبها وانما ذكر الحاج خليفة رسالة اسماها « رسالة الكنائس والبيع » لأحمد بن محمد بن علي الشهير بابن الرفعة الشافعي (— ٧١٠) وهي تأليف حسن اولها « الحمد لله العلي الكبير اللطيف الخبير »[3]

[٢] رسالة « لعن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » لعمر بن محمد بن الخليل السكوني (— ٧٠٧)[4] وهي نسخة لطيفة مكتوبة ١٠٦٥

[٣] المدهش في المواعظ لابن الجوزي[5]

٩٦ [١٢] مجموع فيه[6]

[١] رسالة « في تعليق طلاق احدى المرأتين على الاخرى » لمؤلف حنفي مجهول

[٢] شرح الصلوات المشيشية لعبد السلام بن مشيش الحسني الادريسي الصوفي (— ٦٢٥)[7] لمؤلف مجهول والنسخة مكتوبة ١٠٩٣

[٣] رسالة في التوفيق بين حديث « الصدقة ترد البلاء » وآية « اذا جاء أجلهم ... » لخليل بن سليم (؟) وهي مكتوبة ١١٨٢

---

(١) بروكلمان ١ : ٣٠٦ رقم [٦] (٢) برنامج : ٧٣ (٣) كشف ١ : ٥٦٣

(٤) بروكلمان ٢ : ٥٠٩ (٥) بروكلمان ١ : ٥٠٦ (٦) برنامج : ٧٣

(٧) الذيل ١ : ٧٨٢

[٤ً] تفسير سورة « اقتربت الساعة » لحقي افندي

[٥ً] رسالة في « البسملة واحكامها » للكرماني

[٦ً] رسالة في « المقدمات الاربع »لصدر الشريعة عبدالله بن مسعود [— ٧٤٧] (١)

[٧ً] رسائل في « فضائل آية الكرمي » لمحمد كوزل حصاري

[٨ً] رسالة في «حق صدور كلمة الكفر» 〃 〃 〃

[٩ً] رسالة في « تحقيق كلمة التوحيد لمؤلف مجهول

[١٠ً] 〃 في «شرح كلمة التوحيد » لمحمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية

[١١ً] 〃 « ايها الولد » لابي حامد الغزالي

[١٢ً] 〃 في « البسملة » لابي سعيد محمد بن محمد الخادمي [— ١١٧٦] (٢)

[١٣ً] « شرح سورة الاخلاص» لابي سعيد الخادمي

[١٤ً] « شرح الرسالة البركوية في التوحيد» 〃 〃

[١٥ً] « شرح ديباجة كتاب منية المصلي» 〃 〃 للكرماني ويليه شروح لحمزة افندي [— ١١٣٤] وابن اطوى افندي واسماعيل الايوالي [— ١١٩٤] واحمد نوشي ٠

[١٦ً] رسالة الذكر لابي الحسن النقشبندي الصوفي

[١٧ً] 〃 في حكم التبليغ للمؤذن لاحمد بن محمد الحموي الحنفي [— ١٠٩٨]

[١٨ً] 〃 في « فضيلة العمامة » للعلاء محمد ابي الفضل البخاري (— ٨٤١)

[١٩ً] 〃 في « فضيلة القلنسوة » 〃 〃 〃 〃

[٢٠ً] 〃 في « الطعام وطهارته » 〃 〃 〃 〃

[٢١ً] 〃 〃 « الاسلام » محمد المرعشي ساجقلي زاده [— ١١٥٠] (٣)

[٢٢ً] 〃 في « نظر الذمية الى المسلمة » لمجهول

[٢٣ً] 〃 فيمن قال عند التعجب « الله الله » لمجهول

(١) بروكلمان ٢ : ٢١٤ (٢) بروكلمان ٢ : ٣٥٤ والذيل ٢ : ٣٦٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٣٧٠ والذيل ٢ : ٤٩٨

[٢٤] رسالة في حياة الانبياء » لابي الحسن النقشبندي

[٢٥] « «نشر اللطائف في قطر الطائف » لنور الدين على المدني

[٢٦] « في « اقتداء الحنفي بالشافعي » لمجهول

[٢٧] « « كشف الريب عن مفاتيح الغيب » لمجهول

[٢٨] « في « وحدة الوجود » لعطاء الله المصري [؟] ومعها فتاوي لمحمد الكوراني [؟]

٩٧ [١٣] مجموع فيه (١)

[١] شرح ارجوزة في المعاني لمحي الدين بن تقي الدين (؟)

[٢] مباحث في ان الواحد نصف الاثنين لسليمان الزيات [؟]

[٣] شرح منظومة الفرائض لعمر بن المظفر بن الوردي [— ٧٤٩] الفه اسحق بن عمر بن سبط القلقشندي [؟]

[٤] شرح لامية الطغرائي [— ٥١٥] لعبد الله بن الحسين ابي البقاء البكري [— ٦١٦] (٢)

[٥] رسالة الاستعارات لابي الليث السمرقندي

[٦] حاشية على شرح الايساغوجي لزكريا الأنصارى

[٧] ارجوزة في المعاني لناظم مجهول

[٨] المورد الأصفى في مولد المصطفى لناظم مجهول ولعله التافلاتي

[٩] النفح المعنوي في المولد النبوي للشيخ محمد التافلاتي [انظر رقم ٨٩]

[١٠] الجواب عن خمسة اسئلة سأل عنها اهل القدس الامام عبد الغني النابلسي [١١٤٣] (٣)

[١١] رسالة في اقتداء الحنفى بالشافعي لمؤلف مجهول

[١٢] « في الكلام فيما يثبت بالشهادة على الخط لسري الدين بن الشحنة الحنفي الحلبي .

---

(١) برنامج : ٧٣ (٢) بروكلمان ١ : ٢٤٧ رقم (٢) (٣) بروكلمان ٢ : ٣٤٠

[١٣ً] اصلاح الاسفار عن مخدرات الدر المختار للحسن بن ابراهيم الجبرتي [— ١١٨٨] بخطه كتبها ١١٧٨

[١٤ً] رسالة في النيات لمجهول

[١٥ً] 〃 مايحل وما يحرم من الحيوان لنوح بن محمد السمناني

[١٦ً] حسن الاختصاص في تخصيص البيت الحرام بالمناسك والطواف لمحمد التافلاتي [انظر رقم ٨٩]

٩٨ [١٤] مجموع زهر البستان وانس الندمان [1] لسليمان بن عبد اللطيف الانصاري الخزرجي [؟] بخطه كتبها سنة ١٠٦٢ ولم اهتد الى شيء من أخبار المؤلف فيما بين يدي من مصادر ولا اعرف مكتبة اخرى فيها هذا الكتاب وهو مجموعة ادبية طريفة ٠

٩٩ [١٥] مجموع فيه [1]

[١ً] شرح المنظومة الدمياطية في القراءات لشمس الدين احمد بن محمد البناء الدمياطي [— ١١١٧] [2] شرحها الصالح محمد بن الحاج [؟]

[٢ً] رسالة الالواح لافلاطون

[٣ً] منازل القمر للشيخ ابن زروق المغربي شهاب الدين احمد [— ٨٩٩] [3]

١٠٠ [١٦] انموذج العلوم طبقاً للمفهوم لمحمد شمس الدين شاه چلبي بن محمد الفناري [— ٨٣٩ [4]] وهي مجموعة بحث فيها عن مائة مسألة من مائة فن من فنون العلم، وقيل ان الكتاب لوالده محمد الفناري ، والصواب ان الاصل للاب والشرح للابن كما ذكر الحاج خليفة ، وهي بطريق الالغاز الفها امتحانا لفضلاء عصره ولم يقدروا على تعيين فنونها فضلا عن حل مسائلها، وفرغ منها سنة ٨٢٤ ونسختنا مكتوبة ٨٢٧ ٠

---

(١) برنامج ٧٣ (٢) بروكلمان ٢ : ٣٢٧ والذيل ٢ : ٤٥٤ (٣) بروكلمان ٢ : ٢٥٣

(٤) بروكلمان ٢ : ٢٣٤ والذيل ٢ : ٣٢٩ وكش ١ : ١٦١

١٠١ [١٧] مجموعة[١] لابن كمال باشا زاده محمد بن احمد بن سليمان [٩٤٠][٢] فيها :

[١] تفسير سورة النبأ

[٢] ثلاثة شروح للاربعين النورية

[٣] تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية

[٤] تحقيق معنى كلمة الزنديق

[٥] مدح السعي وذم البطالة

[٦] تحقيق التغليب في النشر والتركيب

[٧] رسالة الفرائض

[٨] اسلوب الحكيم

[٩] شرح رسالة عضد الدين الايجي في بحوث الدلالة . ومن هذه الرسائل جميعها نسخ موجودة ذكرها بروكلمان ماعدا الرسالة الاخيرة .

١٠٢ (١٨) مجموعة[١] ثانية لابن كمال باشا زاده[٢] فيها :

[١] شرح أربعة وعشرين حديثاً [٢] شرح بعض الاحاديث النبوية [٣] اقسام الاستعارة [٤] شهادة الزور وحكم صاحبها [٥] رسالة في الخضاب [٦] رسالة في التضمين [٧] رسالة في ان صاحب علم المعاني يشارك اللغوى [٨] رسالة تكوين الخضاب [٩] تحقيق التغليب في النشر والتركيب . وهذه الرسائل يذكرها بروكلمان الا الرسالة الاولى والثالثة والرابعة .

١٠٣ [١٩] مجموعة فيها[١]

[١] رسالة في علم الحساب لمحي الدين عبد القادر الدنجاوي (؟)

[٢] « في أقسام الحديث الضعيف لمحمد بن خليفة الشوبري[٢]

[٣] « نظم مختصر المنار في الاصول الحنفية للمفتي محمد التافلاتي بخط يده

[٤] القصيدة الشاطبية في القراءات لابن فره الشاطبي

(١) برنامج : ٧٣ (٢) بروكلمان ٢ : ٤٤٩—٤٥٣ (٣) لم اهتد الى ترجمته وانما ترجم المحبي ٣ : ٣٨٥ لمحمد بن احمد الشوبري (— ١٠٩٦)

[٥] الواضحة في تجويد الفاتحة لبرهان الدين ابي العباس ابراهيم بن عمر ابن خليل الجعبري (سنة ٧٣٢)[1]

[٦] حسن الاستقصا لما صح وثبت بالمسجد الأقصى للمفتي محمد التافلاتي ويليها بعض فتاوي وأجوبة وفوائد بخطه

١٠٤ [٢٠] مجموعة فيها[2]:

[١] اسئلة وأجوبة على عدة مسائل مهمة لنجم الدين محمد بن احمد بن علي الغيطي الاسكندري (— ٩٨١)[3]

[٢] قطعة من ديوان علي بن مراد العمري الموصلي الشافعي امام الموصل ومفتي بغداد والموصل (— ١١٤٧)[4]

١٠٥ [٢١] مجموعة فيها[5]

[١] شرح متن السلم المرونق في المنطق لعبد الرحمن بن محمد الصغير الجزائري الأخضري من رجال القرن العاشر

[٢] شرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ألفه أكمل الدين البابرتي[6]

[٣] احراز السعد بانجاز الوعد بأبحاث (أما بعد) لغنيم الجوهري (؟)

[٤] أحوال السلف وطبقاتهم لابن كمال باشا زاده

[٥] رسالة في الحكم العقلي لعبد الحليم الشافعي (؟)[7]

[٦] ارجوزة بغية الطلاب في علم الاسطرلاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي يحيى الحباك (— ٨٦٧)[8]

[٧] تبييض الصحيفة بمناقب الامام ابي حنيفة لجلال الدين السيوطي[9]

[٨] أشرف المسالك في المناسك لنوح افندي الفقيه الحنفي

(١) بروكلمان ٢ : ١٦٥ رقم [٥]   (٢) برنامج : ٧٣   (٣) بروكلمان ٢ : ٣٣٨ والذيل ٢ : ٤٦٧   (٤) سلك الدرر للمرادي ٣ : ٢٣١   (٥) برنامج : ٧٤

(٦) بروكلمان ١ : ١٧٠ رقم [٣]   (٧) لعله الشيخ عبد الحليم بن عبد الله الشويكي الشافعي النابلسي (— ١١٨٥) الذي يترجمه المرادي ٢ : ٢٣٤ ويذكر له رسالة علم الكلام رد بها على معاصره أبي الحسن العاملي الرافضي وله شرح على السنوسية   (٨) بروكلمان ٢ : ٢٥٥

(٩) بروكلمان ٢ : ١٥٧ رقم [٢٨٦]

١٠٦ [٢٢] مجموع فيه [١]

[١] حل مسألة في الحساب لمحمد بن علي الحميدي (– ١١٧٩) [٢]

[٢] رسالة في الطواحين وكيفيتها وأحكامها لزين العابدين بن ابراهيم ابن نجيم المصري (– ٩٧٠)

[٣] رسالة في «استبدال الوقف» لعلي چلبي بن أمر الله قنالي زاده (– ٩١٩) [٣] .

[٤] رسالة في «أحكام الأوقاف» لمولانا يوسف بن حسين كرماستي (– ٩٠٦) [٤]

١٠٧ [٢٣] مجموع فيه [١]

[١] الكوكب الوقاد في الاعتقاد لأبي عمر عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم عز الدين بن جماعة الكناني (– ٧٦٧) [٥]

[٢] تسهيل الأحمال في تحصيل الأعمال في القراءات السبع لمؤلف مجهول

١٠٨ [٢٥] مجموع فيه [٦]

[١] برء الساعة في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (– ٣٢٠) [٧] وهي نسخة حسنة كتبها محمد بن عبد الله بن تغري ورمش

[٢] القصيدة الطائية المنسوبة للغزالي في التوحيد والتصوف

[٣] بعض الأدعية والمدائح النبوية لمؤلف مجهول

[٤] فضل مكارم الأخلاق لمؤلف مجهول

[٥] جواب على ما استشكله بعضهم في حكم تطويل الركعة الأولى لشمس الدين الفلكي الحنفي (؟)

[٦] رسالة تبحث في بعض الفوائد الأدبية واللغوية من أمور الحيوان والفلك وكرة الأرض والدهر والزمان والليالي والشهور واسماء البلاد ومسائل الطب لمؤلف مجهول .

اسعد طلس

---

(١) برنامج : ٧٤ (٢) بروكلمان ٢ : ٥٠٩ والذيل ٢ : ٤٨٧ (٣) بروكلمان ٢ : ٤٣٣
(٤) بروكلمان ٢ : ٢٣١ (٥) بروكلمان ٢ : ٧٢ والذيل ٢ : ٧٨ (٦) برنامج : ٧٤
(٧) بروكلمان ١ : ٢٣٦ رقم [٩]

مخطوطات ومطبوعات

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

إذا أحببنا أن نطلق صفةً على عام ١٩٤٤ بالنسبة الى الحياة الأدبية في الشام فإنا لا نجد أكمل من هذه الصفة : عام أبي العلاء المعري ، فقد استطاع مجمعنا العلمي العربي بدمشق أن يصل في هذا العام الماضي بالخاصر أشدّ صلة ، فدلّ عمله هذا على ان وطننا الروحاني لا يعترضه شيء من العقبات المادية فلا الصحارى ولا الجبال ولا البحار وما شاكلها تعترض تقاليدنا وأفكارنا وعواطفنا الواحدة أو المتقاربة ، لقد حمل مجمعنا العلمي العربي رجال الأدب في هذا العصر من مصر وفلسطين وشرقي الأردن ولبنان والشام والعراق على تذكر مولد أبي العلاء بعد أن مرّ على هذا المولد ألف سنة ، فهبوا لهذا التذكر كأنهم جسم واحد وروح واحدة لم تباعد بينهم صحراء مديدة أو جبل ذاهب في السماء أو بحر لا يدرك أوله ولا آخره ، على الرغم من الحوادث السياسية التي مرّت على هذه البلاد العربية من مولد المعري إلى يومنا هذا .

يشتمل المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري على وصف المهرجان الذي أقامه مجمعنا في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ في دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان وحلب واللاذقية لذكرى مرور الف سنة على مولد أبي العلاء وقد دام المهرجان أسبوعاً ودوّنت في هذا الكتاب القصائد والخطب التي قيلت في المهرجان وصدّر الكتاب بمقدمة دقيقة للأستاذ خليل مردم بك .

اشترك في المهرجان أساتيذ من الطراز الأوّل فمن مصر اشترك الدكتور طه حسين وأحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزّام وعبد الحميد العبادي وأحمد الشائب وابراهيم مصطفى وابراهيم عبد القادر المازني ومن فلسطين محمد اسعاف

النشاشيبي وعزمي النشاشيبي ومن شرقي الأردن محمد الشريقي وأديب وهبة ومن لبنان عارف العارف وأنيس المقدسي وفؤاد أفرام البستاني والدكتور فيليب حتي ومن العراق محمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي الجواهري ومعروف الرصافي وطه الراوي وكاظم الدجيلي والدكتور مهدي البصير ومن فارس عباس إقبال ومن سورية فخامة رئيس الجمهورية ووزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي وستة أعضاء من المجمع وهم : عبد القادر المغربي ومحمد سليم الجندي وعارف النكدي ومحمد البزم والدكتور جميل صليبا وكاتب هذه الكلمة ، ومن غير المجمع فخري البارودي والآنسة جهان الموصلي ومن حلب سامي الكيالي وعمر أبوريشة ومن اللاذقية بدوي الجبل ومن المستشرقين ألفريد غليوم وهنري لاوست .

لا يتسع هذا المقام للافاضة في وصف ما قيل في المهرجان من القصائد والخطب وحسبي الاشارة الى ان الخطباء تعرضوا لأكثر نواحي المعري الفنية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والتأريخية والدينية فلا يفرغ التاريخ من قراءة الكتاب إلا مملوء الذهن من صورة المعري في هذه النوحي نظراً الى تدقيق أصحابها فيها .

وقد تتفاوت قيمة هذه الخطب كما تتفاوت قيمة القصائد فقد اختلف مقدار إلمام الشعراء بتصوير المعري فمنهم من ظهرت على شعره صفات صورة المعري ومنهم من لم تظهر على شعره صفات هذه الصورة إلا قليلاً وكيف كان الأمر فما قيل في المهرجان من خطب وقصائد إنما هو من أحسن ما يقال في هذا الباب .

شفيق جبري

ذكرى أحمد تيمور باشا

في أول آذار سنة ١٩٤٥ أقيمت بدار الأوبرا الملكية في القاهرة حفلة لإحياء ذكرى العلامة أحمد تيمور باشا شملها برعايته حضرة صاحب الجلالة ملك مصر واشترك فيها جمهور كبير من العظماء ورجال السياسة والعلم والأدب في مصر

وبلاد العرب عامة وطائفة من السيدات والأوانس وشباب الجامعات ودور العلم .

ألقيت في هذه الحفلة خطب وقصائد كثيرة منها خطب الدكتور محمد حسين هيكل باشا والشيخ خليل ثابت بك والاساتذة محمد كرد علي بك وأحمد امين بك ومحمد بك الشربقي وسامي بك السراج ومنها قصائد أحمد الزين وأحمد محرم ومعروف الرصافي والامير شكيب أرسلان ...

جلُّ ماشتملت عليه خطب الخطباء وقصائد الشعراء إجماع اصحابها على حب أحمد تيمور باشا للعلم وانقطاعه الى الكتب وحرصه على الدين واشتهاره بالأخلاق القويمة ..

ونظراً الى اواصر الاخاء المتينة التي انعقدت بين احمد تيمور باشا وبين الاستاذ العلامة محمد كرد علي بك استطاع الاستاذ المومأ اليه أن يفيض في الكلام على صديقه فصوَّره تصويراً كاملاً وكشف الغطاء عن نشأته وأخلاقه وغرامه بالكتب واحتفاله بجمعها وسعة علمه التي جعلته مرجعاً وضرب مثلاً لتهذيبه وأشار الى بعده عن الظهور وايثاره العزلة وحرصه على المصلحة العامة وتكلم على تآليفه

واذا فتش الانسان عن صفة يصف بها أحمد تيمور باشا بعد أن عرف من علمه وأخلاقه ماعرف فلا يجد الا الصفة الآتية : فقد ارتفع عن أُفق البشر وعاش في أفق أعلى ، وهذه هي الحياة السامية بعينها .

ش . ج

السلوان الكاذب

خير الدين الأيوبي

هذه صفحات نثر فيها الكاتب نتفاً من حياته ، يجد القارئ في بعضها وصفاً للطبيعة دون شيء من التصنع ، فالصور في هذا الوصف بسيطة وهذا ماحببها الى القلب ويجد في بعضها وصفاً للأهواء والعواطف يتبين له الصدق في كثير منه ، وتتخلل هذا كله روح رقيقة الشعور .

ش . ج

أيها العرب اتحدوا

منير الشريف

موضوعات هذا الكتاب مختلفة : فيه أشياء عن العرب وبلادهم وعن الوحدة وعواملها وفوائدهـا وعن الأخطار المحدقة ببلاد العرب وغير ذلك ، فالكاتب ينتقل من التأريخ الى الاقتصاد الى الاجتماع وكل همه في هذا الانتقال أن يحضَّ العرب على الوحدة وقد بيّن لهم في قسم من كتابه ما الذي يجب عليهم أن يعملوه في سبيل هذه الوحدة واذا خرج القارئ من كتاب : أيها العرب اتحدوا بنتيجة فانه يخرج بالنتيجة الآتية : وهي امتلاء قلب صاحبه من النزعة العربية التي يحاول أن يملأ كل واحدٍ منا قلبه منها .

ش . ج

سومر

(الجزء الثاني من السنة الاولى . تموز ١٩٤٥)

هي مجلة تبحث في آثار العراق القديمة . تصدرها باللغة العربية والانكليزية مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، ويحررها نخبة من موظفي مصلحة الآثار العراقية وغيرهم من العلماء الاجانب . وهذه المجلة هي الاولى من نوعها التي تبحث المواضيع الاثرية باللغة العربية . ويحق للعراق أن يفخر بها . فقد سبق في هذا المضمار غيره من الاقطار العربية . ومن يعرف حداثة عهد البلاد العربية في الدراسات الأثرية يقدر هذه البادرة الطيبة التي تبشر بمستقبل زاهر لهذه النهضة العلمية المباركة . ويجد المطالع في هذه المجلة امتع الابحاث عن آثار العراق ويقف منها على أصدق انبائها . ويدرك منها عناية ابناء بلاد الرافدين بتاريخ بلادهم العريقة بالمدنية . وحرصهم الشديد على حفظ تراث سلفهم المجيد . وقد جمعت هذه المجلة بين غزارة المادة وحسن الطباعة . ونرجو من القائمين على شؤونها زيادة العناية بطباعة صورها وتصحيح اخطائها المطبعية حتى لاتشوه

محاسنها . ومن هذه الاخطاء ماجاء في صفحة ١٥٧ خربة السفانة وصوابه خربة الصانع وفي ص ١٥٨ لأت وصوابه لألت . ونتمنى لهذه المجلة دوام النجاح ونرجو تعدد امثال هذه المجلة في بقية الاقطار العربية ونهنئ مديرية مصلحة الآثار القديمة في العراق على ماوفقت اليه من هذا العمل الجليل .

جعفر الحسني

تاريخ الأسطول العربي

تأليف الأستاذ محمد ياسين الحموي . نشره فؤاد هاشم الكتبي بدمشق
عام ١٩٤٥ ، عدد صفحاته ١٤٧ من القطع الوسط

مأحوج تاريخنا الى مثل هذه الابحاث القيمة التي تميط اللثام عن صفحات مجيدة من تاريخ الحضارة العربية . وقد رغب المؤلف ان يسد ثلمة من عورات تاريخنا فأقدم على هذا البحث الجليل الذي نقدر فائدته وندرك صعوبة مسالكه ولئن كان هذا السفر لم يحقق لنا جميع اغراضه لانه ذكر لنا اشياء كثيرة واغفل اشياء عديدة . فانه قد وفق في رسم الخطوط الرئيسية لهذا البحث القيم لتكون نواة ينسج حولها مافات ادراكه . ونرجو ان يكون ذلك من حظ المؤلف لانه احق من غيره بهذا الفضل . وقد عثرنا في هذا الكتاب على هفوات وأغلاط مطبعية يحسن الاشارة الى اهمها . منها ماذكره في ص ٨ في تحديده البحار التي تحيط بجزيرة العرب فقال : « البحر الشامي في الشمال ... » مع ان هذا البحر لايتصل بأي ناحية من جزيرة العرب . كما أنه أغفل ذكر حدها الشرقي الذي يشرف على خليج فارس . وفي ص ٣٧ شبارة داخلة وصوابه شبارة دجلة . وفي ص ٥١ bussola وصوابه bossala ; campass وصوابه compass وقال في ٧٢ « ففي سنة ٩٣٥ استطاعت مراكب عبيد

الله المهدي الفاطمي ان تغزو جنوب فرنسا » مع ان وفاة عبيد الله هـذا كانت في سنة ٣٢٢ ﻫ الموافقة لسنة ٩٣٤ م · وفي ص ٧٣ منورفه وصوابه منورقة وفي ص ١٤٢ و١٤٣ الابريق · والاصح ان ترسم البريق لأن أصلها الافرنسي brick وفي الانكليزي brig ·

فنشكر للاستاذ همته ونقدر جهوده فيما اتحفنا به من بحث جديد وعلم صحيح ·

ج · ح

The Excavation at Dura - Europss, final report IV Part II - the textiles - by R . Pfister and Louisa Bellinger . Neu Haven 1954.

حفريات دورا ـ اروبس · القسم الثاني من التقرير الرابع النهائي · — المنسوجات —
تأليف ر · فيستر ولويزا بلنجر · طبع في نيوهافن عام ١٩٤٥
عدد صفحاته ٦٤ مع ٣٣ لوحة مصورة

هذا احد تقارير بعثة جامعة يال الامركية التي كانت تنقب عن آثار مدينة دورا ـ اروبوس (صالحية الفرات) في بلاد الشام حيث وجد في جملة ماعثر عليه من الآثار القديمة نماذج عديدة من منسوجات حريرية وقطنية وكتان وصوف نسجت في القرنين الثاني والثالث للميلاد · وتشهد لنا هذه النماذج على ازدهار هذه الصناعة في بلاد الشام وتكشف لنا عن مهارة الشاميين في صناعة النسيج وزخرفته وتلوينه ، ومن حسن الصدف انهم عثروا على منسوجات تحاكي زخارفها مانشاهده على بعض اشخاص صور كنيس دورا — اروبس ، مما يستدل منها أن مصور الكنيس قد استوحى صوره من المحيط الذي عاش فيه وقتئذ · فنقل لنا صوراً صادقة لقيافة معاصريه · وهذا البحث هو خدمة جليلة لتاريخ الصناعة الشامية نشكر المؤلف عليها ·

ج · ح

نظرات في الصيام

تأليف الحكيم شوكة موفق الشطي

الاستاذ في معهد الطب والحائز على اجازة في الدراسات الصحية العليا

هذه نظرات موفقة يرسلها طبيب متشبع بروح الاسلام والصيام ، واقف على فوائد الصوم الصحية والنفسية ، قسم فيها الكاتب الحكيم موضوعات رسالته إلى اثنى عشر بحثاً ، عرف فيها الصوم وتاريخه ، وذكر من صام وشفي من اسقام لم يشفها الا الصيام ، وكون الصوم وسيلة الجسم الطبيعية لمقاومة بعض الامراض ، والوقاية منها ، وفسر في حكمة الصيام الطبية حديث : « صوموا تصحوا » وان الصحة هي العافية ، وهي المطلوب ؛ وغلط من فسرها بالسمن ، وهو متى زاد مرهوب ، كما خطأ من فسر الشبع بالامتلاء ، وشرح الامراض الكثيرة التي تشفى بالصيام ، وبعد ان فرغ الدكتور « الموفق » من فوائد الصيام الحسية وما يعالج به من الامراض الجسمية وما يتقى به منها ، أخذ يوضح تأثيره في الامراض والآلام النفسية ، فعدد كثيراً منها .

ثم عاد يرسل نظرات فنية في تراويح رمضان ، وفي طعام الصيام ، وتأثيرهما في صحة الاجسام ، وتطهير النفس من الآلام والآثام ، ولخص في البحث الحادي عشر تلك الفوائد والفرائد ، وختم رسالته بنصح القاريء من أي ملة ونحلة ، وتذكيره بأنه خاطبه بلغة التجارب والتاريخ وناقشه بآيات الخلقة وسنن الطبيعة ، وكلمه بحاجة البدن وخلاياه ، وردد على مسامعه بعض الحكم الدينية ومسايرتها لاحدث الآراء العلمية ، وكان أجمل شيء جوابه للمعترض القائل : « أما كفانا نبش هذه الاوراق الصفر التي تلابس أوراقها صفرة الموت ، ومداد كلماتها ظلام الجهل ، فقد أجاب بان في صفرتها لمعاناً يفوق لمعان الذهب الوهاج ، ويكمن في فحم مداد كلماتها تألق نفيس الماس ، ومظاهر دقة الاحساس ينبعث منه اشراق مباديء عظماء الشرق وضاءة متلألئة ، خالدة في جبين الدهر وتاريخ البشر»

والمؤلف من بيت علم ودين ، يقول مايعتقد ، ويعمل بما يقول ، ولو وفق

كل كاتب توفيقه ، لما سمعنا جعجعة من دون أن نرى طحناً ، فنشكر له تحفته النفيسة ، ولدار اليقظة العربية طبعها ، ونحث القراء على مطالعتها فهي مصدر مهم لتطهير الجسم من الأمراض ، والروح من الآلام .

ونستدرك هنا ماسها عنه قلم الدكتور ؛ أو سقط أثناء الطبع ، ففي صفحة المقدمة : وبعد يلاحظ : فيلاحظ ، هانحن نقدم : ها نحن اولاء ص ٥ ماهم من دونه ولي : « من ولي » ص ٥٩ ويذكرنا بالحديث الشريف القائل « المعدة بيت الداء » : في المقاصد للسخاوي وغيره : لايصح رفعه الى النبي (ص) بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ، أو غيره .

محمد بهجة البيطار

مسالك الى قلب آسيا

تأليف جورج ن . روريخ

مطبعة جامعة ييل الاميركية ١٩٣١ عدد الصفحات ٥٠٦

Trails to inmost Asia

قامت في عام ١٩٢٥ بعثة علمية برئاسة الفنان الروسي نيقولا روريخ Rœrich موفدة من قبل ادارة متحف روريخ في نيويورك لاستكشاف بلاد آسيا الوسطى التي كان قد ساهم في استكشافها علماء من روسية واليابان وانكلترا وفرنسا والمانيا ، واستمرت هذه البعثة في عملها مدة خمس سنوات تتنقل وتستكشف مختلف المناطق في قلب القارة الاسيوية ، وقد ارتادت اماكن قلما سلكها الغربيون من قبل ، واتحفت دنيا العلم بمعلومات عن تلك البقاع لها قيمة عظيمة من الوجهة الجغرافية والاجتماعية .

وكان جورج روريخ مؤلف هذا الكتاب يرافق والده رئيس البعثة ، وهو مستشرق درس وتثقف في جامعات روسية وانكلترة وفرنسة قبل ان يتم دراسته في جامعة هارفرد الاميركية ، وقد كانت معرفته للغات الفارسية والسنسكريتية والتيبتية والصينية مفتاحاً لتفهم اسرار تلك البلاد الغامضة ، ومساعداً لدخول

بعض المناطق والمباني والاديرة المحرمة ، والواقع ان آسيا الوسطى بجبالها المرتفعة وفيافيها الواسعة ، واوديتها وكنوز الحضارات القديمة فيها كانت قبلة لانظار المستكشفين ، ولم تنجح بعثة في كشف اسرار هذه الاراضي المحرمة نجاح البعثة التي ترأسها روريخ ، وقد ادى افراد هذه البعثة خدمة جليلة للعلم والفن بفضل جهودهم وتضحياتهم ورباطة جأشهم امام الخطر الذي كثيراً ما كان يهددهم وبفضل شجاعتهم تجاه الهجمات التي استهدفوا لها .

وفي هذا المجلد الضخم يصف لنا جورج روريخ سير اعمال البعثة وتنقلاتها حسب الترتيب الزمني ، ويعطينا صورة واضحة عن حياة تلك الهضاب المرتفعة وحضارتها وعن الاكتشافات التي تربط القبائل الرحل في تلك المناطق بحضارات اخرى ، ويخبرنا عن المهالك التي تعرضت لها البعثة ، ومما يزيد في قيمة هذا السجل الممتع الرسوم الفوتوغرافية الكثيرة التي اخذت من قبل البعثة فضلاً عن بعض الرسوم اليدوية التي رسمها رئيس البعثة . وقد أراد نيقولا روريخ بلوحاته الخمسمائة التي رسمها أن يضع سجلاً مصوراً لتلك المناطق ولحياة سكانها ، وهذه اللوحات معروضة في متحف روريخ في مدينة نيويورك .

بدأت البعثة رحلتها من موقع « دار جيلينغ » في شرقي جبال الهيمالايا بين منطقتي بوتان ونيبال ، ومنها اتجهت نحو الغرب حتى كشمير ثم اتجهت شمالاً واخترقت تركستان الصينية وبلدانها مثل خوتان وكاشغر ، واستمرت نحو الشمال في أراضي زوزكاريا حتى وصلت سيبيريا وعادت الى الشرق فالجنوب حتى دخلت أورغا في منغوليا ، ثم اخترقت قسماً من صحراء غوبي ، وتوغلت في أراضي التيبت حتى عادت الى حيث بدأت . وقد كانت تنقلات البعثة اما عن طريق القوافل أو بواسطة السكك الحديدية والزوارق . ومن المناطق الجبلية التي ارتادتها ، عدا منطقة الهيمالايا ، جبال كركورام وتيانشان وألطائي ونانشان وهضاب التيبت المرتفعة .

وانك لتقرأ الشيء الكثير في هذا الكتاب عن الاحوال الجغرافية في بلاد أواسط آسيا ، كما أنك تفهم الشيء الكثير عن السلطات الحاكمة ، وعن الشعب وحياته وعاداته ، وعن حضارات تلك الأمم ، فضلاً عن أخبار المغامرات التي قام بها أفراد البعثة في بلاد محرمة صعبة مثل تلك البلاد .

ومما يجدر قوله ان هذا المجلد طبع على نفقة المؤسسة التذكارية التي أقامتها أرملة فيليب مكميلان في عام١٩٢٢ لإحياء ذكرى زوجها وهو أحد خريجي جامعة ييل . وكانت قيمة المنحة التي وقفت لهذه المؤسسة مائة الف دولار وهذا الكتاب هو المجلد الرابع عشر الذي يطبع على نفقتها . **جورج حداد**

كتاب التبصير في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف أبي المظفر شاهفور بن طاهر الاسفرايني الشافعي المتوفى سنة (٤٧١) والكتاب في ١٢٢ ص بحجم كبير عدا مقدمته التي تبلغ ١١ ص وفهارسه التي في آخره ١٣ ص وخاتمته بصفحة واحدة .

عني بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزة العطار ، وعرف بالكتاب وترجم المؤلف وخرج أحاديث الكتاب وعلق حواشيه الأستاذ محمد زاهد الكوثري ويلي مقدمة الأستاذ الكوثري كلمة قيمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم بقلم الدكتور محمود محمد الخضيري . ويقول ناشر الكتاب في خاتمته : ان الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف سابقاً للمملكة المصرية ذكره في تقريره المقدم الى مؤتمر الأديان في أوروبا حينما كان معاليه ممثلاً للجامعة الأزهرية بالمؤتمر المذكور .

* * *

لمؤلف هذا الكتاب منزلة سامية عند الفقهاء والشافعية والمتكلمين الأشاعرة وله اتصال مصاهرة وتلمذة بمؤلف كتاب الفرق بين الفرق الأستاذ عبد القاهر

البغدادي المتوفى سنة (٤٢٩) وأشار اليه مؤلف التبصر في ص (١٢٠) فأطنب في مدحه وبيان فضله وقيمة مؤلفاته اذن فمؤلف (التبصر في الدين) اطلع على كتاب الفرق بين الفرق وتأثره فيه ظاهر واضح . ونشير على سبيل المثال الى الى بحث الباطنية في كتاب التبصر ص (٨٣) وفي كتاب الفرق بين الفرق ص (٢٦٥) نجد أن صاحب التبصر اقتفى أثر كتاب الفرق فأخذ أبحاثه بعد أن حذف كثيراً من الجمل التي يحسن الاستغناء عنها وأضاف إضافات أخرى قيمة .

وبالمقارنة بين الطبعتين تظهر لنا أغلاط كثيرة فاحشة في طبعة كتاب الفرق بين الفرق يمكن تصحيح كثير منها بالمقابلة مع كتاب التبصر .

فنشكر من عمل على تحقيقه وضبطه وآزر على نشره لتعم الفائدة منه .

محمد احمد دهمان

معالم الوحي

أو الرحلة الحجازية المقدسة

كتاب لطيف الحجم في ١٢٠ صفحة حسن الترتيب والتبويب ضمنه مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد احمد عساف من علماء بيروت وصفاً لرحلته الى الحجاز لأداء فريضة الحج الشريف وذلك سنة ١٣٦٣ هـ وقد زينه بمختلف الرسوم التي تصف تلك المعالم الشريفة وضمنه طائفة كثيرة من الفوائد والملحوظات المتعلقة بمناسك الحج والمطوفين وغيرهم وبهذا كان الكتاب موفياً حاجة كل زائر لتلك البقاع المباركة فالشكر للمؤلف الفاضل على هديته لأمته .

عبد القادر المغربي

مجموعة احصاآت عن سورية ولبنان

المجلس الأعلى للمصالح المشتركة

هذه المجموعة قد جمعت الشيء الكثير من الاحصاء عن بلادنا ، مما نحن في حاجة الى معرفته ، ومع أن أكثر ماجاء في هذه المجموعة من الاحصاء

هو تقديري لاحقيقي فمعرفته مفيدة . إن العالم قد تقدم كثيراً في امور الاحصاء . فأحصت كل امة ماعليها ومالها ، وكل مايجب احصاؤه ، وهذا ماافادها ، لانها أصبحت تعمل على نور الحقيقة ، أما في بلادنا فالاحصاء متأخر جداً ، وإذا أحصى القائمون على الحكم بعض الاشياء ، فانهم يبقونه في طيات اضبارات دوائرهم ، لاتعلم الامة عنه شيئاً .

إن هذه المجموعة قد ظهرت عامة باللغة العربية لاول مرة . وقد دون فيها حالة المناخ في سورية ولبنان في سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ : درجة الحرارة ، مقادير الامطار التي هطلت ، نسبة الرطوبة ، ودون فيها مساحة الاراضي ، وعدد السكان بحسب المذاهب ، والمواليد والوفيات ، وقد ظهر ان مساحة اراضي سورية في (سنة ١٩٤٣) ١٠٤و١٧١ كيلو مترات ، ونفوسها بحسب قيود الاحصاء ٢٩٨٦٠٩٤١١ نسمة ، أي ١٧ نسمة في كل كيلو متر ، ومساحة لبنان ١٧٠و١٠ كيلو متراً ، ونفوسه ٧٤٥و١٩٠٤٧ نسمة ، أي ١٠٣ نسمات في كل كيلو متر .

وجاء فيها احصاء العرب البدو الرحل في سوريا ومواشيهم ، فكان عدد خيمهم ٣١٧٦٣ ونفوسهم ١٨٥و١٥١ نسمة ، ومع ان كل ذلك تقديري ، ولكن يبين لنا ان اخواننا في هذه البادية في ضنك من العيش .

وذكر فيها حالة المدارس ، فظهر ان عدد التلاميذ في سوريا سنة ١٩٤٣ في المدارس الرسمية « لم تدخل تلاميذ اللاذقية وجبل الدروز في هذه الارقام » ١٥٤و٦٤ والخاصة ٤٦٣و٣٨ والاجنبية ٩١٣و٢٣ تلميذاً ، وفي لبنان : في المدارس الرسمية سنة ١٩٤٣ ، ٢٢٨٥٤ وفي المدارس الخاصة سنة ١٩٤٣ ، ٧٣٩٦٠٨ ، وفي المدارس الاجنبية سنة ١٩٤٣ ، ٧٤٩و٤٦ تلميذاً ، وهذا مايدلنا على ان عدد التلاميذ في سوريا ولبنان متقارب ، مع أن سوريا أكثر عدداً ، إن سوريا قد انفقت على التعليم سنة ١٩٤٣ ، ١٧٩و٣٢٠و٦ ليرة سورية ، أما في لبنان فقد بلغت النفقات في تلك السنة ٢٥٢و٦٤٨و١ ليرة فقط ، لان المدارس الحكومية هناك قليلة .

وجاء عن الحالة الصحية ان الاعتمادات المخصصة لحفظ الصحة والاسعاف العام سنة ١٩٤٣ في سورية ١٥٠٤١٨٨٤ ليرة ، وفي لبنان ١٧٩٩٥١٢ ومن هذا يتبين ان لبنان يهتم بأمر الصحة أكثر من سورية ، أما الوفيات فقد بلغت في تلك السنة في سورية ١٨٧٩٣ نسمة ، وفي لبنان ٨٦٦٠ نسمة ، وهذا مايظهر ان الوفيات الكثيرة في سورية ، لم تسجل كلها في قيود الاحصاء .

وجاء في احصاء القضاء عدد الدعاوي التي قدمت ، والتي فصلت ، والتي أجلت ، ومراجعة تفصيل ذلك يفيد في دراسة الناحية الخلقية في البلدين ، ونشاط المحاكم .

وقد ورد احصاء عن الحالة الزراعية في سورية ولبنان ، ومنه يتبين ان المساحات المزروعة : حبوبًا ، ومزروعات صناعية ، وبقولاً ، وخضاراً ، واشجاراً في سورية ، ١٦٤٨٦٨٠٣ هكتارات . وفي لبنان ١٦٨٩٧٤٣ هكتاراً ، أي تسعة في المائة من مساحة البلدين ، وهذا ماأبقى الانتاج قليلاً ، لايسد خصاصتنا ، ولا يكفي لغذائنا إلا إذا قترنا على أنفسنا .

وجاء ذكر المواشي في سورية ولبنان ، فتبين ان مالدى سورية منها في سنة ١٩٤٣ ، ٤٥٨٠٢٠٠ رأس ، وفي لبنان ٤٨٦ الف رأس ، وهذا قليل جداً ، في ارض مساحتها ومراعيها واسعة ، وهذا ماجعل أسعار الماشية وانتاجها مرتفعاً في البلاد .

وفي بحث الانتاج الصناعي ظهر ان بعض أنواع الانتاج قد قل سنة ١٩٤٣ عما كان سنة ١٩٤٠ ، لان المواد الاولية قد نفدت ، وبعضه قد زاد نظراً للحاجة ، إن من المحقق ان منتجات حديثة قد ظهرت الى الوجود في سني الحرب فمن الضروري حمايتها وتزييدها ، وادخال التحسين عليها بالحماية الجمركية ؛ وإلا فإن المزاحمة الخارجية ستقضي عليها ، أو تبقيها طفلاً في المهد .

وجاء بحث الطرقات ، فظهر ان في سورية في غاية سنة ١٩٤٣ ، ٦٠٩٤ كيلو متراً طرقًا منوعة ، وفي لبنان ٣٠٢٩ كيلو متراً ، وهو رقم لايأس به ، انما نحن في حاجة الى اكثر . نعم ان السيارات في البلدين في غاية تلك السنة لم تكن سوى ٨١٠٧ سيارات ، ولكنها كانت ضعف ذلك قبل الحرب .

اما الخطوط الحديدية فهي جد قليلة ، إذ ليس في سورية الا ماطوله ٨٥٤ كيلو متراً ، وفي لبنان ٢٠٩ كيلو مترات ؛ وقد كان من المستحسن تدخل الحكومتين لتزييد هذه الخطوط .

وجاء بحث الحالة التجارية في البلدين ، فظهر أن ما استوردناه في سني ١٩٣٦ — ١٩٤٣ قيمته ٥٠٣٦٧٢١٦٠٠٠ ليرة سورية ، وما صدرناه في تلك السنين قيمته ١٩٤٦٣٠٢٦٠٠٠ ليرة سورية ، أي اننا خسرنا ١٩٦٠٠٠ و٣٠٩ ليرة سورية ، وهذا مايدل ان العمل الاقتصادي عندنا كان أبتر .

ثم جاء بحث الاسعار بالجملة والمفرق ، للمواد الضرورية ، ولا بأس من معرفة هذه النسبة ، التي تبين ان الاسعار كانت في ارتفاع متواصل في سني الحرب ، لعدم وجود نظام للتقنين ، ولتحديد الاسعار ، وعدم الاهتمام في تزييد الانتاج ، وشراء المواد الاولية الضرورية من الخارج ، وهذا ماجعل ثلاثة في المائة من شرهي التجار المحتكرين يجمعون ثروة ٩٧ في المائة في خزائنهم .

وجاء بحث قيمة النقد والاسهم المالية واسعارها ، وهذا يفيد حامليها .

وبحثت عن حالة المصرف السوري فجاء فيها ان الاوراق المتداولة في سوريا ولبنان في غاية سنة ١٩٤٣ ، و٢٧٢٥ مليون ليرة سورية ، وان تغطيتها من الاسترليني والدولارات الحقيقية والاحتياطية ٣١٣ مليون و٣٠٠ الف ليرة سورية

وبحثت حالة موازنة الحكومتين السورية واللبنانية .

وصفوة القول ان هذا الاحصاء حسن مفيد .

منير الشريف

الجزء الثالث والرابع من ربيع الابرار للزمخشري

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، يبلغ عدد صفحاتها ٩٠٨ صفحات ، بأبعاد ٢٤ × ١٧ سنتيمتراً ، حالها حسنة ، خطها مقروء ، ويبلغ عدد أسطر صفحتها ١٥ سطراً .

موضوعها : قال ملا كاتب چلبي في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات لابي القاسم محمود بن عمر جار الله

العلامة الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ﻫ أوله الحمد لله الذي استحمد الى عباده موجبات المحامد مما أسبغ عليهم الخ .. قال : هذا الكتاب قصدت به احمام خواطر الناظرين في الانكشاف عن حقائق التنزيل وترويح قلوبهم المتعبة ، ورتبه بعضهم الى اثنين وتسعين بابًا وقد انتخبه محيي الدين محمد بن خطيب قاسم المتوفى سنة ٩٤٠ﻫ قال : لما كان علم المحاضرات علمًا نافعًا من العلوم لاتدرك غايته استخرجت من بحث فوائده على وجه الاختصار والحقت به ماعثرت عليه في كتب الادباء وسميته بروض الأخبار المنتخب من ربيع الابرار ، انتهى ورتبه على خمسين روضة ... واختصره رجل آخر أيضًا وسماه أنوار الربيع . اه

يحتوي الجزء الثالث من نسختنا المخطوطة على الأبواب الآتية : العلم والحكمة والأدب والكتاب والقلم وما يناسب ذلك ، الغزو والقتل والشهادة وذكر الحرب والأسلحة والهزيمة والسبي والغارة والشجاعة والجبن وما أشبه ذلك ، الغدر والخيانة والغش والفتك والسرقة والوشايات والنمائم وإفشاء السر ، الغموم والمكاره والشدائد والبلايا والخوف والجزع والبكاء ، الفخر والكبر والصلف واعجاب المرء بنفسه وذكر الخيلاء وجر الازار ، الفال والزجر والطيرة والعيافة والكهانة والرقى والسحر والشعوذة والعين واللغز والأحاجي ونحوها ، التفاضل والتفاوت والاختلاف والاشتباه وما قارب ذلك وما داناه وضرب في طريقه ، الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والسرور والتهاني والبشائر وما أشبه ذلك ، القرابات والانساب وذكر خنوق الآباء والامهات وصلة الرحم والعقوق وحب الأولاد وما يجب لهم وعليهم ، القصاص وما ورد من حكاياتهم وملحهم والمتصوفة وما جاء في أكلهم وصعقهم ، القضاء وذكر القضاة والشهود والديون والايمان والخصومات وما يليق بذلك ، الكذب والزور والبهتان والرياء والباطل والارجاف والتنبؤ وما أشبه ذلك ، الكرم والجوع واصطناع الاحرار وذكر الكرام والاجواد واولي المروآت ، اللؤم والشح وذكر اللئام وما جاء في ذمهم ، الالوان والنقوش والوشم والتصاوير وذكر الخضاب وما أشبه ذلك ، اللباس والحلي من القلائد والاسورة والخلاخيل والخواتيم وذكر البسط والمفارش والوسائد وما جانس ذلك ،

اللهو واللذات والقصف واللعب وذكر النبيذ وما يتصل به واتباع الشهوات والأمراض والعلل والعاهات والطب والدواء والعيادة ونحو ذلك .

واما أبواب الجزء الرابع فهي : المال والكسب والتجارة والنفاق والكساد والغلاء والغبن وذكر الغنى والفقر وما اتصل بذلك ، المدح والثناء وطيب الذكر والحث على اكتسابه وما مدح به من المساعي الكريمة والخصال الحميدة . الملح والمداعبات والمضاحك وما جاء من النهي عن المزاح والترخيص فيه ونحو ذلك ، الموت وما يتصل به من ذكر القبر والتعزية والمرثية والنعي وغير ذلك ، الملك والسلطان والامارة والسياسة والبيعة والخلافة وذكر الولاة وما يتصل بهم من الحجاب وغير ذلك ، المنطق وذكر الخطب والشعر والفصاحة والبلاغة والعي والافحام والايجاز والاسهاب وما اتصل بذلك ؛ باب النساء ونكاحهن وطلاقهن وخطبتهن والاعراس بهن ومعاشرتهن وما يحمد ويذم منهن وما اتصل بذلك ، النصيحة والموعظة والزجر عن القبيح والشفقة والرحمة وما يجري مجراها ، النعمة وشكرها والاشادة بذكرها وغمطها وكفرانها والامتنان بها وما اتصل بذلك ؛ النوم والاحتلام والسهر والرؤيا وما جاء من عجائب التأويلات وما يتعلق بذلك ؛ الوفاء وحسن العهد ورعاية الذمم والامانة والثقة وكتمان الاسرار وما أشبه ذلك ؛ الوقاحة والسفاهة والجسارة وقلة المبالاة وذكر الغوغاء ونحو ذلك ؛ الهدية والرشوة وما جاء في الاهداء والاستهداء وذكر من ارتشى في الحكم وغيره ، اليأس والقناعة والرضا بما قسم الله ورزق والتوكل عليه والتفويض اليه والنزاهة عن المطامع ، الخيل والبغال والحمير وذكر الفروسية وما اتصل بذلك ، الابل والبقر والغنم وما يتصل بها وينسب اليها ، الوحوش من السباع وغيرها وذكر احوالها وما يصطاد منها ويتألف وما أشبه ذلك ، دواب البحر من السمك وسائر الحيوان المختلف فيه وما وضع الله فيها من العجائب ، الطير وما اوتيت من أعاجيب الالهام في حضنها وزقها ورفرفتها على فراخها وتدبير امرها ، البعوض والذباب والفراش والزنابير والجراد والجنادب وما أشبه ذلك ، والحشرات والهوام ونحوها من دواب الارض وما اتصل بها وذكر معها . عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

١ السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق
٢ الدكتور أسعد الحكيم 〃
٣ الأمير جعفر الحسني 〃
٤ الدكتور جميل الخاني 〃
٥ 〃 جميل صليبا 〃
٦ السيد خليل مردم بك (أمين السر العام) 〃
٧ 〃 سليم الجندي 〃
٨ 〃 شفيق جبري 〃
٩ 〃 عارف النكدي 〃
١٠ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) 〃
١١ السيد عز الدين التنوخي 〃
١٢ 〃 فارس الخوري 〃
١٣ 〃 محسن الامين 〃
١٤ 〃 محمد البزم 〃
١٥ الشيخ محمد بهجة البيطار 〃
١٦ الدكتور مرشد خاطر 〃
١٧ الأمير مصطفى الشهابي 〃
١٨ السيد معروف الارناؤوط 〃
١٩ 〃 هنري لاوست 〃
٢٠ الشيخ راغب الطباخ حلب
٢١ 〃 عبد الحميد الجابري 〃
٢٢ 〃 عبد الحميد الكيالي 〃
٢٣ الدكتور عبد الرحمن الكيالي 〃
٢٤ الشيخ محمد زين العابدين حلب
٢٥ السيد سوبريوس افرام حمص
٢٦ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٢٧ 〃 ابراهيم منذر بيروت
٢٨ السيد أنيس المقدسي 〃
٢٩ 〃 بشارة الخوري 〃
٣٠ 〃 بولس الخولي 〃
٣١ 〃 عمر الفاخوري 〃
٣٢ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
٣٣ الفيكونت فيليب دي طرازي 〃
٣٤ الدكتور نقولا فياض 〃
٣٥ السيد عيسى اسكندر المعلوف زحلة
٣٦ الشيخ احمد رضا جبل عاملة
٣٧ 〃 سليمان ظاهر 〃 〃
٣٨ السيد ادوار مرقص اللاذقية
٣٩ 〃 محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) 〃
٤٠ 〃 عبد الله مخلص القدس
٤١ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي 〃
٤٢ 〃 محمد الشريقي عمان
٤٣ الاب انستاس ماري الكرملي بغداد
٤٤ الشيخ رضا الشبيبي 〃
٤٥ السيد طه الراوي 〃
٤٦ طه باشا الهاشمي 〃

٤٧ السيد عباس العزاوي	بغداد
٤٨ الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٤٩ 〃 محمد بهجة الاثري	〃
٥٠ الدكتور داود الجلبي	الموصل
٥١ السيد ابراهيم عبد القادر المازني	القاهرة
٥٢ احمد أمين بك	〃
٥٣ السيد احمد حسن الزيات	〃
٥٤ الدكتور احمد عيسى بك	〃
٥٥ أحمد لطفي السيد باشا	〃
٥٦ السيد انطون الجميل	〃
٥٧ 〃 خليل ثابت	〃
٥٨ خليل مطران بك	〃
٥٩ السيد خير الدين الزركلي	〃
٦٠ الدكتور طه حسين بك	〃
٦١ السيد عباس محمود العقاد	〃
٦٢ الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٤ السيد محمد لطفي جمعة	〃
٦٥ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا	〃
٦٦ الامير يوسف كمال	〃
٦٧ السيد عبد الحميد العبادي	اسكندرية
٦٨ 〃 حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٦٩ 〃 عبد الحي الكتاني	فاس
٧٠ الامير شكيب ارسلان	لوزان
٧١ السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٧٢ 〃 عباس إقبال	طهران
٧٣ 〃 مارسه	تونس

٧٤ السيد ماسه	الجزائر
٧٥ 〃 محمد الحجوي	مراكش
٧٦ 〃 كي	بوليفيا
٧٧ 〃 بوفا	باريز
٧٨ 〃 دوسو	〃
٧٩ 〃 كولان	〃
٨٠ 〃 ماسينيون	〃
٨١ 〃 آسين بلاسيوس (مجريط)	اسبانية
٨٢ 〃 لويس (لشبونة)	البرتغال
٨٣ 〃 هيس	سويسرا
٨٤ 〃 أراندونك	هولاندة
٨٥ 〃 هوتسما	〃
٨٦ 〃 كرنكو	انكلترا
٨٧ 〃 جيب (ه٠١٠ر)	〃
٨٨ 〃 بروكلمن	المانية
٨٩ 〃 هارتمان (ريشار)	〃
٩٠ 〃 سترستين	السويد
٩١ 〃 استروب	الدانيمارك
٩٢ 〃 موجيك	فينا
٩٣ 〃 ماهلر	بودابست
٩٤ 〃 موزل	تشيكوسلوفاكية
٩٥ 〃 كوفالسكي	بولونية
٩٦ 〃 كراتشكوفسكي	لينغراد
٩٧ 〃 كرسيكو	فنلاندة
٩٨ 〃 فيليب حتي	اميركة
٩٩ 〃 هرزفلد	〃
١٠٠ 〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	السيد مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 مالنجو	〃
٥	〃 الياس قدسي	〃
٦	〃 أنيس سلوم	〃
٧	〃 جميل العظم	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٢	السيد أديب التقي	〃
١٣	〃 حسن بيهم	بيروت
١٤	الأب لويس شيخو	〃
١٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
١٦	السيد جبر ضومط	〃
١٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
١٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
١٩	السيد أمين الريحاني	〃
٢٠	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢١	السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٢٢	الشيخ سليمان أحمد	اللاذقية
٢٣	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢٤	الأب جرجس شلحت	حلب
٢٥	〃 جرجس منش	〃
٢٦	السيد قسطاكي الحمصي	〃
٢٧	الشيخ كامل الغزي	〃
٢٨	السيد ميخائيل الصقال	〃
٢٩	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٣٠	السيد نخلة زربق	القدس
٣١	الشيخ خليل الخالدي	〃
٣٢	〃 سعيد الكرمي	طول كرم
٣٣	السيد محمود شكري الآلوسي	بغداد
٣٤	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٣٥	〃 معروف الرصافي	〃
٣٦	〃 أحمد الاسكندري	القاهرة
٣٧	أحمد زكي باشا	〃
٣٨	أحمد شوقي بك	〃
٣٩	السيد أسعد خليل داغر	〃
٤٠	حافظ ابراهيم بك	〃
٤١	السيد محمد رشيد رضا	〃
٤٢	〃 مصطفى صادق الرافعي	〃
٤٣	أحمد كمال باشا	〃
٤٤	أحمد تيمور باشا	〃
٤٥	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٤٦	الدكتور يعقوب صروف	〃

٤٧ السيد اوجينيو غريفيني	القاهرة	٦٢ السيد هومل	المانيا
٤٨ « رفيق العظم	«	٦٣ « ساخاو	«
٤٩ « داود بركات	«	٦٤ « هوروفيتز	«
٥٠ الدكتور أمين المعلوف	«	٦٥ « مارتين هارتمان	«
٥١ الشيخ عبد العزيز البشري	«	٦٦ « ميتفوخ	«
٥٢ الأمير عمر طوسون	الاسكندرية	٦٧ « مونته	سويسرا
٥٣ الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر	٦٨ « سنوك هوغرنيه	هولاندة
٥٤ السيد رينه باسه	«	٦٩ « مرجليوث	انكلترا
٥٥ « ميشو بللير	طنجة	٧٠ « بفن	«
٥٦ « زكي مغامز	الاستانة	٧١ « براون	«
٥٧ الحكيم محمد أجمل خان	الهند	٧٢ « بوهل	الدانيمارك
٥٨ السيد فران	باريز	٧٣ « بدرسن	«
٥٩ « كليمان هوار	«	٧٤ « أغناطيوس غولدصهير	بودابست
٦٠ « جويدي	إيطاليا	٧٥ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	زنجان
٦١ « نالينو	«	٧٦ السيد ماكدونالد	أميركا



الاستاذ الشيخ عبد القادر المبارك

ولد سنة ١٨٧٨ وتوفي في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

فجع المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ المبارك من أجل أعضائه وأقدمهم ، رافق المجمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله وفيما يلي موجز ترجمته :

أصله وأسرته : ولد الأستاذ السيد عبد القادر المبارك من أسرة معروفة من أشراف الجزائر هاجر جده منها الى دمشق حوالي سنة ١٨٤٠ اثر استقرار الافرنسيين في بعض أجزاء الساحل الجزائري وكان والده الشيخ محمد المبارك عالماً أديباً وصوفياً ومرشداً له تلاميذ وأتباع كثيرون وكانت له في اللغة والأدب مشاركة جيدة وقد قرأ عليه كثير من أدباء الشام المشهورين وله عدة رسائل أدبية نثرية وشعرية مطبوعة أشهرها بهجة الرائح والغادي في أحاسن محاسن الوادي .

دراسته وتحصيله : في هذا البيت المعروف بالعلم والفضل نشأ الأستاذ السيد عبد القادر حضر مجالس والده الأدبية والوعظية وتلقى عنه كثيراً من المعارف اللغوية والأدبية ودرس مدة قليلة في المدرسة الرشدية العسكرية ثم أتم دراسته على الطريقة القديمة تقرأ على شيوخ العصر كالشيخ أمين سويد والشيخ بدر الدين والشيخ عطا الكسم وغيرهم ثم عكف على دراسة اللغة بنفسه وصرف في ذلك وقتاً طويلاً من شبابه .

أعماله ووظائفه : وحوالي سنة ١٩٠٥ افتتح مدرسة خاصة في زقاق النقيب في حي العمارة وفي سنة ١٩١٠ جرت مسابقة لتعيين أستاذ للغة العربية للمدرسة السلطانية الأولى بدمشق (مدرسة التجهيز الآن) فكان الفائز فيها وبقي أستاذاً في هذه المدرسة يعلم اللغة العربية ثم كلف تدريس الدين أيضاً وتخرج على يده عدد ضخم من المثقفين في الديار الشامية وفي عهد الحكومة العربية الفيصلية انشئت المدرسة الحربية فعين فيها استاذاً للغة والدين والتاريخ العربي كما عين عضواً في لجنة التعريب التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الادارية والعسكرية وغيرها الى العربية ثم عاد الى المدرسة السلطانية (مدرسة التجهيز) بعد أن أغلقت المدرسة الحربية بانقضاء العهد الفيصلي وكلف تدريس اللغة في مدرسة الأدب العليا التي أنشئت سنة ١٩٣٠ وفي سنة ٩٣٨. بلغ الستين فمددت خدمته سنتين ثم أحيل على المعاش (التقاعد) ١٩٤٠ وعهد اليه ثانية تدريس اللغة في دار المعلمين العليا التي أحدثت سنة ١٩٤٢

في المجمع العلمي العربي : أما صلته بالمجمع فقد كان من الأعضاء العاملين منذ تأسيس المجمع وقد شارك في أعماله فاشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب وكان الى ما قبيل وفاته عضواً في اللجنة التي ألفت لترجمة المصطلحات العسكرية وألقى في قاعة المجمع عدة محاضرات منها محاضرتان عن ابن خلكان وقصصه في تاريخه ومحاضرة عنوانها الشعر الخالد وأخرى فى المشجر في اللغة وغيرها .

علمه وثقافته : أبرز نواحي الشيخ (اللغة) فقد شغف بدراستها منذ حداثته واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة وقد عنى في شبابه بشرح القصيدة اللغوية المشهورة بالمقصورة الدريدية وهو شرح كبير منسق ولا يزال محفوظاً غير مطبوع وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم فكان حجة في هذا الباب فلا تكاد تسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيها من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها وبمناسبتها من النوادر والأخبار (*) .

ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً (السيرة وتراجم الرجال) فكان راوية حافظاً للأخبار والتراجم كثير الولوع بمطالعة كتب التاريخ والتراجم حتى يكاد يعرف ما ورد في ثناياها من الطرف والأخبار أمثال وفيات الأعيان ومروج الذهب وابن عساكر .

وأما ثقافته الدينية فلا تبلغ حد الاختصاص وانما هي من قبيل المشاركة .

وأما الثقافة الحديثة فلم يتلقفها عن المدارس النظامية إذ لم يمكث فيها إلا مدة وجيزة وانما هي نتاج المطالعة الخاصة والمجالسة لأهل العصر من الأدباء وقد أعانه على ذلك صحة في الطبع وقوة في الادراك .

آثاره : ليس للأستاذ آثار مكتوبة كثيرة فان أبلغ أثر تركه انما يظهر فيمن تخرجوا على يده من التلاميذ ممن نبغوا في الأدب والشعر وكان له الفضل في تشجيعهم وتسديد خطاهم وله في التدريس طريقة خاصة به تتجلى فيها الحيوية والنشاط يعرفها طلابه ويذكرون آثارها البارزة في أنفسهم .

وأما آثاره المكتوبة فقليلة والمطبوع أقل من ذلك فمنها : شرح المقصورة الدريدية في اللغة وهو مخطوط ، وفرائد الأدبيات العربية وهو مجموع نصوص أدبية مشروحة ، وكتاب المعلومات المدنية المنقول من التركية وهما مطبوعان .

(*) ولعل ميله اللغوي بوجه عام هو الذي حفزه الى تعلم اللغات فقد كان يحسن التركية ويلم بالانكليزية قراءة وفهماً وله إلمام قليل بلغات أخرى شرقية وغربية درسها ولم يتم دراستها .

وله قصائد كثيرة هي على الغالب أقرب الى شعر العلماء الا في القليل النادر مما ظهرت فيه الروح الشعرية .

ومما نظمه قصيدة في اللغة العربية وتاريخها ومطلعها :

شغفت بتذكار الشعوب الأوائل   وما خلفوه في الديار الحوائل

ومنها قصيدة قافية مطبوعة عنوانها (احدى العبر بين البشر) وموضوعها النهضة الجديدة وأخرى عنوانها (بكر الشرق) في الحرية والدستور في العهد العثماني .

في المجتمع : وكان للأستاذ رحمه الله منزلة شعبية كبيرة ونفوذ في مختلف طبقات الأمة وكان مفزعاً للناس في أمورهم ومشكلاتهم وكثيراً ما انتدب لإصلاح ذات البين أو للخير العام وكان قوي النفوذ الى نفوس مجالسيه وكان محدثاً بارعاً حاضر البديهة متوقد الذهن بادي النشاط جهوري الصوت قوي النبرات فصيح اللسان جريئاً — رحمه الله — .

الألفاظ الأعجمية

في شعر أبي فراس الحمداني

منها لفظة (العنقفير) بالعين المهملة المفتوحة والنون الساكنة والقاف المفتوحة والفاء المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والراء آخر الحروف فقد وردت في قصيدة له من الروميات يقول فيها من الشعر القصصي :

ومراة بكر بعد ضيق فرقوا   جمع الأعاجم عن أنوشروان
أبقت لبكر مفخراً وسما لها (بها)   من دون قومهما يزيد وهاني
المانعين العنقفير بطعنهم   والثائرين بمقتل النعمان

في القاموس في باب الراء فصل العين في مادة عقفر : العنقفير كزنجبيل الداهية والمرأة السليطة اهـ ويفهم من شرح ابن خالويه لديوان أبي فراس ان المراد بالعنقفير هنا ابنة النعمان بن المنذر وليس يدرى أن ذلك اسم لها أو لقب لقبت به تشبيهاً

لها بالداهية أو لكونها امرأة سليطة فان المعروف أن ابنة النعمان اسمها أُلحرَقة كهمزة وهي التي بقيت الى الفتح الإسلامي وقصتها مع خالد بن الوليد مشهورة واحتمال أن يكون أبو فراس سماها بذلك بعيد . قال ابن خالويه في شرح ديوان أبي فراس : لما قتل كسرى النعمان بن المنذر طلبت ابنته العنقفير الجوار من كل العرب فأبوا أن يجيروها حتى دخلت بيت هانئ بن قبيصة بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان فأجارها فقعدت عنه قبائل بكر ابن وائل الا يزيد بن اصرم بن مسهر وأصرم بن ثعلبة بن سعد بن همام بن سعد ابن عجل فانهما قاما بنصره ومعونته فاجتمعا معه بذي قار فانتصروا على كسرى حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم اه وهذا يدل على تبحر ابن خالويه وسعة اطلاعه فصاحب القاموس الذي بلغ الغاية في الاطلاع على اللغة لم يزد في تفسير العنقفير على ما سمعت ولو اطلع على ما اطلع عليه ابن خالويه لما أهمله فقد قيل عن كتابه إنه ليس كتاب لغة فقط بل هو أيضاً كتاب جغرافيا وطب ورجال وغيرها وكذلك صاحب تاج العروس الذي دأبه الاستدراك عليه لم يذكر ذلك وتسمية الداهية بالعنقفير ربما يرشد الى قول من يقول بوجود المناسبة بين الألفاظ والمعاني والله أعلم .

محسن الأمين الحسيني

بقية ما ترك الأجداد

المنشورة في الجزء الثالث : من المجلد العشرين

قال الأستاذ الرئيس ما خلاصته : «ومن المكثرين في التأليف والمجودين فيه إمام أساء اليه المجتمع بقدر ما أحسن هو اليه . وهذا الإمام هو ابو حاتم محمد بن حبان البستي (المتوفى سنة ٣٥٤) الذي ألف تآليف لم يسبق اليها . هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون ولو لا ما ترجم له ياقوت في مادة بست من معجم البلدان

لما عرفنا عنه شيئاً يذكر من الكتب ولا يبعد أن يكون أصحاب التراجم قد وفوه حقه ولكن الكتب التي وصلت الينا لم تشر الى ذلك» .

أقول سبق ياقوت في ترجمة الحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ في كتابه (الكفاية في معرفة أصول الرواية) وهو من مخطوطات المكتبة العثمانية بحلب وقديماً تصفحته وقرأت الكثير منه ونقلت عنه في تعليقاتي على كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح وشرحه (التقييد والايضاح) لشيخ الاسلام الحافظ العراقي وقد طبعتها معاً سنة ١٣٥٠ هـ وسنة ١٩٣١ م وذيلتها بهذه التعليقات التي دعوتها (المصباح على مقدمة ابن الصلاح) .

وهذا الكتاب العظيم نقلت فهرس أبوابه وهو نحو ٣٨٠ صفحة قال في أواخره في (ص ٣٦٢) ذكر الرجال الذين يجمع حديثهم ثم جمع التراجم ثم جمع الأبواب ثم الأحاديث المسلسلة . وقال في (ص ٣٦٥) وهذه تسمية كتب سبق المتقدمون اليها ويستحب لصاحب الحديث أن يخرج عليها . وهنا يذكر مؤلفات الحافظ علي بن المديني . وقال في هذه الصفحة : ومن الكتب التي يكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واضعها . وهنا يذكر مؤلفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي ويطيل الكلام في ترجمته .

وفي الظاهرية بدمشق نسخة نفيسة من هذا الكتاب رقمها ٣٩٣ وكنت قابلت الفهرس على نسخة الظاهرية فوجدت أن نسخة العثمانية تنقص أبواباً عن الظاهرية فحررت ذلك في هوامش الفهرس .

وهناك نسخ أخرى مخطوطة في مصر وغيرها لاأرى حاجة لذكرها بعد أن طبع الكتاب في الهند . وعن الكفاية هذا ينقل لنا ياقوت صفحتين بالحرف في كتابه في الكلام على بست حيث يقول في ص (١٧٤) أخبرنا أبو اليمن زيد ابن الحسن الكندي شفاهاً قال أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي اذناً عن ابي بكر أحمد بن ثابت (وهو الخطيب البغدادي) كتابة . قال ومن الكتب التي يكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واضعها مصنفات محمد بن حبان

البستي الى قوله في الصفحة التي بعدها والله أعلم . وترجم البستي أيضاً الحافظ الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال (ج ٣ ص ٣٩) ومما قاله في ترجمته وقال الامام أبوعمرو ابن الصلاح وذكره في طبقات الشافعية (وربما [1] غلط الغلط الفاحش في تصرفه وصدق أبوعمرو الخ ودافع عنه دفاعاً مجيداً) .

وترجمه الحافظ الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ١٢٥) ومما قاله . قال الحاكم كان بن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال قدم نيسابور فسمع من عبد الله بن شيرويه وغيره ورحل الى بخارى فلقي عمر بن محمد بن بجير ثم ورد نيسابور سنة اربع وثلاثين وسار الى قضاء نسا ثم انصرف الينا سنة سبع فأقام بنيسابور وبنى الخانقاه وقرئ عليه جملة من مصنفاته ثم خرج من نيسابور الى وطنه سجستان عام اربعين وكانت الرحلة اليه لسماع كتبه . ثم ساق بأسانيده نحو ما ذكره في ميزانه ودافع عنه نحو دفاعه ثمة .

وترجمه الامام السبكي في طبقات الشافعية (ج ٢ ص ١٤١) ومما قاله فيه وقال الحاكم : كان ثقة نبيلا ودافع عنه دفاعاً حسناً وطعن في الطاعن فيه .

وآخر من ترجمه على ما رأيت العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ في شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٦) ومما قاله : ان له ترجمة في طبقات الشافعية للاسنوي . وهو من مخطوطات الأحمدية بحلب والظاهرية بدمشق وذكره ابن الصلاح في المقدمة (ص ١٢٧) . من طبعتي التي أشرت اليها فقال : وقال أبوحاتم بن حبان البستي أحد المصنفين من أئمة الحديث الخ ويقصد العلماء بقولهم أحد المصنفين المكثرون من التأليف . واذا جمعت هذه التراجم جميعها يكون منها كتيب قيم جداً يعم نفعه ويعرف به هذا الامام العظيم وبمناسبة ذكر كتاب الكفاية للخطيب البغدادي أحببت ان أذكر له كتاباً آخر هو من هذا النوع وهو من (بقية ما تركه الأجداد) وهو كتاب (الجامع لآداب الراوي والسامع) قال الجلال السيوطي في أوائل كتابه التدريب : عمل الخطيب في قوانين الرواية كتاباً سماه

(١) التصحيح من ترجمته في تذكرة الحفاظ .

الكفاية وفي آدابها كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) قل من فنون الحديث الا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً فكان كما قال الحافظ ابوبكر بن نقطة كل من انصف علم ان المحدثين بعده عيال على كتبه وهذا الكتاب موجود الآن في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية ·

قال في فهرس هذه المكتبة : هي محررة بقلم نسخ صحيح سنة ٥٠٠ ومعارضة على النسخة المنقولة عنها وعلى كل جزء منها سماع لأبي الحسن سعد الخير محمد ابن سهل الأنصاري وبناته فاطمة وزينب بحضرة السيدة ليلى ورابعة وفتاة نافع وكان ذلك على الشيخ ابي القاسم الشهرزوري بحق إجازته عن المصنف في سنة ٥٢٩ وهي جلد ١ رقم ٣٧١١

وفي الظاهرية بدمشق أوراق ضمن مجموع يظهر لي منها ومن مقدمة ابن الصلاح التي تجد فيها نقولاً كثيرة عنه ما فيه دروس في كيفية التعليم والتعلم وآداب ذلك فيكون منطبقاً على اسمه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) ويكون ما نسميه الآن الطريقة الحديثة في التعليم قد سبقنا اليه المتقدمون بأحسن بيان ·

(حلب) محمد راغب الطباخ

الأَصْفَقَانِيَّة

قرأت في النهاية لابن الأثير ، هذا الحديث : (١ : ٢٦٧) :

(س · وفي كتاب معاوية) الى ملك الروم : « لأنزعنك من الملك نزع الأصفقانية · — هم الخوَل ، بلغة اليمن · يقال : صفقهم من بلد الى بلد أخرجهم منه قهراً وذلاً · وصفقهم عن كذا ، أي صرفهم · » اهـ ·

فتعجبتُ من ان معاوية هذا العربي الصميم يكتب هذه الكتابة ، أي ان يكتب الى ملك انه ينزعه من الملك نزع الخوَل · ومعاوية يعلم — وهو السياسي الداهية في النهاية ، انه يستطيع نزع ملك من ملكه نزع الخوَل · وليس نزع الخول أمراً هيناً ، لأنهم كثيراً ما يقاومون مولاهم إذ ربما نزعوه من ملكه ، قبل أن يطردهم من ملكه ·

ولهذا لم أرجح رواية هذا الحديث ، وقلت : ان في الحديث تصحيفين : تصحيف في المبنى ، وتصحيف في المعنى . وما زلتُ انقّر عن صحيح الرواية . حتى أصبت في الكتاب نفسه في مادة (ا ص ط ف ل) ما يأتي :

« (س . في كتاب معاوية) الى ملك الروم : ولأنزعنك من الملك نزع الإصطفلينة ، أي الجزرة . لغة شامية . أوردها بعضهم في حرف الهمزة على أنها أصلية ، وبعضهم في الصاد على أنها زائدة . » اهـ .

قلنا . وجدنا عدة حقائق في وقت واحد : الأولى أن الهمزة هنا زائدة ، لانها جُلبت لعدم الابتداء بالساكن في لغتنا . الثانية ان الكلمة شامية ، لكنها يونانية ومعناها الجزرة البرية وتكتب في هذا اللسان هكذا : Staphulinos بالمعنى الذي أشير اليه . الثالثة : ان رواية معاوية الصحيحة في هذه ، لأن الجزرة تنزع نزعاً هيناً من مكانها . الرابعة : يجب أن تكون الكلمة في الرواية الأولى دالّة على نبت يسهل نزعه ليصحّ قول معاوية . الخامسة : الأصفقانية لم ترد في كتاب إلا في التاج وهي منقولة عن النهاية على ما يبدو لي . ولم أجدها في أي كتاب آخر في متن اللغة . السادسة : الكلمة يونانية الأصل أيضاً . وهي مخففة من اليونانية (أصفرقانية) ومعناها الهليونة . وهذه النبتة تنزع نزعاً هيناً ، كما تنزع الاصطفلينة . وقد سقطت الراء من الكلمة الأعجمية ، لأن الراء كثيراً ما تزاد أو تسقط في الفاظنا كما في الألفاظ المستعارة من الأغراب . فقد قال الأقدمون : العبرَب والعربَرب وهو السماق . وتبعص وتبعرص : اضطرب والخنوص والخرنوص . وصرحت بقدحمة وقردحمة الى آخر ما عندهم ، وكفى بهذا القدر .

ومن كان له رأي مخالف فليبده ، ونحن نشكره عليه سلفاً .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

الطَّرْح ومترادفاتها

في التجارة العالمية ، كلمة كثيرة الاستعمال ، شائعة في كل قطر ومصر ، هي Tare في الفرنسية والانكليزية ، و Tara في البروفنسية والاسبانية ، والايطالية ، والبرتوغالية ، و Atara في الأندلسية ، و Tara في اللاتينية المولدة .

وكل لغوي غربيّ بحث في أصلها قال : انها من العربية (طَرْح) اي بطاء مفتوحة ، وراء ساكنة وفي الآخر حاء ويراد بها ما يُنبذ من وزن الإناء أو الظرف ، الذي تكون فيه البضاعة قبل أن تباع . مثل إخراج وزن البراميل عند بيع الخمر أو الزيت ، وثقل البستوقة من وزن السمن ، والخيش من بيع الحرائر .

وأنت اذا بحثت عنها في دواويننا ، لا ترى شرحًا (للطرح) ، ولا تجد هذه الكلمة في المعاجم الافرنجية العربية . وهذا في منتهى الغرابة !

أما أهل العراق فيسمون (الطرح) : (التَرْك) بتاء مثناة مفتوحة ، يليها راء ساكنة ، فكاف في الآخر . وهي من ترك الشيء : طَرَحَهُ ويحتمل أن يكون الترك تخفيف الطرح . إذ كثيراً ما تخفف الطاء بصورة تاء ، وهو أشهر من ان يذكر ، وتخفف الحاء كافاً ، كما قالوا في الحشحث والحابي والسُّلَح : الكشكث والكابي والسُّلك .

وقد ذكر لنا المستشرقون مترادفاً آخر للطرح : (المَرْميّ) وهو اسم مفعول من رمى ، لأن هذا العرَض ينبذ من الوزن عند تعيير المادة الأصلية .

أما الأقدمون الفصحاء من السلف ، فانهم كانوا يسمونه (القسر) . قال في تاج العروس : « القشر ، بالكسر ، غشاء الشيء ، خلقةً أو عرَضاً . . . وكل ملبوس : قِشر » اه . فدخل في هذا ، غشاء أو غلاف التجارات بأنواعها ، من من سائلة وجامدة فاجتمع عندنا عدة أحرف للافرنجية Tare فيجب أن يكتب بإزائها ما يأتي : طَرْح ، مَرْميّ ، تَرْك ، قِشر .

فعسى أن تصلح بعد هذا ، المعاجم الاجنبية والعربية ، ولا تبقى في غاية التقصير والتأخير .

أ . م . ك

فرقد الغرباء وسراج الأدباء

لجمال الدين الحسن الحانيني

ورد اسم هذه الرسالة الأدبية في مقال كتبه الأستاذ عبد الله مخلص في الجزئين ٣ و ٤ من المجلد ١٨ من هذه المجلة في التعريف بما حوته مكتبة آل المغربي من المخطوطات التي هي اليوم في حيازة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي وهذا ما جاء في التعريف بهذه الرسالة في مقال الأستاذ المخلص :

«فرقد الغرباء وسراج الأدباء لجمال الدين الحسن الشهير بالحانيني المتوفى سنة ١٠٣٥ هـ ١٦٢٥ م وهي مقامة على طراز مقامات الحريري لكنها أطول وأجمع للنكت العلمية والأدبية . كتبها علي بن أحمد الأكرم بالقدس سنة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩ م»

وقد رأيت من المفيد التعريف بصاحب هذه الرسالة وهو كما في كتاب أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل : الحسن بن علي بن أحمد العاملي الحانيني كان فاضلاً عالماً ماهراً شاعراً أديباً منشئاً فقيهاً محدثاً صدوقاً معتمداً جليل القدر . قرأ على أبيه وعلى جماعة من العلماء العامليين . منهم الشيخ نعمة الله بن أحمد بن خاتون . والشيخ مفلح الكونيني . والشيخ ابراهيم الميسي . والشيخ أحمد ابن سليمان . واستجاز من الشيخ حسن بن الشهيد الثاني . ومن السيد محمد بن أبي الحسن الموسوي بعد ما قرأ عليهما فأجازاه .

له كتب : منها كتاب حقيبة الأخيار وجهينة الأخبار في التاريخ ، وكتاب نظم الجمان في تاريخ الأكابر والأعيان ، ورسالة سماها فرقد الغرباء وسراج الأدباء ، ورسالة في الشفاعة ، ورسالة في النحو ، وديوان شعر يقارب سبعين ألف بيت بخطه وغير ذلك . ورأيت بخطه فرقد الغرباء . وعلى ظهره انشاء لطيف بخط الشيخ حسن يتضمن مدحه ومدح كتابه وترجمه المحبي في خلاصة الأثر فقال :

«حسن بن علي بن حسن بن احمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالحانيني من أهل الفضل والأدب جم الفائدة كان شاعراً مطبوعاً كثير النظم له فيه

الباع الطويل وكان مقيماً ببلدة (بيت حانين) من ضواحي صفد ، وأفتى مرة في حياة الشهاب احمد الخالدي . وقد وقفت له على أشعار كثيرة في مجموع جمع صاحبه فيه المدائح التي مدح بها الأمير فخر الدين بن معن » .

هذا مجمل ما ترجم له المحب في خلاصته والحر العاملي في أمله . أما الكتب التي سرد اسماءها له الثاني وديوان شعره الضخم ورسالته هذه فرقد الغرباء فمن المؤسف حقاً أنها مفقودة من البقية الباقية من المكتبة العاملية كما فقد ما لا يحصى من مؤلفات العلماء العامليين وتكاد تكون هذه الرسالة التي احتفظت بها مكتبة آل المغربي هي كل ما خلف من أثر وسلم من الغير . ومن النكبات التي كانت تنتاب جبل عامل وهو بين فكيها ونابيها ولهاتها . ووقود نارها المضطرمة في العهد الاقطاعي وهو بموقعه من الساحل الشامي وقربه من صيداء قاعدة ولاة ذلك العصر المضطرب بالفتن والحرب عرضة لكل ما تحمله من تدمير وما اليه من اصابة في الأرواح والأموال والنفوس والنفائس ومنها كتب العلم ومن يعلم أن الجزار في أواخر القرن الثاني عشر الهجري أوقد أفران عكاء سبعة أيام من كتب العامليين انتقاماً منهم ومن حكامهم الاقطاعيين لا يستغرب كيف ذهبت مؤلفات علمائهم الكثير عديدها والحروب ما زالت ولن تزال آفة العلم والعلماء ولا سيما إذا كانت من نوع تلك الحروب وفي مثل تلك العصور التي كان يغمر موقدي جذاها الجهل المطبق .

أما تقريظ الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني أستاذ المترجم له لرسالته فرقد الغرباء فقد عثر عليه في كتاب مخطوط لبعض علماء العجم وهذا نصه كما جاء في كتاب شهداء الفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الحسين الأميني التبريزي :

« الحمد لله وحده . وقفت على مودعات هذه الأوراق التي لا يعرف حقيقتها إلا الحذاق . فوجدت جداول عباراتها تتدفق بمحاسن الآداب . ورياض معانيها تتضوع بنشر الفضل العجاب . وكنوز فوائدها تتعهد بإعطاء الاثراء لمن أملق في فنها من أولي الألباب . ورموز مقاصدها تشهد بالارتقاء في صنعتها الى اعلا

درجات الأدباء والكتاب فالله يحيي بفضل منشئها ما مات من آثار الفضل ، ويمده من جوده الوافر وكرمه الواسع بهبات الانعام » .

(مدينة بعلبك تنظم عقداً من أدباء عصر الحانيني هو واسطته)

عثرت على مجموعة منذ سنين بخط محمد صادق بن ابراهيم بن محمد الحريري الحرفوشي فرغ من كتابتها في غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ١١٠١ نقل في مجموعته هذه من خط السيد نور الدين بن علي بن ابي الحسن ما يلي :

« انه مما اتفق من فلتات الزمان ، وفريدات هذا الأوان ، بعد أن ساعدت المقادير ، وارتفعت على خلاف العادة المحاذير ، ان جمعتنا جوامع الالتزام وألفتنا أسلاك الانسجام ، في رواب قد رق بليلها ، وراق أصيلها ، وطابت بها النفوس وتولعت بكل مأنوس ، فتجارينا بذكر الشعر والأدب وما اتفق في مطاويه من الطرائف والنخب ، حتى عُد بعضه من الاعجاز ، أو السحر المجاز ، فانبعثت عليه الخواطر والفكر ، ودعت اليه دواعي الفكاهة والسمر ، حتى أن كلاً من الحاضرين وأجلاء الأدباء والمنادمين ، صار ينظم ارتجالاً ، ويجيد مقالاً ، وكان رئيسهم الذي هو فريد الفنون ، وفي هذا الشان غاية ما يكون ، مولى الشعر والآداب ، وجليل الفضلاء والأنجاب ، ذو الجمال والمجد الرباني مولانا الشيخ حسن الحانيني ، متعنا الله بطول أيامه ، ولطائف الفاظه وأقلامه ، فابتدأهم بنظم اول هذه القصيدة ، ولهذا جاءت بالبراعة فريدة ، وسلك الجماعة على منواله ، و اقتفوا أثر اسجاله ، وذلك ببلدة بعلبك العلية ، التي لها بخصال الفضل أهلية » .

أما القصيدة التي اشترك هذا الرهط الأدبي في نظمها ارتجالاً على بحر واحد وروي واحد فيبلغ عدد أبياتها ستة وعشرين بيتاً .

وهذه اسماؤهم ومنهم المعروف والمترجم له في أمل الآمل وخلاصة الاثر وغيرهما من معاجم الرجال ومنهم من لم يترجم لهم ولم نعثر لهم على ترجمة .

(١) الشيخ حسن الحانيني (٢) الشيخ محمد الحريري الدمشقي (٣) الشيخ بهاء الدين العفيفي (٤) الشيخ حسن الظهيري العاملي (٥) السيد محمد العباسي

(٦) الشيخ عبد الرضا (٧) السيد احمد الحسيني الحسني (٨) الشيخ علي الحلبي (٩) السيد نور الدين الحسيني (١٠) محمد بن حماد .

أما قرية حانين المنسوب اليها صاحب الرسالة وقرية كونين فهما من قرى جبل عامل الجنوبية على مقربة من (بنت جبيل) من حواضر جبل عامل وعلى مسافة زهاء [١٥ كم] من صفد . (النبطية) **سليمان ظاهر**

أبو حاتم البستي

قرأت في مفتتح العدد الثالث من المجلد العشرين من مجلة المجمع العلمي العربي قول الأستاذ الرئيس بصدد ترجمة الامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي : «هذا الإمام الذي ألف تآليف لم يسبق اليها ورواها عنه الثقات الأثبات ، وانتظمت له الامامة في الدين فعُدَّ صحيحه في الحديث أصح من سنن ابن ماجة وعرف الى ذلك الطب والنجوم ، هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون . ولولا ما ترجم له ياقوت في مادة (بست) من معجم البلدان لما عرفنا عنه شيئاً يذكر في الكتب ، ولا يبعد أن يكون أصحاب التراجم قد وفوه حقه ولكن الكتب التي وصلت الينا لم تشر الى ذلك» .

قرأت هذا فحفزني إلى الرجوع إلى ما لديّ من كتب التراجم فوجدت ترجمته في جمهرة منها — وجميعها مما طال عهد الأستاذ الرئيس بمطالعته — وها أنذا أذكرها على سبيل التذكير :

أنساب السمعاني الورقة ٨٠	شذرات الذهب ٣: ١٦
طبقات الشافعية ٢ : ١٤١	الأعلام للزركلي ٨٨٠
الرسالة المستطرفة ١٦	قاموس الأعلام (تركي) ٦١٦
تذكرة الحفاظ ٣ : ١٢٥	ميزان الاعتدال ٣ : ٣٩
لسان الميزان ٥ : ١١٢	ابن عساكر (مخطوط)

(دمشق) **أحمد عبيد**

هديتان الى دار الكتب الظاهرية

— ١ —

أهدت وزارة المعارف المصرية الى دار الكتب الظاهرية بدمشق (٢٩٣) كتاباً مطبوعاً بين مجلد ورسالة انتخبت من كتب مستودعات هذه الوزارة وقد تفضل معالي الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك وزير المعارف المصرية بهذه الهدية الثمينة تعزيزاً للصلات الثقافية بين القطرين الشقيقين المصري والسوري فله وللوزارة خالص الشكر ٠

— ٢ —

وأهدى غبطة بطريرك الروم الأرثوذكس الى دار الكتب المذكورة (٥٥) مجلداً بين مخطوط ومطبوع فدلـ بذلك على نفس سامية كريمة وحب لتنشيط العلم ودوره فله الشكر الجزيل ٠

تصحيح واستدراك

وقعت أخطاء مطبعية في (تصحيح أغلاط كتاب البخلاء) المنشور في المجلد العشرين ، نذكر تصويبها كما يلي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥	٩	بالقاء	بابقاء
١٥٧	٢٣	حمض	حمص
١٥٩	٩	لجم	لحم
١٦٠	١٤	٦٨	سر الآن ! مر ! مرا ! فر الآن ! فر ! فر !
١٦١	١٤	يوضع خط أفقي بين كلمتي الدفاف والنقل	
١٦٣	٩	نجع	أنجع
٢٥٣	١٤	من	من من
٢٥٥	٢٥	في الناس	من الناس
٢٥٨	١٥	من [ثقاتهم]	[من ثقاتهم]
٣٥٠	٧	١٩٥-٥يدي	١٩٦-٥يدي
٣٥٠	٥	الايراد	الايرد
٣٥٢	٤	وديارجة	ودرياجة
٤٥١	٩	[ويرد]	[ويرد من]
٤٥٤	٣	غصن	غض
٤٥٨	٢	فيها	منها
٤٥٨	٢٣	أبار	أبآر

وفي ٣٥٢ — ٤ سميت السلة التي يحصر فيها السمك بالـ (اوهار) وأرى الآن أن أوهاراً عامية فصيحها (وِهار) بكسر الواو اسم آلة من وهر يهر وزان حزام ولجام ٠

(الموصل) داود الچلبي

الصفحة فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد الحادي والعشرين

٣ أغلاط الافرنج . . . . . للأستاذ محمد كرد علي .
١٢ بقايا الفصاح . . . . « شفيق جبري .
١٦ القضاء اللبناني (٣) . . . . « عارف النكدي .
٢٣ أسماء نباتات أعجمية من أصل عربي . للأمير مصطفى الشهابي .
٢٧ الكلمات اللغوية الطبية . . . للأستاذ عبد القادر المغربي .
٣٦ آراء وملاحظات بشأن دروس العربية « ادوار مرقص .
٤٩ دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها (٥) للدكتور أسعد طلس ..

(مخطوطات ومطبوعات)

٦١ المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري . للأستاذ شفيق جبري .
٦٢ ذكرى احمد تيمورباشا ٦٣ السلوان الكاذب « « « . .
٦٤ أيها العرب اتحدوا . . . « « « . .
٦٤ سومر ٦٥ تاريخ الأسطول العربي للأمير جعفر الحسني . .
٦٦ حفريات دورا-اوروبس . القسم الثاني من التقرير الرابع « « « . .
٦٧ نظرات في الصيام . . . للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٦٨ مسالك إلى قلب آسيا . . . « جورج حداد . .
٧٠ كتاب التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية « محمد أحمد دهمان .
٧١ معالم الوحي . . . . « عبد القادر المغربي .
٧١ مجموعة احصاآت عن سورية ولبنان . « منير الشريف . .
٧٤ ربيع الأبرار للزمخشري . . « عمر رضا كحالة . .

(آراء وأنباء)

٧٧ أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م . . . .
٧٩ الراحلون « « « « « . . . . . .
٨١ ترجمة الأستاذ الشيخ عبد القادر المبارك . . . .
٨٤ الألفاظ الغريبة في شعر أبي فراس . للسيد محسن الأمين الحسيني .
٨٥ بقية ما ترك الأجداد . . . . للأستاذ محمد راغب الطباخ .
٨٨ الأصفقانية ٩٠ الطرح ومترادفاتها للأب أنستاس ماري الكرملي
٩١ فرقد الغرباء وسراج الأدباء . . للأستاذ سليمان ظاهر .
٩٤ أبو حاتم البستي . . . . « أحمد عبيد . .
٩٥ هديتان الى دار الكتب الظاهرية . تصحيح واستدراك . للدكتور داود الجلبي



آذار ونيسان سنة ١٩٤٦ شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى سنة ١٣٦٥

القول في اتكالنا (١)

كان عرب الجاهلية المثل الأعلى في الاعتماد على النفس ، اشتهروا بمغامراتهم ورحلاتهم لغرض التجارة ، وكانوا اذا شحت عليهم سماؤهم وأقحطت أرضهم تنبهت فيهم غريزة حفظ النوع فلا يرون غير الاعتداء على جيرانهم ، يستلبون منهم ما يسد جوعتهم .

ولما جاء الاسلام وبطل الغزو والتعادي أصبحوا يتكلون على خالقهم كما كانوا يتكلون على أنفسهم ، وعوّضوا عن الغصوب بما أتاهم به الحدث الجديد من المغانم ، وكانوا اذا فتحوا بلداً حبوا لاستعمار غوره ونجده ، فشادوا المدن ، وأحيوا الموات ، وفجروا الأنهار ، وأقاموا السدود ، وعمروا الرياض والغياض ، وبفرض العطاء أي الرواتب لأشرافهم ومن تبعهم ، وبتحريم الربا والبيوع الفاسدة ، وزعت الثروة فزادوا توسعاً في معايشهم أكثر من يوم كانوا فيه ولا قوة تحميهم في السفر والحضر .

شرع العرب موجز وسريع التنفيذ ، وتدابيرهم معقولة مقبولة حتى في الجاهلية ، وكانوا اذا صح عزمهم على أمر فيه صلاح معادهم أو معاشهم تجلى حزمهم وجدّهم ، وهذه الصفات تقوى وتضعف فيهم بحسب العصور والأمصار . ومنذ فجر الاسلام أنشأوا يبنون جوامعهم ومساجدهم بأنفسهم ، وينصبون لها الخطباء والأئمة ، ويقومون

(١) من كتابنا الجديد « أقوالنا وأفعالنا » وهو الى الآن مخطوطة .

بشؤونها لا يرزأون بيت المال شيئاً ، كانوا يعرفون عالمهم وتقيهم وداهيتهم كما عرفوا في جاهليتهم شاعرهم وخطيبهم وكاهنهم ، وما كان العارف فيهم — وعلى كل واحد زاجر من نفسه — يتصدى لما ليس له بأهل ، فلا يقضي ولا يُفتي ولا يعظ ويخطب الا اذا شهدله الثقات بالفضل حتى لا يضل به المهتدي ويزل المسترشد .

ولما نزح العرب في العصور التالية لاقامة رباطاتهم ومدارسهم ودور مرضاهم وضيافتهم وسائر مصانعهم حبسوا عليها من الأحباس ما يقوم بها على الأيام ، طيبة نفوسهم بما بذلوا ، والى هذا كانوا يعاونون حكوماتهم فيما يقيم المرابطين من مؤنة وخيل وسلاح ، لعلمهم بأن عزهم مناط عزة حكومتهم ، وسلامة أعراضهم وعروضهم في دفع أذى أعدائهم عن ديارهم ، وكان يندر فيهم من من يحيد عن سَنَن الفضيلة ، يرون الأمانة أمراً طبيعياً ، والصدق فرض عين ، والبعد عن المأثم نبلاً ومروءة ، ولذلك خلا بعض أمصارهم في القرن الأول من السجون لندرة الجناة والمجرمين .

وقلّت ثروة العرب ، وضعفت مقومات حياتهم ، وغدا وعاظهم وحكماؤهم من الفريق الذي عزّ عليه تحصيل رزقه من أبواب المعاش المعروفة ، فلجأ الى دعوى خدمة الدين يبيع بضاعته من الراعي والرعية ، وأصبح قضاتهم يصانعون في قضائهم ، ويُصادَرون كما يصادر لصوص العمال ، فزال جلال القضاء لعدم الثقة بالأمناء عليه ، وما وصف الإمام أبو يوسف في رسالته الى الرشيد قضاة عصره الا وصف عارف بما هنالك اذ قال : « وما أظن كثيراً من القضاة والله أعلم يبالي بما صنع وكيفما عمل ولا يبالي أكثر من معهم أن يُفقروا اليتيم ويهلكوا الوارث » ثم أخذ القضاة يبتاعون مناصبهم ممن كانوا يُدعون ملوكاً فيجمعون أموال السحت وناهيك بها من سُبّة .

ومع أن الفردية تغلب على العربي أكثر من الجماعية ، كان من العرب من يشتركون في مسائل تجارية كبرى ، ويقسمون الأرباح بينهم ، ويرضى كل واحد بما قسم له ، وقلّ أن يرجعوا في اختلاف يَنْشَب بينهم الى صاحب السلطان ،

يفضون خلافاتهم بمعرفة أهل الرأي والتجربة منهم ، والى اليوم ترى في نجد مع بعدها عن العمران شركات تجارية جمعت رؤوس أموالها من الأغنياء والفقراء واشترك بها الأقوياء والضعفاء ، على مثال شركات الغربيين ، وفيها الأمانة ماثلة كثيراً .

كانت أعمال الأفراد في معظم العصور أكثر نجاحاً وأوفر عائدة مما تتولاه الدول ، ذلك لأن عمل الفرد تظهر فيه المسئولية فيحتاج الى التدقيق ، وفي عمل الدولة تختفي التبعات ، ويزيد الاسراف في النفقات ، ويتهاونون بالجزئيات وأحياناً بالكليات ، ولذا رأينا السكك الحديدية والمعامل والمدارس وكل ما تديره الحكومات في الغرب والشرق من المشاريع أقل ربحاً وأكثر نفقة مما يديره الأهلون .

ومتى ضعفت ثقة الناس بعضهم ببعض ، تنفتح للحكومات منافذ التدخل في أمور الرعية ، فتستتبع بعض طبقاتهم على ما تهوى ، ويقوى بذلك سلطانها ، وتتشعب فروع أعمالها ، وتتضاءل سلطة الفرد ، ويفنى في المجموع . واذا قل اعتماد الناس بعضهم على بعض يتكلون الى ولاتهم أمورهم ، ويطلبون اليها العناية بما ليس من واجبها معاناته ، ويطالبونها أن تتولى منهم ما يتولاه الوصي من أمر اليتامى جعلوا تحت وصايته .

كلما عوّل الناس على أنفسهم وتركوا الحكومات وشأنها اغتنوا وسعدوا ، وقد يكون غير المسلمين من سكان هذا الشرق القريب أهنأ عيشاً من الكثرة الغامرة ، ومنهم من لم يتكلوا على الدولة في كل شيء ، يرحلون ويغامرون ويفتنون وينعمون ، وشهدنا من مارسوا حرفهم من المحامين والأطباء والمهندسين مستقلين عن الحكومات ، أوفر غنى وهناء ممن تقلدوا القضاء ووسائل الصحة والعمائر ، واتكلوا على الدولة مكتفين بالرواتب المحددة . نعم كلما عظمت سلطة الدولة ينشأ في أبنائها الاتكال ويخفى الاستقلال ، وتوشك أن تظهر عليها أعراض الانحلال ، وان كثر سكانها واتسعت رقعة بلدانها .

القوة للرعية في الشعوب الانكلوسكسونية وللدولة في الشعوب اللاتينية ، وأثر التربيتين الاستقلالية والاتكالية محسوس في أرض الفريقين وفي الأقطار التي

استعمروها . قال أحد وزراء الانكليز : أنا لا أقول ان الحكومات أبداً شؤم على الشعوب بل أقول ويل لأمة تترك الخيال للحكومة تنظم لها اليوم بعد اليوم من الطفولة الى الشيخوخة حركة أفكارها وما ينهض بها الى العلاء ، وقالت احدى المجلات الانكليزية مما خصت به أرضنا من الميزات ميزة تعد في مفاخرنا ، وهي اننا ندير أمورنا بأنفسنا بدون تدخل الدولة . ومن أعظم البراهين على ما يعمل الاستقلال في الفكر والارادة ، وما ينجم عن الاتكال من الخلال وضعف ، ما حدث في تأسيس الولايات المتحدة الاميركية وكندا واوستراليا ، فان جماعات من الانكليز غضبت عليهم ديارهم لشقاوتهم فنفتهم ، أو غضبوا هم على الدولة لاضطهادهم في مذهبهم ، أو تعذر العيش عليهم في مساقط رؤوسهم فنزلوا تلك الأقطار البعيدة ، وما عتموا أن أسسوا معتمدين على انفسهم ممالك عظيمة جاءت في بعض مظاهرها أرقى من مواطنهم الأصلية .

وهذه طائفة المورمون في الولايات المتحدة ، وهي تقول بتعدد الزوجات الى ما لا حد له ، قد حاربتها حكومة تلك الديار في أول ظهورها حرب إبادة ، فجلا بقية السيوف من أبنائها الى صقع قاحل ، فما هي إلا اعوام قليلة حتى عمروه فأصبح كسائر الولايات المتحدة بمدنيته وصناعاته ورخائه ، ولو كان المورمون شعباً لاتينياً أو سامياً لانقرضوا لما لقوا من شدة ، أو لعاشوا عيش تذبذب في انتظار نجدة من دولة ، او منحة من جمعية ، او نفحة من غني جواد .

ستون الف جندي وثلاثة آلاف موظف انكليزي اخضعوا بفضل اخلاقهم لسلطان بريطانيا العظمى نحو اربعمائة مليون من الهنود يساوونهم بذكائهم ، واستولى الاسبان على الولايات اللاتينية التي صارت بعد جمهوريات اميركا الجنوبية وما عهد فيها الا الفوضى ، والسبب في ذلك اخلاق الفاتحين . وحكمت اسبانيا جزيرة كوبا ثلاثمائة سنة فما كان فيها الا الشقاء والظلم فلما آل حكمها الى الولايات المتحدة اصبحت في ثلاثين سنة من اسعد الممالك .

يطلب الشرقي كل شيء من حكومته ، ولذلك يقل ابداعه ، ولا يطرد سير

حياته ، ولا تنمو ثروته ، ولا تدوم نعمته . الشرقي عبء ثقيل على ابيه وأمه ، وعلى أخيه وأخته ، وعلى مورثه وأسرته ، وعلى من يعتقد فيهم القدرة من أهل حيه وبلده ودولته ، وعلى من يحبه ويعطف عليه ، وفيه شيء من النقص لا تجد مثله في صاحب التربية المستقلة وهذا لا ينتظر ارث ابيه ولا أمه ولا مورثه أياً كان ، ولا البائنة التي تأتيه بها زوجته ، ولا نصابها من إرث أبيها ، يجمع ثروته بكده وجده ، ولا يتوقع مجيئها عفواً صفواً .

روى اصحاب الاخبار ان احد ابناء رؤساء جمهورية الولايات المتحدة شوهد غداة انتخاب والده للرياسة مبكراً الى معمله على عادته ، فقيل له : كان عليك ان تجعل من هذا اليوم عيداً لك ، وتنقطع عن العمل ، وقد غدا أبوك رئيس الامة فقال الرئيس أبي وأنا هنا عامل اشتغل لمستقبلي .

وهذه مصر ولا نمثل بغيرها هل تم لها الاستقلال في التربية مقدمة الاستقلال السياسي ام هو الاتكال لاشيء غيره ؟ الحق ان التربية الاتكالية بادية في مصر والاستقلال الشخصي كهلال الشك لايكاد يُرى . كأن التربية اللاتينية التي لقنتها مصر لاول نهضتها قد امرضتها فلم تسلم الى اليوم من تأثيراتها على ماعولجت به من طرق حديثة في التربية . ولو كان هناك خلق استقلالي ماشهدنا القوم يتهافتون على التوظف في الحكومة هذا التهافت المبكي .

ان أمة يتهالك المتعلمون من بنيها ليجعلوا منهم آلات تتحرك بحركات غيرهم ، ويعيشون كالحلمة الطفيلية بامتصاص خزانة الدولة ، والاعمال الحرة الرابحة كثيرة أمامهم يتركونها للنازل عليهم هي امة محكوم عليها باسوإ مايحكم به على مصاب بمرض عضال ، وأي مرض افتك في النفوس من مرض الاتكال الذي يقضي على فضائل جمة في الانسان ، ومنها عزة النفس والاقدام .

يقول الدكتور حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة : أما هذا التعليم الذي يحوّل جميع شبان البلاد الى موظفين ، يعملون دائماً ساعات محددة في النهار تحت اشراف رؤسائهم ، ويتناولون أجراً محدوداً يزيد في فترات معينة

بقدر معلوم ، ويمضون حياتهم على هذا النظام الميكانيكي الذي لاأثر فيه للمجهود الشخصي ، ولا يفتح بابًا للمجازفة والمغامرة او تحمل التبعات ، فهو تعليم محدود الغرض لايفيد الا في تخريج العدد اللازم من الشبان لملء وظائف الحكومة ، ولكنه مضر من جهات اخرى لأنه يفسد الغرائز الطبيعية في جميع الشبان الذين يزيدون عن هذه الحاجة .

وأنا اعتقد ان هذا التعليم يفسد غرائز المستخدمين وغير المستخدمين من الشبان ، ويقتل فيهم روح الاستقلال ، فيصبح الاتكال فيهم طبيعة ثانية ، وقد شاهدت اذكياء أتموا دراساتهم الثانوية او العالية ورجعت عليهم بعد سنين وقد احملهم الاستخدام فصاروا الى خنوع ومسكنة ، واستولى عليهم القنوط والتشاؤم ، وامسوا لايفكرون إلا في تخطي الدرجات والحصول على العلاوات .

قال لي صديق انه كان في بعض العشايا في مقهى سان استيفانو بالاسكندرية ، فجاءه الغلام الرومي يقول له : ياسيدي الدكتور اجلس هنا فانه مكان اروح لنفسك ، وأشار الى مكان آخر لاتضربه الشمس ، فتعجب صاحبي من مناداة غلام المقهى له مناداة من يعرفه ، فسأله وهل عرفتني من قبل ؟ فقال له : وكيف لاأعرفك وانت الذي خدمت مصر بما املته عليك وطنيتك وكنت كيت وذيت . ثم اذا انا لم اعرفك فمن الواجب ان يعرفك ؟ أنا ياسيدي خريج مدرسة التجارة العليا في اثينة ، وتسألني لم امتهن هذه المهنة فأجيبك لاني اتربح منها وأنا في اول العمر اكثر مما اربح من غيرها . ولما روى له محدثي هذا وهو يعجب من حال الخادم قلت له : لاتعجب يااخي فان القوم من اقدر الامم على الكسب ولو أحرز احد مواطنيك شهادة من مدرسة التجارة العليا ماكان هدفه الا ان يتقلد وظيفة صغيرة في المدرسة التي تخرج باساتذتها ، أو ان يعين في احدى دواوين الحكومة ، أو يقنع بشيء يتقنه اكثر منه من لايحمل مثل شهادته ، أو يبقى متعطلا خاملاً حتى يهيأ له رزق هين من عمل يعتقد هو انه شريف ، وهذا هو الفرق بين تعليمنا وتعليمهم

وتربيتنا وتربيتهم ، فلاعجب والأمر على ماذكر ان يترك الواحد منكم عشرات الالوف من الدنانير لاولاده فينفقونها في اسرع ما يمكن ، ويموت الرومي موسراً وكان في بدء امره فقيراً معسراً .

كثيراً ما كنت اسأل بعض الآباء عن اولادهم وما اختاروا لهم أو ما اختاروا هم لأنفسهم من مسالك لتحصيل رزقهم ، فكان معظمهم في جانب الاتكاليين لا الاستقلاليين ، أي انهم يؤثرون الاعمال الهينة المضمونة ، ولا ترتفع بهم هممهم الى بذل النشاط اللازم أول دخولهم معترك العالم ، ولو انك قرأت باب الوفيات في صحيفة يومية مصرية تذكر اسم المتوفى كما تبلغها أسرة الفقيد مشفوعاً باسماء انسبائه واولاده ووظائفهم لخيل اليك ان كل متعلم في هذا القطر موظف ، وكل مشهور ليس في ذوي قرباه إلا خدمة حكومة غالباً ، وقد يرزق الرجل بضعة بنين فلا يكون فيهم إلا عامل في الحكومة او أخ له يستعد في المدارس ليقفز الى الدواوين . وأخذ البنات في العهد الأخير يقتدين في هذا الشأن بالبنين . ولا يسع من يشهد هذا إلا ان يأسف للذكاء يثلم حده فيما تقل فائدته ، وللمواهب تضيع على غير طائل ، في قطر حوى جميع أسباب الراحة ، ولا ينعم فيه على الاكثر إلا المستخدمون أو من خلف لهم أهلهم الأطيان والعقارات والاموال المجموعة في المصارف ، وفيه كل شروط الغنى ولا يغتني فيه إلا الغريب او من يتصل بالحكومة بسبب .

ماعهدت أمة كالأمة المصرية تنفق معظم جبايتها على ترفيه موظفيها ، وهم فائضون عن حاجتها يكفيها نصفهم لو تدبرت ، ولو لم يكن الغرام بالتوظف مما عم الطبقات المستنيرة لوجهت الدولة شعبها وجهة اخرى على حين نرى اكثر ماتنصرف اليه همة من يأتون الى الحكم تعيين اعظم عدد ممكن في الادارة من حزبهم ، تخلق لهم اعمالاً ترضيهم بها ، ولو كانوا غير صالحين للاشغال . ويختلف نواب الامة الى ابواب الوزارات يشفعون في توظيف ابناء اقاليمهم وادخال السرور على ذويهم بالعمل على ترقيتهم وترفيههم . وهل بعد هذا

برهان على انتشار الاتكال في مصر اصدق من هذا المثال ؟ ولو كان للتربية الاستقلالية السلطان الاكبر على نفوس المصريين لرأينا من تضيق بهم اسباب العيش يهاجرون الى بلد سحيق لكسب رزقهم كالشاميين والحضارمة تحلو لهم الهجرة ولو الى القطب الشمالي وخط الاستواء ·

تمركزت كل قوة في وادي النيل بالحكومة ، فربطت رعاياها برباط أضعف فيهم حرية التفكير الشخصي والعمل المستقل ، واصبح المصري على الأيام غريباً في اخلاقه ، لا يرى الشرف الا ماجاء من طريق الحكومة ، ولا يسعد في رأيه الا من أسعدته الحكومة ، وعهدنا بالمدارس المصرية تخرج الالوف من الطلاب ، وما عهدنا انه انصرف منهم الى الاعمال الحرة الا من لم تكفِ شهاداتهم للاستخدام بمرتبات مقبولة ، والباقون وهم الصفوة توصد اليهم اعمال أصيبت بالاشباع والتضخم لكثرة ماينهال عليها من الطالبين ، فكأن المدارس في القطر المصري أنشئت لتخريج مستخدمين ، والراسب في فحوصها أو من لم يتمكن من اتمام دراسته لسبب من الاسباب تسوقه الحال الى انتحال مذهب من مذاهب المعاش ، يعمل فيه متكارهاً ويكون وسطاً او دون الوسط ، ولو نزع القائمون بالامر في مصر ايديهم من معاونة رعاياهم في كل شيء وتركوا الوطني والغريب يتنافسان برأسيهما في ميدان الأعمال ، لشهدت الدخيل يلقي بالأصيل جانباً فيتجلى للبصير آنئذ الفرق محسوساً بين تربية وتربية ·

وليس بعجيب بعد هذا ان يصبح معظم ماتم من المشاريع الجيدة في مصر من صنع الحكومة قام بايدي رجالها ، وكلف اضعاف مايساوى لانه عمل حكومي · ولو قدر ان تخلت حكومة مصر عن معاونة بعض الشركات الوطنية ، لأصابها فتور في حركتها ، ذلك لان السكان ماتعادوا ان يمشوا بدون دليل ، ولا غنية لهم عمن يهيمن عليهم من قريب او من بعيد ·

وأصدق شاهد على هذا ان تخلي للحكومة الجمعيتان اللتان قامتا احسن قيام بانشاء الجامعة القديمة وتأسيس مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية وأثبتتا عجزهما واتكالهما

بعد ان أثبت المؤسسون الأول كفاءة عظيمة وفرح كل عاقل باستقلالهم المحمود.

وما أصدق ماقاله الاستاذ احمد فتحي زغلول باشا في مقدمة كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين: «ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا، وخصب أرضنا، وترويج تجارتنا، وتحسين صناعتنا، هي التي نطلب منها ان تربي الأبناء، وتطعم الفقراء وترزق العجزة، وتنفي اسباب البطالة وتحفظ الاخلاق، وتلم شعث العائلات، وتجمع اشتات القلوب، هي التي نطالبها بتعويض مانقص من ارادتنا، وتقويم مااعوج من سيرنا وسيرتنا، ورد هجمات المزاحمين عنا، والسهر على مصالح كل واحد منا، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باهمالنا، رميناها بسوء الادارة واتهمناها بحب الأثرة، والقينا عليها تبعة خمولنا كلها.

«لاريب اننا بهذا الزعم قد ضللنا السبيل، فانما الحكومة وازع لايكلف الا مااقتضته طبيعته، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام، وحفظ الامن وإقامة العدل وتسهيل سبل الزراعة ومعاهدة بعضهم بعضاً على مايضمن حرية التجارة، ويشجع أهل الصناعات والحرف، كما تقتضيه المصالح المشتركة، وعلى قدر ماتسمح به الممكنات، وبالجملة فالحكومة وازع عام لاواجب عليه الا الأمر العام، مما يدخل تحته جميع الناس، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه، وعلى الامة بعد ذلك ان تستفيد من هذا النظام، وتنتهز فرصة الامن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعتها وتجارتها، وفي نشر المعارف واحياء العلوم، وفي اداء الواجب والمحافظة على الحقوق.»

وبعد فقد نزع داء التوظف من كيان المصري صفات صالحة كان يشارك بها أرقى الأمم في حضارتها لو قيض له من يعالجه، وما دام أصحاب الخدمة هنا من اكثر عمال الامم رزقاً ورفاهية وأقلهم تعباً وتبعة، فالمتعلمون من اذكياء المصريين لن يكون لهم مأرب في غير الاستخدام، ولو في نطاق ضيق لايعود عليهم بكبير فائدة. ذكر الاستاذ محمد علي علوبه باشا في

كتابه مبادىء في السياسة المصرية انه اذا بحثت أمر كل وزارة ومصلحة هنالك لأول نظرة ماعليه الادارة من كثرة الموظفين كثرة هائلة حتى أنك لتجد بعضهم يعترف إليك اعترافاً صريحاً بأن كثرة هؤلاء الموظفين عديمة الجدوى ، وأنها في أحايين كثيرة تعرقل العمل عرقلة مزرية ، ولطالما لوحظ من بعض الموظفين انهم لا يأتون الا عملاً تافهاً ، ويقتلون اوقات عملهم في قراءة الصحف وفي الحديث مع زملائهم او مع زائريهم مع استمرار الشكوى من عدم ترقيتهم او رفع علاواتهم . وبعد ان وصف المؤلف ذلك الجيش العاطل من الفراشين والسعاة والجنود على أبواب الدواوين وأقلامها وفي طرقاتها ومنافذها ممن لا عمل لهم الا تقديم القهوة والمرطبات وحمل بعض الأوراق من حجرة الى اخرى قال : : ولقد عمت الفوضى وساد التواكل والتكاسل من هذا النظام الذي يجب ان يزول اذ هو أثر من آثار الماضي يجب ان نتحرز من مساوئه ، ولا يمكن ان نصف مصر في وقتنا الحاضر إلا بانها بلد الموظفين وملجأ التوظف اه .

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

حياته وفلسفته

١ — تمهيد

كان من أثر اتصال العرب بالفرس والروم في العصر العباسي الأول أن انتشرت في الدولة الاسلامية ثقافات مختلفة لأمم مختلفة . وكان هناك كتاب وشعراء وفلاسفة وعلماء يدعون الى هذه الثقافات ويحببونها الى الناس . وكان هناك ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، حتى اضطر الخلفاء العباسيون الى التدخل في المسائل الدينية ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على المجوس والدهرية . وعمل المتكلمون ، وعلى رأسهم المعتزلة ، على نشر الدعوة الدينية ، والذب عن حياض الاسلام ، عن طريق العقل ، فاستعانوا بالمنطق اليوناني وصاغوا مسائلهم في قوالبه ، وعرفوا طرق الجدل والمناظرة ، ووضعوا لها قوانين وقواعد تقيدوا بها . ولقد بلغ من قوة العلماء في ذلك العصر أن أنفذ واصل بن عطاء اصحابه الى الآفاق ، وبث دعوته في البلاد ، فأجابهم الى ذلك خلق كثير . وكانت مدينة البصرة عاصمة هذه الحركة الفكرية العظيمة ، يجتمع فيها واصل بن عطاء بعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل ، فينازعون الثنوية والدهرية في أمور التوحيد ، ويناظرون المجبرة في الجبر والاختيار ، والثواب والعقاب ، ويردون على المشبهة في صفات الله والتجسيم . وشجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة الفكرية للرد على الملحدين فاختار المهدي رجلاً وكل اليه أمرهم سماه صاحب الزنادقة ، وأنفذ الهادي وصية أبيه المهدي فاشتد في طلبهم والتنكيل بهم ، وسلك هارون الرشيد سبيل من قبله من الخلفاء في تعقبهم ، وأمر المأمون بقتل من حمل اليه من زنادقة البصرة .

٢ — نشأة أبي الهذيل : مولده ونسبه وحياته

ففي هذا العصر المفعم بالحياة المدنية والفكرية نشأ أبو الهذيل العلاف وهو أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي . ولد سنة خمس وثلاثين ومائة في مدينة البصرة في خلافة السفاح . كان مولى لعبد القيس . ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين . ثم أخذ العلم عن عثمان الطويل وطبقته . وعثمان الطويل أخذه عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد . وقيل ان ابا الهذيل تزوج اخت عمرو بن عبيد . فدفعت اليه قمطرين من الكتب ، فأخذ عنها كثيراً من كلامه حتى بلغ فيه غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد . ويظهر أن نبوغ ابي الهذيل ، لا يرجع الى ما قبسه من هذه الكتب ، ولا الى ما أخذه عن أستاذه عثمان الطويل فحسب ، بل يعود الى استعداده الفطري وذكائه الحاد . فقد اتفقت الروايات على ان نبوغه كان مبكراً ، وانه كان له أقل من خمس عشرة سنة أول ما تكلم قال ابو الهذيل :

« كنت أختلف الى عثمان الطويل ، صاحب واصل بن عطاء ، فبلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقد قطع عامة المتكلمين فيها ، فقلت لعمي ، يا عم ، امض بي الى هذا اليهودي أكلمه ، فقال لي : يا بني ، هذا الرجل قد غلب جماعة متكلمي أهل البصرة ، فمن أخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه ؟ فقلت له : لا بد من أن تمضي بي اليه . وما عليك مني غلبني أو غلبته ، فأخذ بيدي ، ودخلنا على اليهودي فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه على نبوة موسى ، ثم يجحدهم نبوة نبينا . فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى الى ان نتفق على غيره فنقر به . قال فدخلت عليه ، فقلت له : أسألك او تسألني ، فقال لي يا بني ، أوما ترى ما أفعله بمشايخك ؟ فقلت له دع عنك هذا واختر ، اما أن تسألني ، أو اسألك . قال بل أسألك . خبرني . أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته ، وثبت دليله . تقر بهذا أو تجحده فتخالف صاحبك . فقلت له : ان الذي سألتني عنه من أمر موسى هو عندي على أمرين . أحدهما اني أقر بنبوة موسى الذى

أخبر بصحة نبوة نبينا ، وامر باتباعه ، وبشر به وبنبوته . فان كنت عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته . وان كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد (ﷺ) ولم يأمر باتباعه ولا بشر به ، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته ، بل هو عندي شيطان يخرق . فتحير لما ورد عليه ما قلته له . وقال لي : فما تقول في التوراة ، قلت امر التوراة أيضاً على وجهين ، ان كانت التوراة التي أنزلت على موسى النبي الذي أقر بنبوة نبي محمد فهي التوراة الحق ، وان كانت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق ، وانا غير مصدق بها . فقال لي احتاج الى ان اقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت انه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه ، فسارني فقال امك كذا وكذا ، وام من علمك . لا يكنى . وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فأقبلت على من كان بالمجلس فقلت اعزكم الله . اليس قد وقفتم على مسألته اياي وعلى جوابي قالوا لي نعم . فقلت أليس عليه واجب ان يرد علي جوابي . فقالوا نعم . قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني . وانما قدر ان اثب به فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه . وقد عرفتكم شأنه بعد انقطاعه . فأخذته الأيدي بالنعال . فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه »[1] .

لم تنقض حياة ابي الهذيل كلها في البصرة ، بل رحل منها الى مكة وبغداد وسر من رأى . فقد جاء في أحد كتب ابي الهذيل ، انه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل ابي قبيس . وذكر الخطيب البغدادي ، ان أبا الهذيل قدم بغداد سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على المائة . وذكر المسعودي ان ابا الهذيل اتصل هناك بالمأمون . وكان المأمون في اول امره ، لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ،

---

(١) الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد او مدينة السلام . المجلد الثالث ص ٣٦٦ - ٣٧٠ راجع ايضاً . امالي السيد المرتضى : ص - ١٢٦ . نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، مصر . المطبعة الجمالية سنة ١٩١١ ص - ٢٧٢ - ٢٧٩ . عيون التواريخ . لمحمد بن شاكر الكتبي . الجزء السادس ، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧ ص ١٢٠ .

يستعمل النظر في احكام النجوم وقضائها ، وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان . فلما كان من الفضل بن السهل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم المأمون العراق انصرف عن ذلك كله ، واظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيراً من الجدليين والمناظرين كأبي الهذيل والنظام . والزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء . وكان يشاركهم في مناظراتهم ، ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . ويروى ان المأمون قال لحاجبه يوماً : من في الباب من اصحاب الكلام . فخرج وعاد اليه فقال بالباب ابو الهذيل العلاف وهو معتزلي ، وعبد الله بن إباض الخارجي . وهشام بن الكلبي الرافضي ، فقال المأمون : ما بقي من اعلام جهنم احد الا وقد حضر .

واتصل ابو الهذيل في بغداد بيحيى بن خالد البرمكي وسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة . فكان سهل بن هارون يظهر له الصداقة ويكن له العداوة . فقد استشفع ابو الهذيل به مرة على رجل في حاجة له فكتب سهل الى الرجل :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلاف ما ابدي
فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
والن له كنفاً ليحسن ظنه من غير منفعة ولا رفد
حتى اذا طالت شقاوة جده ورجا الغنى فأجبه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

واتصل ابو الهذيل في بغداد ايضاً بالحسن بن سهل وناظر بحضرته اصحاب النجوم ، دخل يوماً على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع الحسن بن سهل مجلسه ، فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ، لنوفيه بمعرفته حقه . قال رجل من أهل النجوم ، قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام . قال الأحكام . قال ذلك عمل باطل . أفنسأله قال : سل . فأخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه . وقال آكل هذه التفاحة أم لا . قال تأكلها . فوضعها ابو الهذيل . وقال : لست آكلها . قال فتعيدها الى يدك ، وأعيد النظر . فوضعها وأخذ غيرها

فقال له الحسن : لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تأكلها ، فآكلها خلافاً عليه فيقول : قد اصبت في المسألة الأولى ·

ثم ان ابا الهذيل انتقل من بغداد الى سر من رأى ونزل في غرفة ببسيطة الى ان يطلب داراً تصلح له : قال سليمان الرقي فمررت به فقلت له يا أبا الهذيل اتنزل في هذا المنزل فأنشدني :

يقولون زين المرء يامي رحله   الا ان زين الرحل يامي راكبه

وفي سر من رأى مات ابو الهذيل · واختلفوا في تاريخ موته · فزعم الخطيب البغدادي وابو المحاسن انه مات سنة ست وعشرين ومائتين في أواخر أيام المعتصم · قال المسعودي مات ابو الهذيل سنة سبع وعشرين ومائتين · وقال صاحب كتاب المصابيح لما مات ابو الهذيل بسر من رأى جلس الواثق في مجلس التعزية · وهذا يدل انه مات في ايام الواثق · وقال آخرون انه ادرك خلافة المتوكل. ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين · ونحن نميل الى ترجيح هذا القول الأخير استناداً الى سائر اخباره ·

هذه لمحة قصيرة من حياة ابي الهذيل العلاف جمعتها مما تبعثر من اخباره في كتب التراجم والتاريخ والفلسفة · وفي كتب الأدب اخبار كثيرة عن ابي الهذيل تصور لنا اخلاقه خير تصوير وتبين لنا منزلته احسن تبيين ·

٣ — أخلاق أبي الهذيل

لم تكن اخلاق ابي الهذيل مما يورث الحمد والثناء دائماً · فقد قال الجاحظ ان ابا الهذيل كان ابخل الناس · مثال ذلك انه اهدى الى مويس دجاجة ، وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه ، اظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها · فقال وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة · قال كانت عجباً من العجب ، فيقول وتدري ما جنسها ، وتدري ما سنها · فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والسن · وتدري بأي شيء كنا نسمنها ، فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن ولا يعرفه

ابو الهذيل . فان ذكروا دجاجة قال : اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة .
وان ذكروا بطة او جزوراً او بقرة . قال فأين كانت هذه الجزور في الجزر ،
من تلك الدجاجة في الدجاج . وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في
البقر والبط وبطون السمك والدجاج . وان ذكروا ميلاد شيء او قدوم انسان ،
قال ذلك بعد ان اهديتها لك بسنة . وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك
الدجاجة الا يوم . فكانت مثلاً في كل شيء ، وتاريخاً في كل شيء [1] .

ولعل البخل هو الصفة الجامعة لسائر صفات ابي الهذيل القبيحة ، لأن حرصه الشديد قد صيره عند بعضهم كذاباً . ولا بد للبخيل من ان ينافق ويصانع في التكسب والانتفاع وان يدعي ما ليس فيه . قال الجاحظ :

« قال ابو الهذيل لمحمد بن الجهم وانا عنده يا اباجعفر : اني رجل مخرق الكف لا اليق درهماً . ويدي هذه صناع في الكسب ، ولكنها في الانفاق خرقاء . كم من مائة الف درهم قسمتها على الاخوان في مجلس ، وابو عثمان يعلم ذلك . أسألك بالله يا ابا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال يا ابا الهذيل ما نشك فيما تقول . قال فلم يرض ان حضرت حتى استشهدني . ولم يرض باستشهادي حتى استحلفني [2] » .

ولم يكن بخله الشديد الاصفة متممة لطمعه ، وحبه للظهور ، واهتمامه برأي الناس فيه . حتى قال بشر بن المعتمر : « لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من ان يعلم ، وهو عند الناس لا يعلم : ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية ، احب اليه من ان يكون من العلية ، وهو عند الناس من السفلة . ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر ، احب اليه من ان يكون نبيل المخبر ، سخيف المنظر . وهو بالنفاق اشد عجباً منه بالاخلاص . ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع » [3] .

ويظهر ان الجاحظ كان شديداً على ابي الهذيل . فهو الذي وصفه بالبخل الشديد ،

(١) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٦٣ — ٦٤ (٢) الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ص — ٦٤ .
(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزء ٢١ ص ١٠٤ في الهامش .

وقال عنه مع ذلك انه كان اسلم الناس صدراً ، واوسعهم خلقاً واسهلهم سهولة . ولعل هذه الصفات كانت تشفع لأبي الهذيل في شيء من بخله . فقد رأيناه يصف الدجاجة التي اهداها الى مويس ويضحك الناس من كلامه ولا يعرف ابو الهذيل معنى ضحكهم وسخريتهم لسلامة صدره وسهولة اخلاقه . وقد رأيناه ينزل بسر من رأى في غرفة حقيرة ويتعجب اصحابه من ذلك فيقول لهم ان ظواهر المرء لا تدل على قيمته الحقيقية .

ولعل ميله الى الشهرة وطموحه واهتمامه برأي الناس فيه هو الذي دفعه الى مناظرة اليهودي في البصرة وهو لا يزال في الخامسة عشرة من سنه . وحب الظهور اذا اجتمع مع البخل في رجل واحد ، قد يدفعه في بعض الأوقات الى التظاهر بالتقشف والكرم في دائرة ضيقة . وقد يكون التظاهر بالكرم واسطة من وسائط الاصلاح والاقتصاد ، او وسيلة من وسائل دوام النعمة والثروة . حتى لقد ذكر صاحب المنية والأمل ان ابا الهذيل كان يأخذ من السلطان ستين الف درهم في السنة ويفرقها في بعض الأحيان على اصحابه .

ويبدو لنا من قراءة اخبار ابي الهذيل ان شخصيته كانت عجيبة ، لا بل متناقضة ، فقد كان بخيلاً ، سليم الصدر ، سهل الأخلاق ، محباً للظهور ، متقشفاً ، متظاهراً بالكرم ، موضعاً للاعجاب والسخرية معاً .

٤ — كتب أبي الهذيل

وليست هذه الصفات بقادحة في علم ابي الهذيل وقيمته الفكرية والفلسفية ، فقد كان شيخ المتكلمين في زمانه . ولم يتفق لأحد من شيوخ المعتزلة ما اتفق له من قوة الحجة ، ولطيف الكلام ، وقطع المخالفين له في المناظرة . فقد الف ستين كتاباً في الرد على المخالفين في رقيق الكلام وجليله . ولم يبق من هذه الكتب بين أيدينا الا مخطوط واحد محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٣٨ عنوانه هذه مناظرة ابي الهذيل لمجنون الدير . ومجنون الدير هذا هو شخصية وهمية تصورها ابو الهذيل للبحث في إمامة علي . أما اشهر كتبه الأخرى فهي :

١ — كتاب متشابه القرآن ذكره ابن النديم في الفهرس

٢ — كتاب ميلاس ، وكان ميلاس هذا رجلاً مجوسياً أسلم على يد ابي الهذيل . وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابي الهذيل وجماعة من الثنوية فقطعهم ابو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك .

٣ — كتاب القوالب في الرد على الدهرية

٤ — كتاب الرد على النظام

٥ — كتاب الحجج

٦ — كتاب الاعراض والانسان والجزء الذي لا يتجزأ .

وغير هذه الكتب كثير لم يبق الآن منها شيء . ولولا ما حفظ من فلسفة ابي الهذيل في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، والمواقف للايجي ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ، والانتصار للخياط لكنا اليوم لا نعرف شيئاً عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

٥ — ميزة أبي الهذيل

لم تنتصر حياة هذا الفيلسوف الفكرية على علم الكلام والجدل ، بل اشتملت ايضاً على علوم اخرى كعلم الحديث ، وعلم الأدب . فقد روى الحديث عن سليمان ابن مريم وروى عنه محمد الكاتب وابو يعقوب الشحام وابو العيناء وغيرهم . وانتقده أهل الحديث لخبث قوله وكذبه ومفارقته اجماع المسلمين . حتى قال الامام ابن قتيبة ان أبا الهذيل كان كذاباً أفاكاً . وشارك ابو الهذيل أيضاً في الأدب فحفظ كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم . قال ابو حيان في المقابسات :

دخل ابو الهذيل مرة على الواثق . فقال له الواثق لمن تعرف هذا الشعر :

سباك من هاشم سبيل ليس الى وصله سبيل
للحسن في وجهه هلال لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها لنور بدر الدجى مقيل
فان يقف فالعيون نصب وان تولى فهن حول

فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين . هذا الرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضول . ومن كلمة يقول فيها :

أفضـله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولاهم بالتقـدم

وقال النظام : ما أشفقت على ابي الهذيل قط في استشهاد شعر الا يوم قال له الملقب ببرغوث اسألك عن مسألة فرفع ابو الهذيل نفسه عن مكانته فقال برغوث :

وما بقيـا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

ولم اعرف في نقيضه بيتاً يتمثل به . فبرز ابو الهذيل وقال لا بل كما قال الشاعر :

وارفع نفسي عن نجيلة انني اذل بها عند الكلام وتشرف

وكان القوم يجلونه ويعظمونه لسعة علمه وكثرة حفظه وسرعة خاطره . قال ثمامة وصفت ابا الهذيل للمأمون فلما دخل عليه جعل المأمون يقول لي يا ابا معن وابو الهذيل يقول لي يا ثمامة . فكدت اتقد غيظاً . فلما احتفل المجلس استشهد ابو الهذيل في عرض كلامه بسبع مائة بيت فقلت له ان شئت فكني ، وان شئت فسمني . وذكر ابن النديم في ترجمة ثمامة بن اشرس انه بلغ المأمون ان ثمامة لا يقوم لطاهر بن الحسين ويقوم لأبي الهذيل ويأخذ ركابه حتى ينزل فسأله عن ذلك فقال ابو الهذيل أستاذي منذ ثلاثين سنة .

وفي وفيات الأعيان كلام لأبي الهذيل في العشق يدل على فصاحته وبلاغته . قال اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان ابو الهذيل في جملتهم فقال : « أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الأفئدة ، مرتعه في الأجسام ، ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الثكل ، غير انه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل » .

ومعرفة ابي الهذيل بجيد الكلام ، جملت المبرد يقول فيه : ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ ، ولئن كان الجاحظ أقدر على فنون الكتابة من ابي الهذيل لقد كان ابو الهذيل أحسن مناظرة منه . وقال الخياط في كتاب الانتصار ، كان ابو الهذيل نسيج وحده ، وواحد دهره ، في البيان ، ومعرفة جيد الكلام . وجميع المتكلمين الذين عاصروا ابا الهذيل كانوا يقرون له بالتقدم عليهم ، في حسن الجدل وقوة الحجة ، حتى لقد قال ابن النديم كان ابو الهذيل شيخ البصريين ومن اكبر علمائهم ، وقال ابن خلكان كان ابو الهذيل حسن الجدال ، قوي الحجة ، كثير الاستعمال للأدلة والالزامات . وذكروا ان النظام كان قد نظر في شيء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة ، كان يرى انه قد اورد من لطيف الكلام ، ما لم يسبق عله الى ابي الهذيل العلاف ، قال فناظرت ابا الهذيل في ذلك ، فخيل لي انه لم يكن متشاغلاً قط إلا به ، لتصرفه فيه ، وحذقه في المناظرة فيه . وكثيراً ما كان ابو الهذيل يناظر النظام ويقطعه ، ناظر النظامُ ابا الهذيل مرة في الجزء الذي لا يتجزأ فألزمه ابو الهذيل مسألة الذرة والنعل ، وهو أول من استنبطه فتحير النظام في ذلك فلما جنّ الليلُ نظر اليه ابو الهذيل ، واذا النظام قائم ، ورجله في الماء يتفكر ، فقال يا ابراهيم هذا حال من يناطح الكباش .

وكان ابو الهذيل يقطع خصمه بأقل كلام ، حكي انه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه . فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الانسان عندك كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له وما هذا الكتاب يا صالح ، قال هو كتاب ، قد وضعته ، من قرأه ، يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن ، حتى يتوهم أنه قد كان . فقال له ابو الهذيل فشك أنت ، في موت ابنك ، واعمل على انه لم يمت ، وان كان قد مات ، وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك ، وان كان لم يقرأه .

وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله ، قلت فالبقر

قال ملائكة الله ، قص اجنحتها وحطها الى الارض ، يحرث عليها ، فقلت فالماء قال نور الله ، قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته ، قلت من يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من المجوس اخذوا ملائكة الله ، فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شووها بينت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان ، وفاقته ثم سلخوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله ، فانقطع المجوسي وخجل .

وكان أقدر على اقناع العلماء منه على اقناع العامة - قيل له مرة إنك لتناظر النظام وتدور بينكما نوبات . واحسن احوالنا اذا حضرنا ان ننصرف شاكين في القاطع منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظرك زنجويه الحمالُ فيقطعك في ساعة ، فقال يا قوم ان النظام معي على جادة واحدة ، لا ينحرف أحدنا عنها الا بقدر ما يراه صاحبه ، فيذكره انحرافه ، ويحمله على سننه ، فأمرنا قريب ، وليس هكذا زنجويه الحمال ، فانه يبتدي معي بشيء ثم يطفر الى شيء آخر بلا واصلة ولا فاصلة ، وابقى ، فيحكم علي بالانقطاع ، وذاك لعجزي عن رده الى سنن الطريق الذي فارقني فيه آنفاً .

وفي هذا القول اشارة الى شروط الجدل ، وضرورة التقيد بموضوع البحث ، وتحديد المعاني في السؤال والجواب ، والاقناع والبرهان . والجدل هو الطريقة التي سلكها ابو الهذيل ، واصحابه من المعتزلة في عرض فلسفتهم ، والدفاع عن آرائهم ، فتولد من هذه المناظرات فلسفة عامة مشتملة على نظريات مختلفة ؛ في حقيقة الاله والكون والانسان .

(يتبع) جميل صليبا

أقرب الموارد

اطلعت بنظرة مجملة على كتاب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لمّا رأيته أكثر الكتب اللغوية الحديثة تداولاً بين الأيدي لسهولة مأخذه وحسن ترتيبه .

نظرت اليه هذه النظرة في بابي الهمزة والباء منه فرأيت فيه بعض مخالفات لما عرفته من كتب الأئمة السالفين الأثبات فأحببت عرضها على التحارير ليمحصوها فاذا صحّ نظري فيها تجنّبها الآخذون عنه .

١ — في مادة (اب ب) الأبُّ الكلأُ الذي تعتلفه الماشية ج الأُوُبُّ

هذا جمع غريب ولعله جمعه على أفعُل ثم اعلّ وابدل ولكنه لم ينص عليه صاحب التاج ولا صاحب اللسان مع جمعها لكل شاردة ولا ذكره صاحب المختار ولا الأساس .

٢ — في (اب و) ابا ... أَبَاوَة

هكذا أوردها بالفتح ونص القاموس إباوةً بالكسر .

٣ — في (اذن) المؤذِنة ... طائر في القاموس بفتح الذال .

٤ — في (ارق) أَرِق ... ذهب نومه بالليل فهو أَرِق وأَرْق وأَرُق الأخير لمن عادته الأَرَق .

وفي اللسان فهو ارِق وآرِق وأَرُق وأُرُق ، وضع أرُق موضع أَرْق كندُس كما وزنها في مستدرك التاج وأما ارْق بالتسكين فلم أرها في مالدي من كتب الأثبات

٥ — في (از ي) أَزِيَ ل يأزَى أَزْياً أتاه من وجهه ليختله .

في اللسان أَزَيت لفلان آزِي أَزْياً اذا اتيته من وجه مأمنه لتختله وهذه عبارة الليث فهي إذاً من باب رمى ثم لِمَ حذف مأمنه والمراد لا يتم الا بها .

٦ — في (ا ش ر) أشر الخشبة بالمنشار . ض . أشراً : نشرها اي من باب ضرب

عبارة القاموس اشر الخشبَ بالمنشار : شقه واذا أطلق صاحب القاموس الفعل الثلاثي كان من باب نصر ونص المصباح على انه من باب نصر وكذلك المختار ولم يقل احد فيما أعلم انه من باب ضرب ٠

٧ — (ا ش ف) الأُشَفُ : صمغ نبات

صوابه الأُشَّق بالقاف قال في التاج وهو المعروف في مصر بقناوشق ٠

٨ — (ا م ر) ٠٠ وآمر آخر أيام العجوز

آمر هو السادس منها ٠ وآخرها مؤتمر قال في اللسان وكأن الأول منهما يأمر الناس بالحذر والآخر يشاورهم في الظعن ٠ اهـ ٠

واذا احرزنا الترتيب من شعر ابي شبل الاعرابي كان آمرٌ رابعاً فليتأمل ولو قال صاحب اقرب الموارد كما قال صاحب القاموس وآمر ومؤتمر آخر أيام العجوز كان أسلم

٩ — (ا ن ح) الأَنِحُ ٠٠٠ المتنحنح بخلاً اذا سئل

هكذ ذكرها على وزن فرح وصوابه آنِح على وزن راكع كما وزنه صاحب القاموس

١٠ — (ا ن ف) انفه ٠ ض ٠ ل ٠ أنفاً ضرب انفه اي من باب ضرب وعلم صريح القاموس وشرحه انه من حد ضرب ونصر ٠

١١ — (ا ن ن) أنّ المريض ٠٠٠ وأنانا

هكذاوالصواب أُنانا بالضم كما هومنصوص عليه وهومن الاصوات كالصراخ والجؤار والنعاق

١٢ — البانورنج [كسر النون] والصواب فتحها

١٣ — (ب ب ر) البَبُرُ وزان قلب وكبد الأسد المندي دخيل

صوابه الببر بياءين ٠ وهذا غلط مطبعي اما انه بوزان كبد فلم أره لغيره وقد جاءت فيه لغة ثانية بكسر فسكون كما في الألفاظ الفارسية المعرّبة ٠

١٤ (ب ت ر) ٠٠٠ والبَتار ٠٠٠ السيف القاطع

هكذا يوزن سحاب وانما هو البُتار بضم ففتح فان فتحت الباء شددت التاء فقلت البَتّار ككتّان ٠

١٥ — (ب ح ث) انبحث لعب بالبُحاثة أي التراب

تبع في هذا صاحب القاموس وصوّبه صاحب التاج بالبحث .

١٦ — [ب ذ ء] . بذأت الرجل بَذءًا رأيت منه حالاً كرهتها (ض)

جعلها من باب ضرب ونص التاج والقاموس أنه من باب منع والقاعدة فيما كان عينه أو لامه حرف حلق ان يكون منه عند عدم النص على خلافه ولا أظن ان هناك نصاً والا لذكره صاحب التاج

١٧ — [ب ذ ق] البأذق بفتح الذال

الصواب ترك الهمز والذال تفتح وتكسر كما في القاموس

١٨ — [ب ذ م] فلان ذو بَذْم أي له رأي وحزم قال :

[كريم عروق النبعتين مظفر ويغضب مما منه ذو البَذم يغضب]

الصواب في معنى الرأي والحزم البُذم بالضم قال في اللسان قال الأصمعي اذا لم يكن للرجل رأي قيل ما له بُذْم . واما البَذْم فهو مصدر البذيم وهو العاقل النَضِب من الرجال اي انه يعلم ما يأتيه عند الغضب كذا حكاه أهل اللغة وقيل يعلم ما يُغضَب له قال الشاعر :

كريم عروق النبعتين مطهَّرٌ ويغضب مما منه ذو البَذم يغضب ا ه

وجاء في الشاهد مظفر مكان مطهّر . وأنشد صاحب اللسان للمرّار :

قد طال ما عشت بغير بُذْم

وفسره صاحب التاج بغير مروءة وقد بَذُم بذامة . ا ه .

١٩ — [ب ر د] . برد الجراد والجندب جناحاه كقوله :

اذا تجاوب من بَرْديه ترنيم

هكذا ضبط بالشكل بَرْديه بفتح الباء والصواب ضمها والبيت لذي الرمة .

٢٠ — [ب ر ص] برص سامّ ابرص ج سوامّ ابرص وان شئت قلت بِرْصة

هكذا أورد برْصة باسكان الراء والصواب بِرَصة كعنبة وأورد سوامّ ابرص بفتح الميم المشددة على نحو فتحها في المفرد وقد اوردها صاحب اللسان بضمها أكثر من مرة .

٢١ — [ب ز ل] امرأة بَزْلاَء الرأي : جيدته

صحة العبارة ان يقول امرأة ذات بَزْلاء اي جيدة الرأي لأن بَزْلاء هنا اسم لا صفة وفي اللسان البزْلاء الرأى الجيد وانه لذو بَزْلاَء اي رأي جيد وعقل وأنشد للراعي :

من أمر ذي بَدَوات لا تزال له بَزْلاء يعيا بها الجثّامة اللُبَدُ

٢٢ — [ب ش ك] ابتشك سلاه : انقطع

وفي القاموس انبشك سلكه : انقطع والأمر في ذلك سهل

٢٣ — بَطَل في حديثه بطالة

جعله من باب نصر كما هو سياق صاحب القاموس ولكن صاحب التاج قال والصواب انه من حدّ علم كما في الجمهرة .

٢٤ — [ب ع د] البَعِد : البعيد الهالك يستوي فيه الواحد والجمع يقال ما أنت منا بِبَعِد وما أنتم منا بِبَعِد .

هكذا جاء يعبد على وزان حَذِر والصواب بِبعَد بفتح العين وهو الذي يستوي الواحد والجمع لانه جاء على صيغة المصدر وفي اللسان وغيره ما أنت منا بِبعَدٍ وما أنتم منا بِبعَدٍ أي بعيد .

٢٥ — [ب ع ر] بعِر الجمل بَعَراً التي بعره

صريح المختار والقاموس انه كنَع وهو ظاهر اللسان ولم أجد من نص على انه من باب فرح . وإنما بَعِر الجمل بعَراً اذا صار بعيراً .

٢٦ — [ب ع ر] البَعْرُ والبَعَرُ : رجيع ذوات الخف والظلف

كان عليه ان يقول الا البقر لأن رجيعه ليس ببعر وقد استثناه الأئمة .

٢٧ — [ب ع ص] البَعْصوص والبَعصوص

هكذا جاء به مفتوح الباء وصوابه ضمها اذا اسكنت العين .

٢٨ — [ب ق ع] الأبقع الغراب ج بِقعان

هكذا جاء بها بكسر الباء والصواب ضمها كما نصوا عليه وفُعلان يكاد يطرد فيما كان منه وصفاً كأحمر وحُمران واسود وسودان .

٢٩ [ب ق ل] ارض بقّالة : كثيرة البقل
تبع صاحب القاموس بالتشديد وصوّب صاحب التاج انه كسَحابة
٣٠ — ب ق ى . . وبقى ض بقيًا : دام وثبت
أي انه كضرب [لغة فيه] وليس كذلك وانما اللغة الثانية بَقى يَبقى وهي لغة طيّئ وقد وقع بهذا الوهم الشيخ أبو عبد الله الفاسي المتوفى سنة ١١١٠ هـ وردّه صاحب التاج بأنه لا قائل به .
٣١ — [ب ك ء] در عينيَ قل دمعها فهي بكيّ وبكيئة بالهمز والتشديد
التشديد لا يكون مع الهمز وانما يكون بدونه ففي عبارته تسامح .
٣٢ — [ب ل ت] البَليت : الفصيح
هكذ وزان فصيح والمعروف عند النحارير البِلّيت كسِكّيت .
٣٣ — [ب ل ل] بَلال من اعلامهم .
هكذا ضبطه بالفتح والصواب بالكسر ككتاب كما هو صريح القاموس
٣٤ — [ب هـ ر] بُهرًا له أي تعسًا
هكذا ضبطه بالضم والصواب الفتح كما في لسان العرب ونصه «وبَهرًا له أي تعسًا وغلبه» قال ابن ميّادة :

تفاقد قومي إذ يبيعون مهجتي بجاربة بَهراً لهم بَعدَها بَهرا

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بَهراً عدد الرمل والحصى والتراب

هكذا كلها جاءت بالفتح .
٣٥ — [ب هـ ز] هم أبناء بَهْزَة أيْ أولاد عَلّة
صوابه أبناء عَلّة يقول الزمخشري وهم ابناء بَهزَة أي اولاد عَلّة الواحد ابن بَهزَة اهـ . وهم الأخوة لأمهات شتى من أب واحد .
٣٦ — [ب هـ ز] تبهزت أشياء : عملتها

صوابه علمتها من العلم لا من العمل ونقل الصاغاني «ولو علمت ان الظلم يسمى لتهيّزت اشياء كثيرة» اي علمتها ٠

٣٧ — [ب و ق] البوْقة بالفتح دفعة من المطر شديدة أو منكرة يقال أصابتنا بَوقة ج بُوَق

هكذا ضبط البَوقة بالفتح وصوابه البُوقة بالضم وهي الدُفعة من المطر كما في الصحاح زاد غيره شديدة او منكرة ج بُوَق كصُرَد كذا جاء في التاج وعبارة صاحب اقرب الموارد هي بعينها هذه العبارة فلماذا نص عليها بالفتح والمنصوص عليها هنا الضم وفي اللسان والبَوْق والبُوق والبُوقة الدُفعة المنكرة من المطر وقد انباقت ٠

٣٨ — [ب ي ض] بياض الأظافر : أصولها

في مستدرك التاج وبياض الكبد والقلب والظفر ما احاط بها وقد فسرها بأصولها فحرّفها أو انه اراد ان يقول ماحولها فحرفها الناسخ ٠

تعقيب

أنا معجب بجهد المؤلف وسهره لتجويد تأليفه ولا أواخذه بما رأيته من أغلاط لأنه لا يسلم من أمثالها كثير من النحارير والعصمة لله تعالى ٠

وإنما الذي أؤاخذه عليه انه لا يراعي الحرمة في سرده الشاهد من القرآن والحديث وربما غير لفظ الحديث الذي يستشهد به ٠ مثال ذلك يقول في مادة ث ق ل « ومنه اني تارك فيكم القرآن وعترتي » مع ان نص الحديث المستشهد به « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » ويقول في اللسان كما في النهاية جعلها ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخيماً لها فحذف الثقلين وغيّر كتاب الله ٠ وما هو الا ناقل وليس ما استشهد به من كلامه ليكون اعترافاً منه او حجة عليه ولو كان من كلامه لم يصح له الاستشهاد به وليس هو نص الحديث ليصح الاستشهاد به وانما الشاهد لا يغيّر ولا يبدل

وجاء فيه في مادة [ب ق ع] « ونادى موسى ربه في البقعة المباركة » وانما

الآية «فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى اني الله رب العالمين» .

وجاء في مادة [ا د ب] ان هذا الكتاب مأدبة الله في الأرض . ونص الحديث المستشهد به كما في النهاية «وفي حديث ابن مسعود ان هذا القرآن مأدبة الله في الأرض» . فجاء بالكتاب مكانه ليكون أعم ولكنه غير الشاهد . وتمام الحديث فتعلموا من مأدبته .

وجاء في مادة [ب ق ى] ولا تأتي الباقية مصدراً خلافاً لمن استظهر على ذلك بهذا الكلام «فهل ترى لهم من باقية» فقوله بهذا الكلام فيه من الجفاء وقلة الحرمة ما لايليق بأمثال المؤلف .

على أن دعواه بأنها لا تأتي مصدراً جاءت بلا دليل وفي المصباح بقي الشيء يبقى من باب تعب بقاء وباقية دام وثبت وقول صاحب القاموس انها نزلت منزلة المصدر لا يستلزم انها لا تتأتى مصدراً كما جزم به صاحبنا وورود المصدر على فاعلة كثير كالعافية والطاغية والعاقبة .

ثم رأيته قليل العناية بضبط الشواهد من الشعر .

فمن ذلك بيت المتنخل الهذلي :

لا درّ درّي ان اطعمت نازلكم قرف الحطي وعندي البر مكنوز

أورده الحطي بالطاء وانما هو الحثي بالثاء وهو المقل أو سويقه . وقرفه قشره والمقل : صمغ الشجر .

وفي مادة [ب ر ع] :

فكبا كما يكبو فنيق تارزٌ بالخبت الا انه هو أبرع

والبيت أورده صاحب اللسان وصاحب التاج بالجنب أي بالجيم والنون بعدهما باء وفسره صاحب التاج اي سقط الثور . وسقوطه يقضي بأن يكون لجنبه

وفي مادة [ب س ر]

فصبّحها والشمسُ حمراءُ بسرةٌ بسابقة الأنماء موت مفلس

ولم أهتد للمراد بسابقة الأنعاء . وإنما البيت كما أورده صاحب اللسان بسائفة الأنقاء أي الأرض بين الرمل والجلد والبيت للبعيث .

وفي مادة [ا و ب]

قد جال بين دَرِيسيه مُؤوِّبةٌ مُسع لها في عضاهِ الأرض تهزيز

فتح مؤوّبة على صيغة المفعول وانما هي على صيغة الفاعل وضم ميم مُسع وهي ريح الشمال وهي مكسورة .

وقد أورد صاحب اللسان هذا الشاهد في مادة [ا و ب] ومادة [ه ز ز] بما نصه :

قد حال بين دريسيه مؤَوِّبةٌ مِسعٌ لها في عضاهِ الأرض تهزيز

النبطية «جبل عاملة» احمد رضا

المقصورة[1] التاجية

تقوم مصلحة الآثار السورية منذ ثلاث سنين باعمار قسم من الجدار الشمالي في الزاوية الشرقية في الجامع الأموي · وهذا الجدار ببنائه الحالي عمر في سنة (٥٠٣) كما تشير الى ذلك عدة كتابات منقوشة عليه · والظاهر انه تأثر بحريق سنة (٤٦١) فنقض وجدد بناؤه بعد اثنتين واربعين سنة من تاريخ الحريق او ثمان وعشرين عامًا من تاريخ تجديد بناء الجامع ولا يبعد ان يكون العمل استمر في الجامع الى سنة (٥٠٣) ·

على ان هذا الجدار تأثر بعدة زلازل كانت بعد هذا التاريخ أعظمها زلزال سنة (١١٧٣) الذي أحدث تخريبات عظيمة في دمشق والجامع الاموي · منها هذا الجدار الذي وقع قسم منه على أرض المسجد ودار بني القزي في الجهة التي يجري فيها الاصلاحات الآن وامال هذا الجدار نحو الشمال (٦٥ سم)

وهذه الزاوية الشرقية الشمالية التي يجري فيها الاصلاح الآن كان لها ماض مجيد من الجهة الثقافية فكان فيها خزانة كتب وحلقة علم تمثل فيها الحركة العلمية في دمشق بالعهد الأيوبي أحسن تمثيل وهي التي عرفت في كتب التاريخ « بالمقصورة التاجية » ·

مساحة هذه المقصورة : تبلغ مساحتها من الشرق الى الغرب خمسة أمتار و (٣٠ سم) ومن الشمال الى الجنوب مثل ذلك وشرقيها وشماليها جدارا الجامع · وفي الجدار الشرقي باب يدخل منه الى دار لطيفة فيها بعض حجرات كانت تابعة لهذه المقصورة يسكنها في عصرنا مؤذنو الجامع أما الغرب والجنوب فمفتوحان

---

(١) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المختصون بها · ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي عن عدة مقاصير كانت فيه وانها تتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة ·

الى اروقة الجامع غير انه كان لها حواجز خشبية بصناعة مزخرفة لطيفة يوجد نموذج منها على مقربة من المقصورة في مسجد الحسين موضوعة على نوافذ كبيرة بين المشهد الخارجي والمشهد الداخلي . وقد اظهرت الحفريات الجديدة الاساس الذي كان يقوم عليه الحاجز الغربي للمقصورة التاجية .

انشاؤها : لا نعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن انشئت ولكن النعيمي في تنبيه الطالب [1] يفيد بأنها كانت تعرف بابن سنان ثم بالتاجية ثم بالسلارية فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان ؟

يقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية الغزالية [2] لأن الغزالي الشهير نزلها ودرس فيها بعد الشيخ نصر المقدسي المتوفى سنة (٤٩٠) ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قرى بصيدا [3] .

فالظاهر ان المقصورة التاجية وهي حنفية انشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية الغزالية الشافعية في الغرب فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكتل الحنفي يدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي [4]

فتاج الدين الكندي استاذ الملك ، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي — صديق الملك — وكان من أعظم وعاظ عصره يعظ الناس قبلي هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون

(١) نسخة خطية في المجمع العلمي بدمشق [١ : ٢٠٤] منها . وتؤيد الكتابات المنقوشة على الأحجار في هذه المقصورة هذا النص . وفي البداية والنهاية [١٣ : ٧٢] ما يفيد بأنها تدعى مقصورة ابن سنان الحلبية ، كما تدعى الحلبية فقط ، ويسميها ابن فضل الله العمري في مسالك [١ : ١٩٦ و ١٩٧] بالحلبية . (٢) كانت هذه المقصورة على هيأة قبة من خشب مطلي بدهان أخضر سكنها في الأزمنة المتأخرة مهاجرة الأفغان ثم أخرجوا منها سنة [١٣٣٤ هـ] تقريباً ورفعت هذه القبة وأتلفت حتى لا يعود اليها أحد . (٣) طبقات السبكي [٤: ١٠٦] وتنبيه الطالب (٤) لمعرفة شدة حماسه للمذهب الحنفي يراجع ابن خلكان [١: ٥٠٢] النجوم الزاهرة [٦: ٢١١] السهم المصيب في كبد الخطيب وهو من مؤلفاته للانتصار لابي حنيفة ..

البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميماده وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد[1] التي عند باب المشهد كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان . ومحمد بن عروة الموصلي — وهو من خواص الملك المعظم — انشأ على مقربة من التاجية مقصورة اخرى اشتهرت بالعروية وقف فيها درس حديث وخزائن كتب .

فهذه أمور كلها تشير الى التكتل الحنفي الذي كان يغذيه الملك المعظم ويحميه .

وكان لهذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصراوي الى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤه قرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية[2] وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي لجهة الغرب منها المتضمنة أوقافاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الفيدي ويرجع تاريخها الى سنة (٥٨٩) . وناصح الدين هذا لا نعرف عنه اكثر مما جاء في الروضتين[3] فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (٥٨٣) ان صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم الى والي قلعة دمشق الناصح الفيدي . وهناك وثيقة ثانية عنها هي اجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (٥٩٨) وهي تفيد قائمة عظيمة باسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمراء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم وبتاج الدين هذا عرفت هذه المقصورة فترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب باسم الزاوية التاجية .

(١) البداية والنهاية [١٣ : ١٩٦] وقبة يزيد هذه كانت تعرف قبل عصر ابن كثير بقبة زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبة الساعات . وكانت قائمة على أعمدة كقبة المال القريبة من الزاوية الغزالية ولكنها سقطت في زلزال سنة [١١٧٣] فأعيد بناؤها على جدران . وهذه القبة هي المقابلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد علي .

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ٦٣ . (٣) ٢ : ٧٩ .

مكتبة هذه المقصورة : كانت المكتبة ولا تزال جزءاً من أجزاء المدرسة لذلك كان من اللازم ان يكون لهذه المقصورة مكتبة يلجأ اليها الدارسون للمطالعة والدراسة . وقد أشار لهذه المكتبة عدد من المؤرخين ويحدثنا ابوشامة انه وجد فهرس هذه المكتبة بخط واقفها تاج الدين الكندي وان عدتها (٧٦١) مجلداً وهذا تفصيلها [١] :

(١٤٠) علوم القرآن و (١٩) الحديث و (٣٩) الفقه و (١٤٣) اللغة و (١٢٣) الشعر و (١٧٥) النحو والتصريف و(١٢٣) علوم الأوائل من طب وغيره

ويجب ان لا نغفل عن نص ابن خلكان الذي يقول فيه عن الكندي انه لما سافر الى مصر اقتنى من كتب خزائنها كل نفيس وما قاله ابن القفطي انه اقتنى من كتب خزائن الديار المصرية عند ما بيعت في الأيام الناصرية كل نفيس على قلة ما ابتاعه . ومن الواضح ان ابن القفطي يريد بهذه الخزائن خزائن الفاطميين وان المراد بالأيام الناصرية أيام صلاح الدين . ومن هذا نعلم قيمة هذه المكتبة القيمة رغم قلة عددها على ان ياقوت الرومي — وهو الخبير بالكتب وقيمها — يعظم من شأن هذه المكتبة فيقول عن تاج الدين الكندي : وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية [٢] .

ويقول أبو شامة : وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هيأ لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ونقل اليها جملة من هذه الكتب ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سراً وجهراً [٣] .

ويترجم ابن كثير [٤] مولى تاج الدين الكندي فيقول : ياقوت ، ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي وقد وقف اليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق وكانت سبعمائة واحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب

(١) ذيل الروضتين (٢) معجم الأدباء ١١ : ١٧٥ (٣) ذيل الروضتين (٤) البداية والنهاية ١٣ : ١١٦

ويبيع أكثرها وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب سنة (٦٢٣) .

ورغماً عن مبالغة ابي شامة وابن كثير في تمزيق هذه المكتبة فاننا نجد ابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩) يشير الى ان مكتبة المقصورة كانت موجودة في عصره[١] على انه أنشئ الى جانب هذه المقصورة مكتبة ومقصورة علم كانت كالدعامة لها فقد أنشأ محمد بن عروة المتوفي سنة (٦٢٠) في مشهد الحسين الملاصق لهذه المقصورة خزانة كتب ودرس حديث[٢] ويحدثنا ابن ابي أصيبعة[٣] بأن أبا الفضل بن عبد الكريم المهندس اختصر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني وكتب نسخة منه بعشر مجلدات ووقفها في الجامع الأموي مضافة الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة .

كتابات المقصورة القديمة : في هذه المقصورة خمس كتابات بخط نسخي عادي منقوشة على أحجار في الجدران داخلها تعطينا فكراً عن نواح قيمة فيها . وقد تناثر كثير من حروف الكتابة فلم تظهر معالمها . ومن الغريب ان بعض الناس أخذ في قراءة هذه الكتابات فظهر له منها انها اسماء عقارات موقوفة على الموسات

الكتابة الأولى : على الجدار الشمالي في المقصورة (٦٣ × ٧٣) ونصها :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير (٢) ناصح الدين الغيدي بن محمود تقبل الله (٣) منه الربع من قرية دربل من الاقليم[٤] (٤) وعمارة الفندق الذي أنشأه خارج باب (٥) شرقي على القراء الأخيار الحفاظ الحنفية (٦) يقرأ كل واحد سبعاً من القرآن بكرة كل (٧) يوم في هذه المقصورة ويلقن الصبيان المتعلمين (٨) لكتاب الله بها على ما ذكر في كتاب الوقف (٩) المقر لها وذلك في سنة تسع وثمانيـ[ـن] وخمـ[ـسمائة] .

(١) مسالك الأبصار ١ : ١٩٦ (٢) تنبيه الطالب مخطوط والبداية والنهاية ١٣ : ١٠١

(٣) عيون الأنباء ٢ : ١٩١ (٤) الاقليم هو ما يسمى في عصرنا بقنا وادي العجم

الكتابة الثانية : في الحائط الشرقي على يمين الداخل الى الدار المعروفة قديماً بالحلبية (٧٩ × ٥٥) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) الحاج الياس بن بشارة بن أبي الحسن[1] جميع البستان المحدو (٣) د الموصوف بقرية كفرسوسية ونصف وثمن الحقول (٤) التي تحت المنيب[ع][2] على المقصورة الشرقية الحنفية المعروفة (٥) بمقصورة بن سنان وقفا على الخبز والكسوة بما يرآه النا [ظر] (٦) الى كتاب الوقفية وذلك في جماد الأول سنة احدى وستمائة للهجرة .

الكتابة الثالثة : على مقربة من الكتابة الأولى أسفل منها قليلاً (٩٠×٨٠) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) السلار اسماعيل بن سليمان بن ايداش[3] عن الحاج الياس بن بشارة (٣) ابن ابي الحسن جميع ما ابتاعه بثلث ماله الذي أوصى به في ذلك وهو (٤) بدمشق وظاهر[ها] منه دار بدرب المحرزيين من ناحية درب (٥) الريحان[4] ومنه أربعة اسهم وثلث وربع سهم من اربعة وعشرين سهماً (٦) من كل واحد من الثلاث الحوانيت بسوق الأ[ساكفة] العتق ومنه الثـ[ن] من الفندق (٧) والعشر حوانيت و [منه] . . بالعقيبة تعرف . . . [و] منه ثلث الثـ . . . . . . ـه (٨) المعروفة بالطيرة [خارج الـ]ـور على الفقراء والمساكين . . . . (٩) . . . . . . (١٠) . . . . خمس عشرة وستمائة .

الكتابة الرابعة : خلف الدعامة التي ترتبط بها أقواس الرواق الشمالي مع الرواق الشرقي وتجعل المقصورة مربعة الشكل (٦٦×٨٣) ونصها : — (١)

(١) هو أحد أصدقاء التاج الكندي وتلاميذه وسيأتي ذكره فيمن سمع عليه شرح معاني الآثار
(٢) المنيبع محلها قديماً مكان حارة الحلبوني اليوم (٣) اسماعيل بن سليمان بن ايداش ابو طاهر الحنفي ابن السلار حدث عن الصائن هبة الله وعبد الخالق بن أسد وتوفي في ذي القعدة سنة [٦٣٠] شذرات ٥ : ١٣٥ (٤) درب الريحان هو الدرب الذي شرقي البزورية قبيل خان اسعد باشا المظم وعلى صفه ويعرف اليوم بسوق التين وفيه دار القرآن والحديث التنكزية المعروفة في عصرنا بالمدرسة الكاملية نسبة الى الشيخ كامل القصاب .

[بسم الله الرحمن الرحيم وما تفـ]علوا من خير يوف اليكم وانتم(٢) [لا تظلمون] هذا . . . بسر العبد الفقير الى غفران (٣) [ربه الا]مام العلا[مة] حجة العرب تاج الدين الكندي ابو اليمن زيد (٤) [ابن] حسن الكندي تقبل الله منه وأثابه الجنة اوقف (٥) . . . . بس تسعة اسهم من اربعة وعشرين سهماً من (٦) . . . . [فـ]ندق والحمام والعشرة حوانيت المعروفة (٧) . . . . . [فنـ]دق الحوانيت انشاء ابن اسرائيل تصرف (٨) في [ر]جب وشعبان ورمضان في ليالي الجمع (٩) . . . . . نسوة وغيره ودار جامعة في درب العجم[1] (١٠) و . . . . . مع مقرئين يقرؤن في كل ليلة بعد صلاة . . . . (١١) . . . . . . صف سبع من القرآن الع[ظيم] فمن بدله (١٢) [بعد] ما سمعه فانما اثمه على الذين [يبدل]ونه (١٣) وعلى القراء حجرة طباق الزقاق[2] . . . (١٤) من ربيع الآخر سنة تسع وثلثين وستمائة[3] .

الكتابة الخامسة: على الجدار الشمالي غربي المقصورة الى جانب الكتابة الأولى (٧٥ × ٧٣) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير . . . . . . الدين (٢) . . . . . بن الأمير عز الدين ياقوت الـ . . . . العبدي (٣) رحمه الله جميع السهام الأربعة التي هي السدس شائعاً من (٤) . . . من ضيا (٥) . . . . (٦) . . . . سبع وخمس[ين] وستمائة .

* * *

وبعد فلا نعلم الزمن الذي اضمحل فيه أمر هذه المقصورة والظاهر من كلام عبد الباسط العلموي المتوفى سنة (٩٨١) انها كانت معروفة في عصره . وحينما حصل زلزال سنة (١١٧٣) وحصل الخراب في هذه البقعة لم نجد أحداً يشير اليها مما يدل على أنها كانت غير معروفة في هذا التاريخ .

محمد احمد دهمان

---

(١) عين أبو شامة في ذيل الروضتين مكان درب العجم بأنه في جيرون وجيرون هي شرقي باب الجامع الأموي الشرقي وتعرف اليوم بالنوفرة . (٢) هذا السطر ا بدءاً ألحق إلحاقاً بخط دقيق (٣) توفي تاج الدين الكندي سنة [٦١٣] فتكون هذه الكتابة قد تمت بعد وفاته بـ [٢٦] سنة .

الملك الظاهر بيبرس

لا ينتهي هذا العام أيها السادة حتى يكون المجمع العلمي قد انتهى من إصدار عشرين مجلداً من مجلته : تفجرت يناييعها بالأبحاث المختلفة في اللغة وآدابها وما له اتصال بها .

وقد أخذ المجمع يفكر في تنظيم فهرست عام لهذه المجلدات العشرين . يدني ليد المراجع بعيدها ويسهل عليه الرجوع الى ما خبئ فيها .

وقد احببت ان أنظم لنفسي فهرستاً يشتمل على بعض ما في هذه المجلدات العشرين من الأبحاث الخاصة : فأحصيت المقالات التي بحثت في الأوضاع اللغوية فوجدتها تبلغ ٣٠ مقالة ونيفاً . ثم أحصيت ما فيها من تراجم الأعيان ومشاهير الرجال فكانت نحو ثمانين ترجمة منها (١٥) للمستشرقين وهناك ترجمة لبوذه معبود الصين . واخرى لطاغور شاعر الهند . وثالثة لأحمد باشا الجزار الوالي التركي المشهور بالظلم في تاريخنا الحديث .

هذا ما وجدته في العشرين مجلداً من تراجم الرجال . أما محاضرات المجمع التي ألقيت في هذه الردحة فربما بلغ عددها في الخمس والعشرين سنة ٢٥ محاضرة . منها محاضرات خاصة بذكر مناقب رجال التاريخ حتى احمد باشا الجزار نفسه فان له محاضرة مستقلة وُصف فيها بسوء السيرة لكنها أحيت ذكره على كل حال .

لا أكاد أصل في إحصائي هذا الى ذكر (الجزّار) حتى أسمع صوتاً من ورائي وعلى بعد عشرين متراً من موقفي هذا .

في هذا الصوت عُجمة وارتفاخ لكنة وعليه مسحة من جلال الموت ووحشة القبور يقول : أقلقتم راحتي . في هدأة رقدتي . نحواً من خمس وعشرين سنة . وأنا اسمعكم من فوق منبركم هذا تخطبون وتحاضرون . وأحياناً الى الغث من القول تستطردون . ولم أسمعكم قط ذكرتم اسمي في كل ما نشرتموه في مجلتكم أو نوهتم بشيء من أعمالي في محاضراتكم .

أيكون لبوذه العبتي وطاغور الهندي والجزّار التركي نصيب من اهتمامكم في مجلسكم ومحاضراتكم ولا يكون لجاركم بيبرس البندقداري شيء من ذلك حتى كأن مآثري ذهبت هباء • أو أنني ربذة ملقاة في الفناء لو لم يكن في من جليل الأعمال إلا أني أكملت ما بدأه نور الدين وصلاح الدين ومهدت الطريق لرابعنا (قلاوون) وبذلك تم جلاء عدوكم عن بلادكم — لكفاني فخراً وعجباً • ولسوّغ لي أن أوسعكم لوماً وعتباً • أين أنتم من مراعاة جواري • وحسن مجازاتكم لي على حلول داري •

هذا ما تخيلت أني اسمعه — أيها السادة — من جارنا الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي رحمه الله • وقد خجلت يعلم الله منه • وأسرعت الى تدارك ما فرّط منا معشر المجمعيين فخصصته بهذه المحاضرة التي لا حسن فيها سوى براءة ذمتنا وأداء الحق الذي علينا لجارنا •

حقاً أيها السادة إن في إغفالنا ذكر هذا الملك المنقذ بين من نوهنا باسمهم في مجمعنا شيئاً من نكران الجميل • وغمط الحق • أو هو ذنب لا يغفره الا موقفي هذا • وحسنُ إصغائكم إلى ما أسرده على مسامعكم من مآثر الرجل ووصف ما أوتي من جلد وشجاعة وحسن تدبير ولطف سياسة حتى أمكنه جمعُ كلمة البلاد وزعزعةُ أركان المتغلب عليها وحمله على أوفاز للجلاء عنها •

وقبل الشروع في المحاضرة نقول لجارنا الملك : سمعنا عتبك علينا وسنعمل على إعتابك ما وسعته طاقتنا غير أن امر نشأتك في بلادك حتى حللت بين أظهرنا مما غاب عنا خبره • واختلف الرواة فيه • فهل لك أن تسمعنا الحديث عنه من فمك ثم تصله بالمدوّن المنقول الينا من خبرك وما كان من محاولتك الملك حتى نلت منه امنيتك • وقضيت نهمتك •

* * *

قال نعم : منبتي صحراء الدشت من قوم رحّل يسمّون قبجاق أو قفجاق وتنسب الصحراء اليهم فيقال دشت قفجاق • وبلادي واقعة وراء جبال القفقاس وهي

تمتد بين البحرين : بحر الخزر من الشرق والبحر الأسود من الغرب (وهي اليوم تؤلف جزءاً كبيراً من روسية اوروبا) ومعظم سكانها مسلمون . ومن مدنها كاسان واوفا وسراي (ولعلها التي تسمى اليوم استرخان) ومن أنهارها نهر (اتل) (الذي يسمى اليوم نهر الفولكا) ومن شعوبها القرغيز والبرغال أو البلغار (وهم البلغار الأقدمون) وكنا من أصل تتري . وقد ولدت من أبوين قفجاقيين سنة ٦٢٥ هـ فسمياني (بيبرس) أي الفهد . واتفق ان أغار علينا اخواننا التتر من أحفاد جنكيز خان وذلك سنة ٦٣٩ هـ فالتجأنا الى اخواننا بلغار بلاد الروسية بعد الاستئذان من ملكهم (أنس خان) فسمح لنا بدخول بلاده ثم غدَرَ بنا وسبى من يصلح للسبي منا . وكنت أنا من جملة السبي . وعمري يومئذ ١٤ سنة . ولا يشوقني من لذائذ صبوتي في بلادي سوى ركوب الخيل وخلق طرائد الوحش عليها وسوى أني كنت مولعاً بشراب القِمِزّ حتى وكان هذا الشراب سبب موتي في بلادكم (والقمز أيها السادة شراب يتخذ من حليب إناث الخيل [1])

قال بيبرس : ولا تخطر بلادي في بالي حتى اتخيل التتري من قومي راكعاً بين ساقي فرسه ممسكاً بأخلافها منهمكاً في احتلابها حتى اذا تجمع هذا الحليب لدى الأسرة باعوا بعضه وشربوا بعضه وعزلوا شيئاً منه لاتخاذ القمز . وكأني أنظر الى عمي وهو متدثر بفروته الثقيلة من جلد الغنم يتقي بها البرد . وعلى رأسه كمة كثيفة مبطنة بالفرو وقد أخذ بين يديه زُبدية كبيرة فوضعها على فمه

(١) لا يخفى أن فقهاء الاسلام كرهوا أكل لحوم الخيل وشرب ألبانها خشية انقراضها وهي آلة الجهاد . أما فقهاء ما وراء النهر المنتشر مذهبهم بين أهل سيبيريا ومنهم القفجاق فقد كرهوا لحوم الخيل المعدة للجهاد أما تلك التي تعيش سائمة وترعى قطعاناً كما ترعى البقر والغنم فلا كراهة في أكل لحومها ولا شرب ألبانها . ويقول الخبيرون أن قبائل سيبيريا ما زالوا الى أيامنا هذه يربون من الخيل قطعاناً يتغذون بلحومها وألبانها ونتاجها على نحو ما نفعل بمواشينا . كما أنهم يتخذون من ألبانها شراب القمزّ المعروف قديماً . (والقِمِزّ) بكسر القاف والميم وتشديد الزاي كما ضبطه مؤرخو الاسلام . أما الانكليز فيلفظونه هكذا (قوميس Kaumiss) والقوميس في سيبيريا اليوم معامل يحضر فيها بمقادير كبيرة ويصدر الى الخارج في زجاجات مُهندمة كما يفعل الأوربيون في تصدير أشربتهم ومخموراتهم (الكونسروا) الى بلادنا .

وجعل يكرع ويكرع من شراب القمز وأكون في ناحية انتظر فراغه لأشرب ما فضلَ عنه من ذلك الشراب اللذيذ ٠

ثم قال (بيبرس) متماً حديثه وساقنا النخّاسون الذين اشتروْنا من بلاد (انس خان) الى سيواس ومنها الى حلب فدمشق ٠ فاشتراني العمادُ الصائغ لكنه أخيراً زهد فيّ لبياض رآه في احدى عينيّ واحتاج المنصور ملك حماة الى مماليك فنقلني النخّاس الى حماة ٠

وكان الملك المنصور هذا يومئذ صبياً وكان اذا اراد شراء رقيق عرضه أولاً على الخاتون الكبرى والدته فأحضروني اليها ومعي رفيق لي فجعلت تنظر الينا من وراء ستار ٠ فأمرتْ بشراء رفيقي وقالت تخاطب ابنها المنصور مشيرةً إليّ (هذا الأسمر لا يكون بينك وبينه معاملة فانّ في عينيه شراً لائحاً) قال وقد أثارت كلمتها في نفسي هواجسَ لاذعة مازالت تنمو وتتطوّر وتسوقني الى طلاب الملك حتى نلته ٠

قال واتفق أن كان في حماة يومئذ الأمير أيديكين البندقداري مسجوناً بأمر سيده الملك الصالح أيوب (حفيد من نحن في مدرسته أعني الملك العادل) فبلغه خبري فاشتراني ثم افرج سيده الملك الصالح عنه فخرجت مع ايديكين من حماة الى مصر وغضب الصالح عليه ثانية فصادره ٠ وكنت أنا في جملة أموال المصادرة وأصبحت من يومئذ (الصالحي) إي المنسوب الى الملك الصالح بعد ان كنت (البندقداري) اي المنسوب الى الأمير ايديكين البندقداري وكان عمري يومئذ تسع عشرة سنة ٠

أقول فيكون بيبرس قضى خمس سنوات وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن يد سيد الى يد سيد حتى استقر أخيراً في حوزة الملك الصالح أيوب ٠ فكان نعم المستقر : إذ قد عرف له الملك نجابته وادرك ان الشرّ اللائح في عينيه الذي تشاءمت به الخاتون انما هو خير : إذ لا يستقر ملك في ذلك الزمن إلا به ٠ ولا تعتدل قناةُ حكمٍ إلا إذا قُوّمت بثقافه : غدرُ ملك بلغار ببيبرس وبقومه ٠ وتنقله أسيراً رقيقاً في البلاد ٠ وقولُ الخاتون ان في عينيه شراً لائحاً ٠

ودخوله في جملة الأموال المصادرة التي قد يكون بينها دوابُّ ومتاع — كل ذلك قد لا يوري نار الحماسة في نفس غير نفس بيبرس أما في نفس (الفهد) كما سماه ابوه تلك النفسُ المتردة الوثابة فان كل ما ذكرناه قدح فيها زنداً وارياً وأثر فيها تأثير الانتباه واليقظة للوسط الاجتماعي والسيامي الذي كان يعيش فيه : فجعله يعتقد ان حياته لا تستقيم وعيشه لا يطيب · وبغيته لا تنال ما لم يتسلح بأسلحة ذلك الفهد : القوة والبطش والدهاء والمكر والانتقام أحياناً ·

عاش بين مماليك سيده الملك الصالح وكلهم أتراك شجعان فرآهم انما يتحدثون عن المُلك وأدواته · والعرش وشهواته · وأخبار الملوك من أبناء جنسهم والطرق التي سلكوها · والأساليب التي اتخذوها حتى بلغوا أهدافهم وكان من اسماها تسنُّم العروش ·

كان في بيبرس نجابةٌ وشجاعة وكان فيه فطنة وذكاء · وصلابةُ عود واستعداد لاستعمال أساليب تلك العهود · من حيث يؤدي ذلك الى الملك ·

وكان بين هؤلاء المماليك الكثيري العدد اثنا عشر ملكاً مسَّهم الرقّ فلم يكن يُعرف اسمُ آبائهم · ومنهم بيبرس جارنا وكان المؤرخون اذا نسبوا هؤلاء الملوك الأرقاء قالوا (فلان ابن عبد الله) إشارةً الى جهالة أصله وكان بيبرس من أبناء عبد الله هؤلاء وقد نَظَمَ بعض الشعراء اسماءهم بحسب ترتيب تملكهم في بيتين من توقيع المواليا فقال :

(ايبَك) (قُطُز) يعقبو (بيبرس) يا ذا الدين
بعدو (قلاوون) بعدو (كَتْبُغا) (لاچين)
(بيبرسْ) (برقوق) بعدو (شيخْ) ذو التبيين
(ططَر) (بَرسْبايْ) (جقمَقْ) صاحب التمكين

ولما جاء بيبرس الى بلادنا (او نقول بحسب التعبير الحديث الى الشرق الأدنى) كان السلطان فيها موزعًا بين أولاد صلاح الدين وأخيه العادل : أولاد العادل في مصر ومنهم الصالح أيوب سيد بيبرس واولاد صلاح الدين في الشام وكان معظمُ الساحل وبعضُ الداخل بيد الصليبيين ·

وهناك خلافة ببغداد مهددة بالسقوط في يد التتار . فالبلاد كانت واقعة بين شرين أو عدوين ضاريين (التتار) و (الصليبيين) . ويليهم من جهة آسيا الصغرى التي هي مستطرق الصليبيين أرامنة وروم مسلمون وهم السلاجقة في كيليكيا . وروم مسيحيون وهم البيزنطيون في القسطنطينية . ومن سوء طالع البلاد بأقطارها الثلاثة مصر والشام والعراق أن كان ملوكها المسلمون متشاكسين متدابرين يتربص بعضهم لبعض الدوائر وسنوح الفرص للبطش ، والنزوان على العرش . ولم يقم بعد صلاح الدين وأخيه العادل من يجمع كلمتهم . ويقف بهم في وجه عدوهم على شاكلة ما فعل صلاح الدين . وقد تنبه الى هذا كله (بيبرس) فكان نعم الدرس تلقاه عن سيده الملك الصالح حفيد الملك العادل . وقد وثق به سيده فجعله قائد فرقة مماليكه . وشهد معه وقعة دمياط الشهيرة التي أسر فيها ملك فرنسا (لويس التاسع) أو القديس لويس وهو المعروف عند العرب باسم الفرنسيس .

وصحب بيبرسُ بعد موت سيده الصالح ابنه الملك المعظم (توران شاد) وكان المعظم هذا شاباً أخرق سيء التدابير . فتآمر مماليك أبيه على قتله وكان أولُ من علاه بالسيف منهم جارنا وبطل محاضرتنا (الظاهر بيبرس) . وبعد المعظم قامت بأمر المُلك شجرة الدر زوجة الملك الصالح . فأنفَ المماليك سلطانها عليهم فولوا أحدهم وهو المعز ايبك (سنة ٦٤٨ هـ) وعمر بيبرس يومئذ ٢٣ سنة عندها تثاءب الفهد وتمطى وتهيأ للوثوب واستيقظت في نفسه شهوة الملك النائمة وطمع فيه بعد ان رأى انتقاله من أسياده بني أيوب الى رفاقه وخشداشيته المماليك .

في نفس بيبرس ميل للفتك كما قلنا . وفي عينيه آثار للشر كما قالت الخاتون غير ان وراء ذلك كله عملاً ينتظره وخدمةً يتمناها وقد رأى أن هذه الخدمة لا يوفيها حقها إلا هو فمنذ تولى الملك رفيقه (المعز ايبك) ترأس هو حزبَ المعارضة المتطرفة . ووضع مخططها أمام عينيه واخذ في دس الدسائس . ونصب المكايد . تارةً في مصر وطوراً في الشام . وكان يجهز عسكراً ويصمدُ به الى مصر فيُهزَم بيبرس ويُقتَل من معه من الامراء ويرجع الى الشام فيجهز عسكراً ثانياً . أو دسيسةً ثانية . ولماذا كل هذا ؟ أهو لطمعه في الملك ؟ وفي ما يحتف

به من العظمة وأبهة السلطان يا ترى ؟ أو لطمعه في أن ينال شرف خدمة الاسلام وإنقاذ البلاد من براثن الضاريين التتار والصليبيين ؟ الله يعلم . ولكن من تأمل في أعماله بعد ان تولى الملك رأى في تضاعيفها وفي النهج الذي سلكه لإنقاذ البلاد ما يشعر بأنه كان مخلصاً . في ما كان يرتكبه من الشر على حد تعبير الخاتون الأيوبية . واثقاً بأن الله سيغفر له خطاياه على حد تعبير الآية الكريمة (إن الحسنات يذهبن السيئات) . وعلى حد ما رواه احمد بن طولون أمير مصر وهو قوله (حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه انه قال (اوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل : مُرْ عامة أمتك ان لا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر فان للملوك كبائر من الأفعال الجميلة لا يصل اليها غيرهم تمحص بها آثامهم ويحسن بها صدرهم) ا ه (راجع ص ٣٣٤) من سيرة ابن طولون اقول ولا يسلم هذا الحديث من نقد وتجريح بل هو من قول ابن منبه وهو غير ثقة .

لم يكد الملك المعز ايبك يستقر على العرش بعد شجرة الدر حتى رفع بيبرس صوته قائلاً : نريد ملكاً من سلالة اسيادنا بني ايوب ولا نريد ان يملك علينا رجل من غيرهم . وأدى الأمر أخيراً الى قتل (المعز) فخلفه على العرش ابنه (المنصور) فوقف جارنا بيبرس من الابن موقفه من الأب موقف معارضة ودس وتأليب ثم خلعوا (المنصور) بحجة صغره فتولى بعده المظفر قطز وهو مملوك المعز ايبك المقتول وكان ذلك سنة ٦٥٧ ه وعمر بيبرس ٣٢ سنة فعظم الخطب على بيبرس وجعل يتنزى تنزي النهد في القفص وزاد حقده . واشتد كيده وأوشك ان يلتهب شوقاً الى الملك أو شوقاً الى الوقت الذي يمكنه فيه إنقاذ البلاد من الخطر المحدق بها . ولا سيما بعد أن بلغه خبر استيلاء (هولاكو) على بغداد وقتله الخليفة (المستعصم) .

وكان بيبرس في زمن (قطز) مقيماً في دمشق لاجئاً الى ملكها (يوسف صلاح الدين) الثاني وهو من أحفاد صلاح الدين الكبير ثم رأى بيبرس ان مكثه في دمشق لا يجديه نفعاً . ولا يمكنه من (قطز) وإسقاطه مالم يكن

مقيماً بجانبه يطالع الأمور عن كثب . فأرسل بيبرس الى قطز يلاينه ويعاتبه في بعض الشيء ثم استحلفه أن لا يخونه اذا جاءه فحلف له قطز . فجاء بيبرس الى مصر وانضم الى مماليكها الذين يعملون في خدمة (قطز) ثم شهد معه وقعة (عين جالوت) على مقربة من نابلس وهي الوقعة التي دحر قطز فيها التتار . واستأصل شأفتهم من بلاد الشام . وكان انتصاره هذا عليهم كأنه انتصار على بيبرس وخذلان له في ما يؤمل ويريد . لكنه مع هذا تشدد ونشط الى تدبير مؤامرة على قطز في أثناء إيابه من الشام الى مصر منتصراً فاغتاله وهو بعيد عن المعسكر في لحاق طريدة أرنب . وإقدامه على هذا العمل يعد من أكبر آثام بيبرس وأفظع ما ارتكبه من الجرائم . ولا سيما ان (قطزاً) كان ممدحاً . حسن السيرة . ولم يكن كالمعظم توران شاه الذي كان بيبرس قتله قبله تقول هذا ولا نبالي جارنا الذي ينصت الينا . وقد يغضب من سماع قولنا . لأن التاريخ يقول كلمته ثم لا يستعتب . ولا يبالي بمن غضب إلا أن يعود التاريخ نفسه فيعتذر له بأن هذا الغدر انما تعلمه بيبرس من إخوانه ومن ملوك زمانه

(فلا تحسبوا هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند)

(وإن ننس لا ننس ملك بلغار (أنس خان) الذي غدر ببيبرس وقومه فشرد به في البلاد . وصيره رقيقاً تتداوله أيدي الأسياد) .

وبعد ان قتل بيبرس (الملك قطزاً) أقبل مع رفاقه الى الدهليز السلطاني (أي المعسكر) وفيه أمراء الجيش ينتظرون رجوع الملك من طرد الأرنب . فهتف الأتابك (أقطاي) (والأتابك لقب بمنزلة وزير الدولة اليوم) قائلاً من قتله منكم ؟ فقال بيبرس : أنا . فقال الأتابك (يا خوند اجلس على مرتبة السلطان) وكان ذلك سنة ٦٥٨ هـ وعمر بيبرس ٣٠ سنة .

وأخذ من يومئذ يفكر في جمع كلمة ملوك الشام والحجاز وحملهم على الخضوع له بمختلف الوسائل ليتمكن بذلك من إتمام ما بداه الملكان (نور الدين) و (صلاح الدين) من طرد الصليبيين وتطهير البلاد من معرتهم . **المغربي**

رأس يحيى ورأس زكريا

المشهور على ألسنة الناس في حلب ان الضريح العظيم الذي في جامعها الأعظم فيه جثمان زكريا وقد وصل بنا البحث في تاريخ حلب الى ان الموجود في جامع حلب هو قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام . واليك البيان :

قال في الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة (ص ٧٤) وذكر ابن العظيمي (الحلبي) في تاريخه في سنة خمس وثلاثين واربعمائة ظهر ببعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقل منها الى حمص ثم منها الى مدينة حلب في هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام ابراهيم عليه السلام الذي في قلعة حلب) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة الى جانب المحراب واغلقت ووضع عليها ستر يصونها . وذكر الكمال بن العديم في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارته . وفي سنة تسع وستماية في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه وما كان من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير واحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله عنه سبحانه النار وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لأن النار لم تصل اليه وحمي منها . وقال كمال الدين (ابن العديم) أيضاً ان ابا الحسن علي بن ابي بكر الهروي [1] أخبره وقال ان بقلعة حلب في مقام ابراهيم عليه السلام صندوقاً فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهر في سنة اربع وثلاثين واربعماية اﻫ .

وفي كتاب الصلصلة في الزلزلة للجلال السيوطي . في سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبعلبك ومات تحت الردم معظم اهل تدمر اﻫ . أقول يظهر ان هذا هو السبب في ظهور رأس يحيى عليه السلام في بعلبك .

---

(١) وفاته سنة ٦١١ وهو صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات .

سبب نقل هذا الصندوق الى الجامع الاعظم في حلب

قال في الدر المنتخب (ص ٧٦) ما ملخصه : لما تسلم التتر قلعة حلب سنة ثمان وخمسين وستمائة اخربوها واخربوا الجامع (الذي فيه المقام) ثم احرقوا المقامين (مقام ابراهيم ومقام الخضر على ما يقال) حريقاً لا يمكن جبره وذلك في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستمائة .

ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمد سيف الدولة ابو بكر بن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الذخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الأصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد الجامع في حلب ودفناه غربي المنبر وقيل شرقيه (وهو الصواب) وعمل له مقصورة وهو يزار اهـ .

وفي الجزء الأول من تاريخنا (اعلام النبلاء ص ٢٩٥) نقلاً عن هامش تجارب الأمم نقلاً عن صاحب تاريخ الاسلام (الذهبي) في حوادث سنة ٣٥٧ في هذه السنة في ذي القعدة اقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية (الى ان قال) ثم سار الى كفرطاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرقة الخ . فهذه الرواية تفيد ان رأس يحيى كان في حمص ولعل نقفور نقله الى بعلبك ثم ظهر فيها على أثر الزلزلة التي حصلت فيها سنة ٤٣٤ كما تقدم او ان هذه الرواية لا أصل لها .

قال ابن الوردي في تتمة تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٣٨ في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف في حلب . وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي في الجامع شرقي المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تأزير رخام ابيض ووجد في ذلك تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء

مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة (١) فهرب الحاضرون هيبة لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل الله ان يلهمنا حسن الادب اهـ ٠

توسيع تلك الخزانة الى حجرة كبيرة وضريح عظيم

وذلك في سنة ١١٢٠ وهو ما عليه الآن

جاء في تاريخنا (اعلام النبلاء) في حوادث سنة ١١١٩ في هذه السنة ولي حلب عبدي باشا ٠ وجاء في حوادث سنة ١١٢٠ قال قاضي حلب عبد الرحمن ابن مصطفى الكيبيري الذي تولى القضاء فيها هذه السنة في آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب أغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير ٠ وفي زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان امر الوزير الأعظم الصدر علي باشا في زمان حكومة الفقير بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ أمره في اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والف وهدم الحائط الشرقي (أي شرقي المنبر) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلاله من قديم الأيام إذ ظهر هذا الجرن بين الحائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما أخذنا في حمله فاح منه رائحة طيبة أزكى من المسك فحملناه بالتسليم ووضعناه في خزانة واحضر اكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرؤن عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام ٠ ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادي عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وهو الدستور المكرم حضرة عبدي باشا والعلماء والأعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن أكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمنة الماضية وغطيناه بالرخام والتراب والقراء يقرؤن القرآن

(١) هذا يؤيد ما جاء عن الهروي ان الموجود في هذا الصندوق هو بعض الرأس ٠

ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة الجميلة التي لم تتيسر الا لآحاد من الناس أ ه باختصار وقال بعد ذلك وهو مما يجب ان لا نختصره . وصلاة على نبينا الأكمل وعلى صاحب هذا المقام الأجمل . سيدنا ابي الحصور زكريا عليه وعلى نبينا أفضل التحية .

وفي ترجمة مفتي حلب علي بن اسد الله المتوفى سنة ١١٣٠ (ج ٦ ص ٤٠٨) وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة الى ان مات وكان اذ ذاك متوليًا على جامع بني أمية بحلب . وفي ايام توليته عليه امر بترمات الجامع المذكور ومرمات بعض حيطانه فظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن وحمل الصندوق اليه جميع العلماء والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة والف ا ه وفي تلك المدة كان مقيماً في حلب شاعر كبير من شعراء الأتراك يعرف بالنابي فنظم قصيدة غراء تركية في ٥٤ بيتاً وهي مذكورة في ديوانه المطبوع (ص٧٩و٨٠) ذكر فيها ظهور هذا الصندوق وبناء هذا الضريح ووضع هذا الصندوق فيه وما حصل وقتئذ ترجم لنا هذه القصيدة نثراً بعض فضلاء الأكراد العارفين باللغتين العربية والتركية الا بعض ابيات منها متعلقة بالمديح والدعاء للسلطان مما هو خارج عما نحن فيه وهي لا تخرج عما تقدم مما ذكرناه عن قاضي ومفتي حلب الا أنه قال ان ذلك كان في السابع عشر من شعبان. من سنة ١١٣٠ ولا ادري ايهما اصح والخطب سهل .

وصف الحضرة النبوية الحاضر

وصف الحضرة النبوية زميلنا وصديقنا الشيخ كامل الغزي رحمه الله في تاريخه نهر الذهب (ج ٢ ص ٢٤٤) فاكتفينا به . قال : محلها بين العضادة العاشرة والحادية عشرة من الصف الأول (شرقي المحراب) في حجرة مربعة تبلغ ٤ اذرع في مثلها

تقريباً يصعد اليها من أرض القبلية بدرجة واحدة سقفها قبة لها على سطح الجامع كوات بشبكات من الحديد · وفي قاعدة القبة شبكة كالسقف منتوحة من من النحاس بعيون مربعة تبلغ فتحة واحدتها ثلاثة قراريط في مثلها ترتفع عن أرض الحجرة نحو ثمانية اذرع وجدران الحجرة الثلاثة التي هي الغربي والشرقي والجنوبي المقابل وجه المصلي ظهارتها من أرض الحجرة الى الشبكة المذكورة مبنية بأجمل أنواع الخزف المعروف بالقاشاني وباب هذه الحجرة وهي الجهة الرابعة منها قنطرة مشادة عالية حجارتها سود وصفر محمولة على عمودين عظيمين (من الرخام الأصفر) وارتفاعها من ختمها الى ارض القبلية ثمانية اذرع في عرض اربعة اذرع وهذه القنطرة العظيمة مع العمودين المحمولة عليها لها غلق يستوعبها من أرض الحجرة الى ختم القنطرة من نحاس اصفر مشبك بعضه على شكل مربع وهو من رأس العمودين الى ارض الحجرة ذو مصراعين يفتح ويغلق وسعة عيون شبكاته قيراطان في مثلها · ومن رأس العمودين الى ختم القنطرة قطعة واحدة لا تفتح ولا تغلق وسعة عيون شبكاته قيراط واحد في مثله · وفي جانب كل من العمودين المذكورين لمعة ظهارتها من الخزف القاشاني المذكور مكتوب على زنار شبكة الباب شعر تركي لنابي الشاعر المشهور ·

قال في نهر الذهب : أما صندوق الجرن الشريف فهو في وسط الحجرة من الخشب على صفة ضريح عليه كسوة من مخمل مزركش بالقصب الفضي مكتوب فيه بعض سورة مريم · وهذه الكسوة انعم بها المرحوم السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٩١ وكان قبلها كسوة سرقت قديمة بالية وضعت سنة ١٢٣٢ على أثر كسوة سرقت في السنة المذكورة · وهذه الكسوة التي هي قبل الكسوة الحاضرة ارسلت الى استانبول ووضعت هناك في محل الآثار القديمة · وعلى هذه الكسوة الجديدة فوق سنام الضريح عدة شالات ثمينة عجمية وهندية : (ثم قال) ويوجد هناك عشرة قناديل فضة صغار وقنديلان كبيران من الفضة وقنديل ذهب وشمعدان فضة ومقمم ومبخرة فضة وغير ذلك من البلور والسجادات والبقج والشالات اه·

ماقاله المؤرخون عن مقتل يحيى ومكان قبره وقبر أبيه زكريا عليهما السلام

في عرائس المجالس للثعلبي بعد كلام طويل بين فيه سبب مقتله . قتل وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود وأخذ رأسه .

وفي معجم البلدان في الكلام على دمشق . والمسجد الصغير الذي خلف جيرون يقال ان يحيى بن زكريا عليهما السلام قتل هناك .

وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى ص ٩٦ وقد ورد ان المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية ويقال ان القبة التي فيها المحراب لم تزل معبداً لابتداء عمارتها والى آخر الوقت بناها الصابئة معبداً ثم صار الى اليونانيين فكانوا يعظمون فيها دينهم ثم انتقل الى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونصب رأسه على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته ثم صار الى النصارى فجعلتها كنيسة ثم افتتح المسلمون دمشق فاتخذوه جامعا وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا الى ان جدده الوليد . ويقال ان رأس يحيى عليه السلام مدفون به . وبه مصحف عثمان الذي وجه به الى الشام .

وقال في المعجم في الكلام على جامع دمشق (ص ٨٠) وبالجامع رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وفيه في (ج ٥ ص ٢٩) في الكلام على سبسطية ان سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان . وبها قبر زكريا ويحيى ابن زكريا عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس .

وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ (ج ١ ص ١٨٨) قال احمد بن ابراهيم الغساني حدثنا ابي عن أبيه عن زبير بن واقد قال وكلني الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافى والشموع تزهر بين يديه فنزل واذا كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في ثلاثة واذا فيها صندوق فاذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد فرد الى المكان . وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة

فجعل عليه عمود مسفط الرأس وفيه (في ص ٢٣٠) قبر يحيى وزكريا · يقال انها بسبسطية · وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد الخ ما تقدم وزاد بعد قوله وفي السفط رأس يحيي بن زكريا : مكتوباً عليه هذا رأس يحيي بن زكريا الخ ما تقدم ثم قال قال زيد بن واقد رأيت رأس يحيي بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير · وقال القاسم بن عثمان الجوعي سمعت الوليد بن مسلم وسئل أين بلغك رأس يحيي بن زكريا قال بلغني انه ثم وأشار بيده نحو العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي · وقال هشام ابن عمار حدثنا محمد بن شعيب قال دخلت مع شداد بن عبد الله من باب الدرج فقال لي : ترى ها هنا كتابة بالرومية قلت نعم · فصلى ركعتين وقال ها هنا رأس يحيي بن زكريا · وروى القاسم الجُوعي عن الوليد بن مسلم انه سأل الأوزاعي · أين بلغك رأس يحيي بن زكريا · قال في العمود الرابع المسفط اهـ ·

ونحو ذلك في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج ٩ ص ١٥٦) وزاد فيه وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد ، قال حضرت رأس يحيي بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس سجيلة فوضع تحت عمود الكاسة اهـ

وفي أوائل الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ثم سرنا فمررنا في الطريق على قرية سبسطية وبعضهم يقول باسطين بياء بعدها نون وهي فلسطين المشهورة وذكر الهروي في زياراته قال سبطين هي فلسطين بها بدن يحيي ابن زكريا عليهما السلام وقبر امه وقبر اليسع ·

يلخص مما تقدم

ان مؤرخي حلب المتقدمين بعضهم يقول وهم الأكثر ان في جامعها رأس يحيي والهروي منهم يقول قطعة من رأسه ولم يقل لنا احد منهم ان فيه زكريا أو رأسه

وابن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ يقول لنا انه رأس زكريا عليه السلام ·

وثلاثة متعاصرون وهم مفتي حلب علي بن اسد الله وقاضيها عبد الرحمن الكبيري

والشاعر نابي التركي الذين كانوا وقت توسيع الخزانة الى الحجرة الحاضرة سنة ١١٢٠ هـ يقولون انه رأس زكريا أو عضو من اعضائه والقلقشندي المصري مؤلف صبح الأعشى وياقوت الحموي المتوفى بحلب وابن فضل الله العمري الدمشقي والحافظ ابن كثير الدمشقي يقولون ان الموجود بجامع دمشق هو رأس يحيى عليه السلام

وهنا كما ترى قد تعارضت الأخبار فأيها الصحيح ويمكن الجمع بينها ان يقال ان قطعة من رأسه بجامع دمشق وقطعة منه بجامع حلب كما أفصح بذلك الهروي وكما قال ابن الوردي ان في الصندوق بعض جمجمة .

والتعارض باق بين مؤرخي حلب الأقدمين القائلين ان الموجود بحلب هو رأس يحيى وبين المتأخرين منهم القائلين انه رأس زكريا . وعلى كل لا يخلو جامع حلب من اثر نبوي هو اما قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام . ولا يوصلنا الى الصحة ولا يوقفنا على الحقيقة الا الكشف على الصندوق وقراءة ما كتب عليه بدقة . وهل هذا متيسر او متعسر ندع الجواب عنه لغيرنا .

وصاحب المعجم في الكلام على سبسطية يقول ان بها قبر يحيى وزكريا عليهما السلام بدون تفرقة بين رأسهما وبدنهما . والنابلسي يقول لنا في رحلته ان بها بدن يحيى ولم يذكر زكريا فبقي مكان جثمانه مجهولاً ولعله لعلمه ان في دمشق رأس يحيى وهو مما لا خلاف فيه عند مؤرخي دمشق وأهاليها ذهب الى ان الموجود في سبسطية هو بدنه دفعاً للتعارض والله اعلم .

(حلب) محمد راغب الطباخ

ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الاول)

فاتحة :

المخطوط الذي نقدمه اليوم لقراء العربية هو رسالة لطيفة للعالم المؤرخ ابن طولون الدمشقي ولهذه الرسالة شأن لما تضمنت من معلومات مهمة عن قرى الغوطة في القرن العاشر، فانها تسرد اسماء تلك القرى، وفيها ما هو مجهول في ايامنا، كما ان منها ما لا نجده في غيرها من الرسائل والكتب التي بحثت — عرضاً — عن الغوطة وقراها، على ان المؤلف ربما خلط بين قرى الغوطة وقرى المرج كما لاحظ ذلك استاذنا محمد كرد علي بك في محاضرته عن الغوطة، ولكن هذا لا يحط من قيمة الرسالة ولا يجعلنا نشك في علم ابن طولون وانما نعتقد انه كان في زمنه داخلاً في الغوطة فان للأراضي والبقاع تطورات وأعماراً كما لبني الانسان وللمدن، فاذا عد ابن طولون قرية من الغوطة وهي اليوم من قرى المرج فما ينبغي لنا انتقاده[1]. على انه ربما ذكر بعض القرى وقال في آخر كلامه عنها : وانها من حساب قرى المرج، كما سترى ذلك. ونحن في الذيل الذي سنعقب به على ما قال ابن طولون سنذكر بعض قرى المرج لقربها من الغوطة قرباً يجعل بعض الناس يعدونها منها. والرسالة التي ننشرها كان نشرها السيد حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ج ٣٩/١ ولكنه لم يعلق عليها بل حذف منها الأسانيد وما نعرف

---

(١) أدخل ابن طولون في رسالته من الغوطة سبع عشرة قرية من المرج وكان الأولى أن لا تدمج فيها وهي: بيت نايم، البرية، تل الشعير، تل الذهب، تل الكردي، الجرباء، حرستا، القنيطرة، حزوما، حران، الجديدة، الدوير، القصير، تميا، الزميزمية، السويداء، الرمادة، مذراء. (المجمع العلمي العربي)

أحداً قبل ابن طولون كتب في الغوطة رسالة خاصة كما لا نعرف أحداً من المحدثين عني بها على الرغم من مكانتها الكبرى في القديم والحديث اللهم إلا بحث أستاذنا الجليل محمد كرد علي بك الذي كان ألقاه في راديو الشرق . ثم ألقى ثلاث محاضرات في قاعة المجمع العلمي بدمشق كان لها أحسن الأثر في نفوس الشاميين لأنهم تعرفوا بمحاضراته هذه الى لمحة طيبة عن تاريخ الغوطة تلك البقعة الخصيبة التي ينعمون بخيراتها ويتفيأون ظلالها ، وممن عني بالغوطة من المتأخرين المسيو دوسو فقد كتب عنها فصلاً مطولاً في كتابه طبوغرافية سورية التاريخية في القديم والعصور الوسطى . وممن عني بها ايضاً المسيو تريس فقد كتب عنها مقالاً مطولاً درس فيه الري وأنظمته في الغوطة ونشره في مجلة الدراسات الاسلامية بباريس . وهناك معلومات منثورة في الكتب عن الغوطة رجعنا اليها في تصحيح مخطوطتنا التي ننشرها الآن

أما المراجع العربية التي رجعنا اليها فهي :

كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٨٩١

كتاب البلدان لابن الفقيه طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٢

« تاريخ دمشق لابن عساكر نشره ولخصه عبد القادر بدران طبع في دمشق

« المسالك والممالك لابن خرداذبه طبع بمطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٦

« معجم البلدان لياقوت الحموي

« منادمة الأطلال ومسامرة الخيال للشيخ عبد القادر بدران مصور بدائرة الأوقاف الاسلامية عن مخطوطة المكتبة التيمورية

رسالة الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي والبدير بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٨

رسالة المعزة فيما قيل في المزة لمحمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي والبدير بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٨

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مقالة الغوطة للأستاذ محمد كرد علي المجلد العاشر ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦

وأما المراجع الأجنبية فهي :

كتاب جهان نما لكاتب چلبي التركي (بالتركية)

(تقويم سورية) (بالتركية)

Le Strange : Palestine under the Moslems London 1890

Sauvaire: Descriptions des Damas Journal Asiat 1894 I ,250 , 283 . II . 242 , 460 . 1895.I 269, 377. II 221, 409, 1896. I 185, 369

والمخطوط الذي ننشره هنا مأخوذ عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة بمكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ورقمها (٢) وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدن

[Bibliothèque de l'Université de Leyde . M s . arabe ; 1862 Catal . Cadicum arabicorum II p. 10 N° 814]

وها نحن اولاء ننشر في هذا العدد نص الرسالة وفي العدد الآتي ننشر التعليقات .

بسم الله الرحمن الرحيم

[١ ظ] سبحان العظيم العليم المحيط علمه بكل قاصٍ ودانِي ، الباسط حلمه على كل خاطئ وجاني ، فمن عظم من خلقه فهو في قبضته وعظيم قدره ذليل متواني ، هو الأول ماله ثاني ، وهو الآخر وكل ما سواه فاني . العرش يقول سبحان من حمل عن الحملة أركاني ، والكرسي يقول سبحان من ثبت قوائمي وأحسن بنياني ، والسموات تقول سبحان من هذب بوحدانيته جميع سكاني ، والفلك يقول سبحان مديري في دوراني ، والسحاب يقول سبحان من جعل بين السماء والأرض مكاني ، والريح يقول سبحان من أجراني ، والجبال تقول سبحان من أرساني ، والأرض تقول سبحان من على تيار الماء دحاني ، والأشجار تقول سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهر يقول سبحان من فتق كمي وغير ألواني ، والفواكه تقول سبحان من أينع بين طعمي : هذا حامض وهذا حلو ومن ماء واحد سقاني ، والطير يقول سبحان من أطلق له بالحمد لساني ، والبعوض تقول سبحان من يسمع حس خفقان

أجنحتي عند طيراني ، والنحل تقول سبحان من يرزقني على ضعفي وفي الليل المظلم يراني ، والليل يقول سبحان من سترني والظلام غشاني ، والنهار يقول سبحان من أظهرني وبالنور كساني ، والجنة تقول سبحان من وعد المتقين بنعيمي بحوري وولداني ، والنار تقول سبحان من توعد المجرمين بعذابي ونيراني ، ومحمد ﷺ يقول سبحان من شفعني في أمتي وأرضاني صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً ينجيان من النيران . وبعد فهذا تعليق سميته « بضرب الحوطة على جميع الغوطة [1] » على حسب الامكان وبالله المستعان .

قال ابو عبد الله بن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر دمشق : أما صفتها فانها من أحسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدلها هواء ، وأطيبها نشراً ، وأكثرها مياهاً ، وأغزرها فواكه ، وأوفرها مالاً ، وأكثرها جنداً ولها ناحية تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً وهي من شرقي دمشق وشماليها بها ضياع.[2] كالمدن مثل المزة وداريا وحرستا ودمر وبلاس وبيت لاها وعقربا وبها كلها جوامع انتهى . قلت أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمري بقراءتي عليه أنبأنا الشهاب أحمد بن علي بن حجي أنبأنا أبو الفرج عبد لرحمن بن احمد الغزي وأبو المعالي عبد الله ابن عمر الأزهري بقراءتي عليهما وأنبأنا به ابو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي قراءة عليه قال هو وشيخنا الأول أنبأنا الزين عبد الرحمن][بن خليل [٣و] الأذرعي سماعاً عليه متفرقين أنبأنا الجمال عبد الله بن محمد الأزهري أنبأنا ابو عبد الله محمد بن محمد الفارقي وقال الغزي أنبأنا القطب عبد الكريم بن عبد النور الحلبي قالا أنبأنا ابو بكر محمد بن اسماعيل بن الأنماطي أنبأنا ابو محمد هبة الله بن الخضر بن طاوس أنبأنا ابو الفضائل ناصر بن محمود القرشي انبأنا ابو الحسن علي بن احمد التيمي المالكي انبأنا ابو الحسن علي بن محمد الربعي المالكي انبأنا تمام بن محمد حدثنا القاضي ابو الحسن احمد بن سليمان

ابن حذلم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة عن ابن جابر عن زيد بن ارطاة عن جبير بن نفير عن ابي الدرداء قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ‹فسطاط› المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من مدائن الشام . وبه الى تمام انبأنا ابو بكر احمد بن عبد الله القرشي وابو بكر محمد بن ابراهيم البزاز قال حدثنا ابو قعين اسماعيل بن محمد العذري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا مسلمة بن علي حدثنا ابو سعيد الأسدي حدثنا سليم بن عامر عن ابي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية قوله تعالى : [وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين] . ثم قال هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة بها مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام . وبه إليه حدثنا أبو الحارث احمد بن محمد بن عمار عن الوليد ابن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس أنه قال : وُلد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها بَرْزَةُ في جبل يقال له قاسيون . وبه الى الربعي أنبأنا ابو محمد عبد الله بن احمد العيسى أنبأنا ابو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله البجلي حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد حدثنا ابو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف [1] بن مالك قال : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون اليكم على ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً ، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق . وبه اليه أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان حدثنا ابو الحسن ابن حبيب حدثنا ابو بكر بن الأشعث حدثنا ابو توبة حدثنا ابن المهاجر عن ابي حليس ، قال : أشرف عيسى بن مريم عليه السلام على الغوطة فقال : يا غوطة إن عجز الغني ان يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين ان يشبع

(١) في الخزانة [عون]

منك خبزاً . قلت الحاصل أن الغوطة مدينتها دمشق الكبرى وقد أفرد لها تاريخًا معظماً الحافظ ابو الحسن بن عساكر ودونها القرى وهاك اسماء ما وقعت عليه منها مرتبًا لنا على حروف الهجاء .

أرزونا (٣) — وهي قرية تحت القابون التحتاني وهي متوسطة لها جامع ومأذنة وشربها من نهر ثورا وهي أملاك لناس مختلفين وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث .

الاقريس — وهي قرية بقرب جسرين وهي متوسطة وشربها من نهر داعية .

[٢ ظ] أرزة * — وهي قرية أدركت بعض][بيوت بها والى الآن بها بيت بجنينة وأدركت جامعها بمأذنة صو[illegible]ة عند قبور الشهداء ولها حكر (٤) ديوان الجيش وشربها من نهر ثورا .

البويضة — وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق بجامع ومأذنة وكان لنا بها عشر .

البحدلية (٥) — وهي قرية جامعة تحت بلدا وبها جامع وهي وقف على بيمارستان الصالحية القيمري .

بيت رانس * (٥) — وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلي .

بيت سحم (٦) — وهي قرية بالقرب من عقربا وبها قطع (٤) وقف على جماعة الحنابلة .

بيت الآلهة — هي حارة من دمشق شرقيها وبها جامع مبارك أدركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ليدي الحنبلي والآن قد خرب وللناس فيه اعتقاد كثير وعليها بساتين وأراضي كثيرة وقع بها حديث كثير وآخر من حدث بها شيخنا المحيوي النعيمي وخرج منها جماعة من أهل الحديث (٧) .

بيت أبيات * — حارة كانت غربي الصالحية وقد خربت الحارة ولم يبق غير مسجد والطاحون ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من أهل الحديث (٨) .

برزة — وهي قرية شرقي الصالحية في الجبل بها مقام ابراهيم يقال إنه ولد فيه وقيل بل اختبأ فيه وقيل بل صلى فيه وقد أفردت لما ورد فيه

جزء[٩] وماؤها من أحسن مياه دمشق يأتي من وادي الجرن[١٠] « لعلها حرنة (المجمع العلمي العربي) » واليها ينسب نوع من التين الشتوي هو أجود جنس منه ونوع من السفرجل هو من أجود انواعه وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم وقد حدثتُ بها مراراً وكان بها من له سماع فيه وأمامة بجامعها وله مأذنة[١١] .

بالا — وهي قرية تحت المنيحة وهي قرية حسنة كثيرة المُغل وفيها حصة وقف على الجوزية وقف على الحنابلة إما ربع أو نحوه[١٢] .

بَرْتايا* : وهي قرية خراب فوق سقبا وقف[١٣] (هي أرض ضمت الى عربيل . المجمع العلمي العربي) .

بيت نايم* — وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف وهي من جملة حساب المرج وهي أول قراه[١٤] .

بيت سوا — وهي قرية متوسطة وقع بها تحديث ببعض الأجزاء[١٥] .

البريةُ * — وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصص غالبها وقف ومنها حصة موقوفة على جامع الحنابلة .

تل الشعير* — وهي قرية تحت البجدلية خربة وقف على المدرسة القيمرية[١٦] .

تل الذهب* — وهي كانت قرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم وأهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث يسير[١٧] .

تل كردي — وهي قرية من قرى المرج لم أعرف حالها[١٨] .

جَرْمانا — وهي قرية قبلي دمشق وأهلها تيامنة وهذا عجيب من كونهم في هذه [القرية من] الغوطة فان اهلها جميعهم من أهل السنة[١٩] .

جَوْبَر — وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود وبهـا ثم جماعة من المسلمين وبها مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقع بهـا حديث كثير ومنها جماعة من أهل الحديث[٢٠] .

[٣ و] جسرين — وهي قرية تحت سقبا][وكانت بلدة كبيرة إلا أنها تلاشى أمرها وهي وقف وشربها من نهر داعية وقع بها حديث في فوائد الرازي[٢١] .

جَرْبا — وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع ثالث مقدمي الألوف بدمشق وقع بها تحديث الأجزاء[٢٢] .

حَزّة — وهي بلدة صغيرة تحت زملكا لها مسجد وشربها من عين الرشيدية[٢٣] .

حمورية — وهي قرية شمالي سقبا متوسطة حسنة بها جامع يقال إنه عمري وهي وقف على أولاد السلطان الملك الظاهر وفيها املاك مستخرجة في الخراج[٢٤] .

حُرْدان * — وهي قرية تحت سقبا أيضاً خربت كان لها حديث لجماعة من اهل الحديث أفرد لها الحافظ ابو الحسن بن عساكر جزءً ثم أفرد لها شيخنا المحدث أبو المحاسن بن عبد الهادي جزءً آخر[٢٥] .

حرستا الزّيتون[٢٦] — وهي قرية كبيرة جامعة وهي في اقطاع النيابة كانت والآن صارت وقف التكية[٢٧] قال شيخنا ابو المحاسن وهي قرية شر وفسق معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس إنها اول ما يخسف بها في الدنيا وكانت قديماً قرية حديث وشربها من نهر يزيد وتورا واليها ينسب التفاح النبطي وقع بها حديث كثير خرّجت لها جزئين وخرج منها جماعة من أهل العلم انتهى . قلت منهم الإمام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما .

حرستا القنطرة[٢٦] — وهي قرية قبلية صغيرة ولعلها من حساب المرج .

حزْرَما[٢٨] : وهي قرية من قرى المرج وثلثها وقف على دار الحديث الأشرفية[٢٩] بدمشق وقع بها حديث كثير قال المحدث ابو المحاسن[٣٠] وقد أفردنا لها جزء .

حَرّان — وتضاف الى العوامد فيقال لها حران العواميد وهي قرية متوسطة من قري المرج[٣١] .

الجديدة * — بالحاء المهملة والناس يقولون بالمعجمة تحت وهي قرية متوسطة من قري المرج وهي في اقطاع النيابة[٣٢] .

الحديثة[٣٢] — وهي قرية صغيرة تحت دمشق وغالبها يتكلم[٣٣] عليها

المولى الخواجا زين الدين عبد الغني بن أُلمزْلِّق (٣٤) وقع بهـا حديثٌ وحدث فيها بعدة أجزاء .

الخيارة — وهي صغيرة من قرى المرج (٣٥) .

داريّا (٣٦) — بلدة كبيرة جيدة عذبة (١) بها جامع وهي من جملة بلاد السلطنة (٣٧) وبها اراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية الفقراء وبها قبر ابي سليمان الداراني واليها ينسب البطيخ الجيد وقع بهـا حديث كثير وخرج منها جماعة كثيرون من أهل العلم قال شيخنا ابو المحاسن وقد أفردنا لها مصنفاً ولم أقف عليه فأفردت لها جزءً لخصته من تاريخها وزدت عليه .

دَقانية * — وهي قرية صغيرة تحت أُرْزونا ولها جامع وعليها كروم وشربها من نهر تورا (٣٨) .

دُومَةُ (٣٩) — وهي قرية كبيرة جامعة شرقي حرستا وهي من أُمهات القرى من اقطاع أمير كبير (٣٠) وشربها من نهر تورا وقع بها حديث [٣ ظ] وخرج][منها جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدومي المشهور .

الدُّوَير * — يقال لها دير ابن عصرون وهي قرية صغيرة في لحف الجبل ونصفها أو نحوه وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية (٤١) .

الرَّبوة (٤٢) — غربي (٤٣) في فم الوادي فيها بيوت ودكاكين وحمام ويقال انها التي أوى اليها عيسى وأمه وهي الآن مكان فرجة ويجتمع فيها على غير التقوى وقد خربت في أيامنا عدة مرار وعمرت وقع بها حديث وسماع في عدة اجزاء وأفرد لهـا الحافظ الشمس بن ناصر الدين جزءً وتبعته في آخر ابسط منه (٤٤) .

زَملكا — بلدة كبيرة جامعة بها جامع وحمام وخلق كثير وهي من أُمهات الغوطة وشربها من نهر ثورا وبها موضع يقال إنه مزار ، وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء وخطيبها كان بعض ولد ولد شيخ الاسلام ابي عمر وله سماع كثير واستمر أولاده بها الآن (٤٥) .

(١) عذبة من هذا البلد طاب هواءه وينطقون بها لعهدنا بالدال عدية (المجمع العلمي العربي)

زبدين — وهي قرية في آخر الغوطة من أقطاع النيابة ويزرع فيها البطيخ كثيراً ووقع فيها تحديث ببعض الأجزاء (٤٦)

الزُعيزعية * — وهي قرية من قرى المرج وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٤٧).

السوَيداء * — وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة (٤٨).

سقبا — وهي بلدة كبيرة جامعة وبها جامع وعدة مساجد وحمام وهي أملاك لأربابها وغيرهم ومنها يستحسن بزر الخيار وشربها من نهر داعية وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهله قال شيخنا ابو المحاسن ولأهلها سماع وقد أفردت لها جزء (٤٩).

الشجرة * — وهي كانت قرية خربة وهي من جملة صدقات الحنابلة (٥٠).

الصالحية *(٥١) — قال شيخنا ابو المحاسن وهي أول قرى الغوطة وأم البلاد وعروس الشام يصلح ان تكون مدينة بسفح قاسيون أول من وضعها المقادسة فإنهم لما هاجروا من الأرض المقدسة الى دمشق نزلوا مسجد ابي صالح شرقي دمشق فاستوخموا تلك المحلة ومات منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة فصعدوا الى هذا الجبل وبنوا به الدير المعروف بهم وبهم سميت الصالحية لأنهم كانوا من الصالحين الكبار وكان منهم الشيخ احمد والد الشيخ ابي عمر، والشيخ ابو عمر، والشيخ موفق الدين، والحافظ عبد الغني، والحافظ الضياء، والحافظ العماد، والإمام عبد الهادي، وأشباه هؤلاء وكلهم أقارب ثم اتسع البناء وبنى لهم الشيخ ابو عمر سبع مبات : المدرسة، والمسجد غربيها، والميضأة، والمصنع، والمغربلة، والمغسل، والمسقاة، انتهى. وقد أفردت لها تاريخاً.

صنعاء — قال شيخنا المحيوي النعيمي في مسودة [٤ و] تاريخه وهي قرية خربت وبقي مزارعها على نهر الخلخال بالقرب من المنيبع خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة انتهى (٥٢).

الضمادة — ويقال لها الرمادة وهي قرية بقرب عذراء خربت وهي وقف من جملة صدقات الحنابلة (٥٣)

عين تُرْما — وهي قرية جامعة شرقي دمشق وبها جامع وحمام ووقع بها حديث وكان لبعض أهلها سماع ببعض الأجزاء وغالب الوادي التحتاني مع اهلها وشربها من نهر ثورا وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية وبعضه من بردى (٥٤) .

عِرْبيل — ويقال لها عِرْبين وهي قرية جامعة وشربها من نهر ثورا واليها ينسب العنب البلدي واللوز وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهل الحديث ولهم فيه سماع (٥٥) .

عَذْرا — وهي قرية شرقي دوما وهي في أقطاع النيابة كانت والآن صارت وقفاً على التكية وهي بلدة كبيرة بها كان قتل حجر وأصحابه وشربها من نهر ثورا واليها ينسب البطيخ وقع بها تحديث يسير (٥٦) .

عَقرَبا — وهي قرية شرقي بلدا كبيرة وهي من جملة اقطاع النيابة واليها ينسب القماش العقرباني وقع بها حديث وخرج منها محدثون (٥٧) .

قبر الست — وهي قرية قبلي دمشق يقال أن زينب بنت علي مدفونة فيها وهي بلدة جامعة وللناس ايام يخرجون اليها يحتجون بالزيارة ويتنزهون ووقع بها حديث يسير وقد أفردت لها تعليقاً (٥٨) .

قرية سَيدي مُدرِك — بالقرب منها وفي كونه هناك خلاف (٥٩) .

القابون الفوقاني — وهي قرية كبيرة تحت برزة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وغالب اهلها تركمان وبها رؤساء واعيان وشربها من نهر يزيد وقع بها حديث (٦٠) .

القابون التحتاني — وهي بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وبها (٦١) تركمان وحوارنة وغيرهما وبها يعمل خميس البيض النجس الخبيث وقد أفردت له تعليقاً وشربها من نهر يزيد واليها ينسب الخيار الجيد وقع بها حديث وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء .

القصير *(٦٢) — ويقال قصير النوافل وهي قرية متوسطة على طريق المارة وهي في اقطاع رابع مقدمي الألوف بدمشق .

القصور * — وهي بلدة غربي كفرسوسية وقد خربت وهي الى الآن خراب(٦٣)

كفرسوسية — وهي بلدة تحت المزة بها جامع وحمام وهي بلدة جامعة وبها معصرة للزيت لأن بها زيتون كثير ووقع فيها حديث وخرج منها محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي .

[٤٠ظ] كفر بطها — ويقال لها كفر بطنا وهي قرية جامعة بها جامع وحمام][ودكاكين ويقال إنه كان بها علماء وسادات ورؤساء وتجار وهي أملاك متفرقة وبها عدة مساجد وشربها من نهر داعية ووقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من الأئمة المحدثين بل الحفاظ منهم الحافظ شمس الدين الذهبي وولده المحدث ابوهريرة وغيرهما(٦٤) .

اللقبشا * — ويقال اللقيسا بالسين وهي قرية من أشهر قرى المرج (٦٥) .

المحمدية — عند جسرين وهي قرية صغيرة من قرى المرج كانت خربة والآن عمرت(٦٦) .

المنيحة — وهي قرية تحت دمشق جامعة ولها جامع ولي خطابته في هذه الايام صاحبنا القطب بن الصفوري الشافعي قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن بها قبر سعد بن عبادة وليس كذلك انتهى . وقد أفردت له جزءً وهذه الأيام يذهب الناس اليها للزيارة والتنزه على عاداتهم وبها قطع وقف على الحنابلة تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية وقع فيهـا تحديث بعدة أجزاء وخرج منها محدثون منهم المنيحي(٦٧) المشهور .

مسجد القدم — وهي قرية قبلي الصبيبات جامعة بها جامع وهي عذية من جملة بلاد السلطنة لأناس متفرقين قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن قدم موسى فيها وذكر بعضهم أن فيها قدم النبي ﷺ وهو كذب انتهى وبالقرب منها الكثيب وقد أفردت له مؤلفاً (٦٨) .

المزة — وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة وبها عدة جوامع

ومساجد وحمامات ودكاكين وهي قديمة قال السيد كمال الدين بن حمزة عندي لها تاريخ وتقصدته فلم أظفر به فأفردت لها جزءً وكانت قد أُقطعت لبعض ولد أسامة بن زيد ووقع بها تحديث وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزي وولده وغيرهما (٦٩) .

مَقنية *(٧٠) — والصواب قينية وهي قرية خربت خلف ميدان الحصا قال الأسدي في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في ترجمة محمد بن هارون من ولد أنس بن مالك الأنصاري الدمشقي من سكان قرية القينية غربي المصلى انتهى وقال غيره : ابو علي محمد بن هارون الأنصاري الدمشقي من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة انتهى .

مُقرا * — وهي (٧١) كانت قرية فخربت شرقي الصالحية أدركت فيها السبع قاعات والآن باقي بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثورا غربي الصالحية .

النيرب — غربي (٧٢) الصالحية كان له اسم خاص وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف الى اسم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب ووقع بها سماع حديث كثيراً أفردت له جزءً قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة وهي قرية من محاسن قرى دمشق من إقليم بيت لهيا كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه][الجمعة [٥و]
ويقال في شرقيه قبر حنة أم مريم عليها السلام قال ابن شداد وليست مريم بنت عمران ولها حكاية وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أن الخضر ينتاب هذا المسجد ويصلي فيه ويروى أن عيسى عليه السلام كان فيه انتهى .

يعقوبا — وهي قرية صغيرة غربي حَزّة وشربها من نهر تورا وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٧٣) .

يلدا — وهي قرية قبلي المدينة بالقرب منها جامعة وهي بلدة حسنة وقع بها تحديث وخرج منها جماعة من المحدثين منهم اليلداني الأول ومنهم شيخ شيخنا ابي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطبيب (٧٤) .

يتبع : م . أسعد طلس

مخطوطات ومطبوعات

الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة

طبع سنة ١٣٥٦ هـ في المطبعة الاقتصادية بالرباط من بلاد المغرب الأقصى مؤلفه من كبار اعيان الشيوخ في بلاد المغرب وله باع طويل في الفقه والأدب والتاريخ وهو الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأسرة المالكة ومؤلف كتاب النهضة العلمية في الدولة العلوية وكتاب العز والصولة في نظام الدولة وغيرهما من مؤلفاته التي وردت اسماؤها في كتابه الدرر هذا بمناسبة عزوه اليها ونقله عنها وقد عني بكتابه هذا أيما عناية وهو يشتمل على ثلاثة عشر مقالاً في ٢٢٦ صفحة ضمنها تاريخ ملوك الدولة العلوية بالمغرب وعلى مقالات في تقريظ الكتاب وختمه بست فهارس للموضوعات والأعلام والصور ونوادر الكتب وغيرها

والملوك المنوه بمآثرهم في هذا الكتاب هم الذين قدم جدهم الحسن الداخل من الحجاز في المائة السابعة للهجرة — كما في الجزء الرابع من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى وكانت إقامتهم في سلجماسة الى أن بويع فيها منهم الشريف بن المولى علي الشريف الثالث سنة ١٠٤١ هـ ثم بويع ولده محمد الشريف سنة ١٠٦٩ ثم بويع سنة ١٠٧٥ اخوه الرشيد الذي تبوأ عرش الملك بفاس فابتدأ صاحب الدرر كتابه به اذ عده اول الملوك العلويين وما قبله عهد تأسيس وإنشاء ثم تتابع بعده اثنا عشر الى زمن السلطان لهذا العهد مولاي محمد بن يوسف وفي الكتاب ثمان وأربعون صورة تريك اولئك الملوك مع نماذج من خطوطهم وتواقيعهم ورسائلهم ومراسيمهم ووثائق أوقافهم كما تريك نماذج من قصورهم وآثار عمرانهم ويذكر المؤلف ما شيدوه من مدارس ومساجد ومزارات وحصون ومعاقل ودور سلاح وحدائق وقصور وجداول وجسور وملاجئ ومدن وما الى ذلك من معالم الحضارة وشواهد العمران والمؤلف تارة يسجع وكثيراً ما ينثر وقد أورد من الشعر ما زاد على سبعمائة بيت منها ما هو من نظمه ومعظمها لغيره من معاصرين ومتقدمين .

عبد القادر المبارك [1]

(١) كانت هذه القطعة آخر ما كتب الأستاذ قبل وفاته رحمه الله وقد كلف المجمع ولد الأستاذ السيد محمد المبارك أن ينقلها من المسودات التي تركها .

نظام جديد وحياة جديدة

الأداة الحكومية

تأليف الأستاذين : ابراهيم مذكور ومريت غالي

الطبعة الثانية ١٩٤٥

الكتاب يقع في ثلاث مئة وثماني وثلاثين صفحة ، اخرجته دار الفصول والنشر بالقاهرة . واذا كان الموضوع « الأداة الحكومية » موضوعاً جليلاً ، فان المؤلفين الفاضلين وفقا توفيقاً كبيراً في اختيار الأبحاث وتنسيقها ، وعرضها وتبويبها . فقد وطأا لموضوعها بمقدمة عرضا فيها ادواء الأمة ومشاكلها . فكان مما قالاه :

« ... وكيف تقبل من وزير او مستوزر ان يكون متشائماً ، وشأنه ان يخطو بنا دائماً الى الأمام ! وكيف تقبل الاستسلام الى اليأس ممن بيدهم مقاليد الامة ، اللهم الا ان كانوا يحسون انهم لا يقوون على عمل ، وليتهم يصرحون بهذا فيفسحوا المجال لمن هم أرغب في العمل منهم ، ولسنا مبالغين ان قلنا : ان روح التشاؤم هذه لم تعظم في اعيننا ولم تتجسم امامنا الا على ايدي الرجال ذوي الماضي ، ومن ساهموا في تطور هذا البلد ربع قرن او يزيد ... »

« وقد يكون للشيوخ عذرهم في تشاؤمهم ، ولكن الأمر لم يقف عندهم بل جاوزهم الى الشبان الذين هم معقد الأمل ومحط الرجاء ، فهم بدورهم متشائمون وغالون في تشاؤمهم أحياناً . فيعلنون ان المثل العليا التي ملئت بها رؤوسهم في الدروس والمدرسة لا وجود لها في الخارج ، وان كل من سبقوهم انما سارعوا الى حظهم ونصيبهم ولم يفكروا الا في انفسهم ، فجدير بهم ان يضعوا المصلحة العامة جانباً ويتجهوا نحو نفعهم الشخصي .... »

« ... ومن المغالطة ان تنكر انا تخبطنا كثيراً اثناء العشرين سنة الأخيرة ، فأقدمنا على مشروعات خطيرة قبل درسها . وهدمنا مؤسسات صالحة لأنها تمت الى شخص او حزب معاد ، وابحنا اليوم ما حرمناه بالأمس ، ولم تكن لنا سياسة

واضحة لا في هدم ولا في بناء ، وفي هذا التخبط ما يضعف ثقة الكثيرين ، ويدفع الى القول بأنا لم نتهيأ بعد للاضطلاع بأعبائنا . ويظهر ان الخصومات السياسية والخلافات الحزبية بالغت في هذا وزادته سوءاً وقبحاً ، اذ ليس منا معصوم ، والقادة والزعماء في البلاد الأخري يخطئون ويصيبون ، والفارق بيننا وبينهم ان أولئك يخطئون فيتداركون خطأهم ، في حين انا اذا زل أحدنا زلة اتخذها خصومه السياسيون فرصة للتشهير به والتحامل عليه . وربما دفعتنا الخصومة الى ان نرمي الناس بما ليس فيهم ، ونشوه الصالح ونقبح الحسن . »

« ... ومما يؤسف له ان الأمور التي حاولناها لم تنجح النجاح المطلوب ، فلم تقم الدليل على ان التغيير الذي دعونا اليه ، والاستقلال الذي نادينا به ، جاء مصدر خير وبركة شاملة كما كنا نعلن للناس من قبل » .

« ... ولم نستفد من تجربة جربناها ، ولم نتعظ باخفاق وقع فيه غيرنا ، ومضى علينا نحو عشرين سنة وامورنا موكولة الينا دون ان يكون لهذا التمرين أثر عملي يذكر ، اللهم الا انه ابان عن عيوب مستورة وكشف عن نقائص كانت خفية »

وبعد ان يعدد المؤلفان من العيوب ما أشرنا الى بعضه ، يعودان فيقولان :

« كل هذا نسلم به ، ونسلم بأن للمتشائمين عذرهم ، ولكنا نعتقد ان هذا التشاؤم اعدى عدو لأمة ناهضة . واذا قلنا تشاؤم فمعنى هذا انا نقضي على النهوض والاصلاح ، ونسد باب الأمل في الوطن والرجاء في المستقبل ، ونمحو روح التفاني والتضحية التي بدونها لا تقوم الامم ولا تحيى الدول ... »

ويشرح الاستاذان كثيراً من أدواء الأمة ومشاكلها ، من سياسية واقتصادية وصحية . ويتجهان أخيراً الى الاداة الحكومية ، يريانها الوسيلة الأولى لتحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية . فيذكران من معايبها انها اداة أبلتها الأيام ، وقد تطور الزمن ولم تتطور . ونهض المصريون فلم تجارهم هذه الأداة في نهوضهم . فهي بقية العصور الماضية : تعقد العمل ، وتسيء الى الجماهير . وسيرها بطيء ، لا يتمشى وسرعة السير في القرن العشرين . ونظرتها ضيقة محدودة ، لا تتفق وتشعب الحياة

التي نعيش فيها ، فحاجتها الى التجديد والاصلاح ، لا تقل عن حاجة اي مظهر من مظاهر حياتنا العامة .

ثم يرفع المؤلفان صوتهما في جرأة وفي حق ، فيقولان قولة خايق بأن يتدبرها كل منا : « ان سير الأعمال الحكومية قد وصل الى حد ان لم نغيره ونبدله بأنفسنا ، فأخشى ما نخشاه ان نسلم بتبديله ولو على ايدي غيرنا » .

« وعبثاً نحاول ان نتحدث عن نهوض اقتصادي ، او تقدم اجتماعي ، ان لم نأخذ أنفسنا بوسائل ناجعة ، ونظم سديدة لتنفيذ ذلك ، وان لم نتخير لمشروعاتنا الصغيرة والكبيرة رجالاً يضطلعون بها على أكمل وجه . وقد جاءت الحياة النيابية على حداثة عهدها ، فزادت الأداة الحكومية تعقيداً ، وملأت جوها بلبلة واضطراباً ، واصبحت الفوضى تتهددنا من كل جانب ان عن طريق السياسة ، او الادارة ، فأبى السياسيون الا ان يتدخلوا في كل شيء ، ويقلبوا كل وضع ، وينقضوا كل مبدأ ؛ وتهاون الاداريون في واجباتهم اعتماداً على حظوة ، وعدوا على حقوق غيرهم باسم المحسوبية » .

هذه مقاطع تخيرناها من هذه المقدمة الممتعة ، للدلالة على قيمة الكتاب وطريقته ، وعلى بيانه وأسلوبه ، ثم لانطباق كثير مما قيل فيها ، بل لانطباقه كله ، علينا أيضاً .

ويخرجان من هذه المقدمة ، الى كلمة موجزة عن « الاداة الحكومية » ، ثم الى الباب الأول في « الرقابة والتوجيه » وفيه بحث عن النظام الملكي النيابي والدستور ، والتربية القومية : وعن البرلمان ، والانتخاب ، والحزبية ، وتكوين البرلمان ، والانتاج البرلماني ، وعن الوزارة ومهمة الوزير ، ورئيس الحكومة ومجلس الوزراء ، وعن مجلس الدولة ، والقضاء الاداري ، واعداد التشريع ، والافتاء .

ثم الباب الثاني في « العمل والتنفيذ » وفيه الخدمات العامة ، وتوزيعها والاشراف عليها ، والانتاج الاداري ، وتفرعاته ، والموظفون ، وأنظمتهم وأحوالهم ، والقضاء وتوحيده ، واستقلاله ، وتنظيمه .

ويطول بنا نفس الكلام ، ان نحن رحنا نفصل هذا الذي اجملناه ، وهو تفصيل — اذا كان — فانه لا يغني عن قراءة هذا السفر الجليل ومدارسته . بقي أن نتساءل كيف يحقق هذا الاصلاح ، وكيف تطهر الاداة الحكومية من مفاسدها وأدرانها ؟

هذا ما لم يشر اليه المؤلفان، الا اشارة خاطفة — فيا أذكر — جاءت في الصفحة الأولى من التمهيد وهي : ويعنينا ان نسرد هنا عبارة كثيراً ما سمعناها وهي : «كل هذا كلام جيد ومقترحات يقرها الجميع،ولكن متى التنفيذ ومن أين يجيء ؟— »

« وفي رأينا ان وسيلة التنفيذ الأولى تكوين رأي عام قوي يقظ حول مبادئ صريحة ومقترحات واضحة ، وهذا ما رجونا ان يساهم فيه هذا البحث بنصيب . »

اني أسمح لنفسي ان اقول ، بعد ان خبرت الجهاز الحكومي عشرات من السنوات ، في مختلف من الحالات : ان المؤلفين الكريمين ، اذا كانا وفقا في وصف المرض وشرح اعراضه كل التوفيق ؛ فما احسب انهما وفقا في وصف الدواء ، فتكوين «راى عام» عمل شاق وطريق وعر طويل ، ومن يكفل هذا الرأي العام ان لا يفسد عوداً ، كما فسدنا نحن بدءاً ؟

أليس في ما وصفه المؤلفان من تهافت الأمة : شيباً وشباناً على المنافع الخاصة ، ما يقل معه الرجاء في تكوين هذا الرأي العام، وهل يكون هذا «الرأي العام» من لا يؤمن بمصلحة عامة ؟ وقديماً قال الفقهاء «فاقد الشيء لا يعطيه» ان الأمر لا يصلح الا على يد القوي العادل الذي وصفه السيد الأفغاني. نعم ! ان المصلحة العامة لتتطلب رجلاً صلب العود ، صحيح الايمان ، سليم الفهم ، واسع الادراك ، كثير المشاورة ، يتنخل الرأي ثم يستبد في تنفيذه . لا يقول : «عيبتي وكرشي» بهذا تخلص الأمم من مساقط الضعف والتفكك . والا كانت آراء عذبة ، يستسيغها الخيال ، ولا تقرها الحقيقة . تنتهي نظريات ، كما بدأت تمنيات .

عارف النكدي

العمل لمصر

بعث دولةٍ وإحياء مجدٍ

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في مئتين وست عشرة صفحة ، وضعه الأستاذ محمود كامل المحامي . ولا بد لنا — قبل ان نتناول هذا الكتاب بالبحث — من كلمة مجملة نقولها في الموضوع من حيث هو : « العمل لمصر » .

لقد اصبحت الوشائج الفكرية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب — بعد ان طوى العلم ما كان بينهن من مسافات وابعاد — مُحكمة متشابكة . فما من مذهب أو رأي ، ينشأ في بلد ، الاَّ تراجع صداه في البلد الآخر ، مهما كان بين البلدين من اختلاف في : العنصر ، واللغة ، وفي منازع الحياة ومناحيها ، لذلك قل ان يقوم اجنبي عنا بدعوة من الدعوات — ولا سيما القومية او الوطنيه او السياسية — الاَّ كان لها عندنا مستمع بل مجيب . ويكثر عدد هؤلاء المستمعين والمجيبين او يقلون ، على قدر ما يكون لهذه الدعوة من هوى في النفوس ، واستعداد لها عند اصحاب هذه النفوس .

فاذا كان ذلك كذلك ، في حق الأبعد الأجنب ، فما عسى ان يكون الأمر في « عمل لمصر » يقوم به رجل من مصر ، لبعث دولة وإحياء مجد . وأمته أمتنا : لغةً وعنصراً . وحالها حالنا : مرضاً وضعفاً . ومتى كان الداء واحداً ، فلا بد ان يكون الدواء واحداً ايضاً .

وعلى هذا ، فالكتاب ليس لمصر وحدها ، ولكنه لهذه الشعوب المبعثرة المتفرقة ، التي تجمعها هذه الأمة العربية الواحدة .

استهل المؤلف كتابه ، بأن كشف عن حقيقة النهضة القومية في مصر ، فأنكر على الأحزاب المصرية التي قامت بعد سنة ١٩٢٠ ان تكون هي التي أيقظت الشعور الوطني فقال : « فاحساس المصريين بحقوقهم ، وتمردهم على كل من يعتدي على هذه الحقوق قديم ، اقدم من أي حزب سياسي قائم في مصر

الآن ، بل ان تاريخ مصر الحديث ، ناطق بأن الزعامة التي كانت تقود المصريين الى تلك الأهداف الوطنية ، أرشد وأجرأ ، واشد ايماناً برسالتها . »

والكاتب لا يرسل كلامه هذا ارسالاً ، منقطعاً عن الدليل ، بل يضرب عليه مثلاً : موقف السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٥ ، وما كان من مطالبه القومية الصريحة الواضحة . ثم هو يمضي في تعداد هذه المواقف والمطالب ، ويعود في موطن آخر من الكتاب ، فيذكر ثورات المصريين على الفرنسيين سنة ١٧٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٠٠ . وثوراتهم على الانكليز ، وما نشب بين الفريقين من مواقع سنة ١٨٠٧ و ١٨٨٢ وثورة عرابي سنة ١٨٧٩ ونهضة مصطفى كامل سنة ١٨٩٥ ودعوة زغلول سنة ١٩١٩ . وقد عاد فنوه بهذه الحوادث تنهويهاً أرضى الحق وعزة مصر

ويمتاز المؤلف بأنه لا يؤله زعيماً ، ولا يدعو الى عبادة ثائر أو قائم ، بل يدلل على ان أكثرهم خلقتهم الثورات والحادثات ، لا انهم هم الذين خلقوها .

اعتبر ذلك في ما يقوله في سعد ، وسعد زعيم مصر الأكبر ، بل قدوة الأقطار العربية عامة: « والشعب المصري هو الذي « اكتشف » سعد زغلول فانتخبه وكيلاً للجمعية التشريعية . والشعب المصري — بقوته الجارفة — هو الذي جعل سعد زغلول زعيماً وطنياً أثناء ثورة عام ١٩١٨ . فحمله على ان يسخر مواهبه لمهاجمة اوضاع ، يشهد ماضيه بأنه كان يقرها ، في وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه الى اتجاهه الجديد » .

وما قاله عن « اكتشاف » الشعب المصري لسعد زغلول ، قال مثله عن « اكتشاف » الشعب الانكليزي لـ (تشرشل) .

نقول : اذا كان للشعب فضل في « الاكتشاف » فان للزعماء الحقيقيين فضلاً كبيراً في انهم استحقوا ان يكونوا أهلاً « للاكتشاف » وطلبة (للمكتشفين) .

وآخذ الزعماء المصريين ، بأنهم واجهوا الرأي العام من غير برنامج محدد ، وخص بالنقد منهم سعداً نفسه ، لأنه لم يكن له « الا برنامج ساذج يتلخص في شيئين : الاستقلال ، وحكم الشعب بواسطة الشعب » .

ونحن نوافق المؤلف في كثير من هذا الذي يشكو منه . ونزيد عليه فنقول : ان الشرق العربي بلاؤه بهؤلاء الزعماء ، وهم هم ضعفاً واستخذاء في كل قطر من الأقطار العربية . غير ان هذه التماثيل الجوفاء ، من الذي خلقها فسواها أصناماً ، ثم عبدها ، أليس هو الشعب نفسه ؟ !

أما ما أوخذ به سعد ، من ان برنامجه كان (ساذجاً) فلعل اكثر القائمين بالنهضات القومية يجعلون مناهجهم في مطلع دعواتهم ، مقتضبة موجزة ، تفادياً من القيل والقال ، والنقاش والجدال ، على عكس ما يفعله زعماء الأحزاب السياسية متى ألفوا احزابهم ودعوا اليها .

والمؤلف يريد اتحاداً يعيد مصر العظمى الى حدودها التاريخية ، فيتبسط في الموضوع ، ويتوسع في الحدود تبسطاً وتوسعاً ، ما يحتملها اعصاب الساسة اليوم ، ولا تطمئن لها قلوبهم ... وحبذا لو سمي هذا الاتحاد عربياً لا مصرياً ... ان المؤمنين بقضيتهم ايماناً حقاً لا يهمهم اسمي هذا الاتحاد : مصرياً ، أم شامياً ، أم حجازياً ، أم يمنياً ، أم نجدياً (وهي الأقطار التي أدخلها المؤلف في حدود مصر العظمى) وانما يهمهم الاتحاد نفسه ، غير ان الناس ليسوا كلهم مؤمنين . والألفاظ لها قيمتها في نفوس أمثال هؤلاء الناس ، وهي تفتح مجالاً للوسواس الخناس ...

وبعد ان يؤلف المؤلف هذا الاتحاد من أقطار عربية بحتة ، وبعد ان ينقل عن ابراهيم باشا انه قال : « لست تركياً ، وقد قدمت الى مصر طفلاً ، ومنذ قدومي غيرت شمس مصر دمي فجعلتني عربياً » وينقل عنه بعد ذلك قوله « ... اننا الآن ننتسب الى شعب انبل واكثر تنوراً . الى هذا الشعب العربي الذي سبق اوربة في الحضارة ، وزين تاريخه باقامة المدن الزاهرة والآثار الفخمة التي غطى بها وجه الأرض من جبال الأندلس الى وادي النيل بل الى حدود ايران » .

نعم بعد ان يقول المؤلف ما قاله ، وبعد ان ينقل ما نقله ، عن مصر ، وعروبة مصر ، وأهداف مصر العربية ، وعن تعرب من يقيم بمصر .

نعم بعد هذا كله ، وبعبارة أصح في ثنايا هذا كله ، يرفع صوته منكراً ما سماه بـ « الخرافة الأثيمة » التي تقول : « ان مصر قد ظلت منذ فجر التاريخ مستعمرة للشعوب التي غزتها ... » فيقول : ان مصر لم تكن للغازين مستعمرة بل كانت لهم مقبرة .

ويسرد في جملة ما يسرده على صحة ما يقول : « ... وقد ظلت مصر ولاية رومانية ست مئة وسبعين عاماً . انتهت بغزو العرب لمصر في عام ٦٤٠ ميلادية . فعاد المصريون يثبتون مناعتهم التاريخية ويفنون الغزاة الجدد في قوميتهم . اذ ظلت اللغة القبطية رغم الغزو العربي لغة الدواوين الى عهد خلافة الوليد بن عبد الملك . أي أنها ظلت كذلك خمسة وأربعين عاماً وتكررت ثورات المصريين في خلال حكم العرب فكان الخلفاء يحترمون ارادتهم وينفذونها »!.

ثم راح المؤلف يعدد هذه الثورات : ثورة ثورة .

ولعل في مثل هذا التردد : بين عروبة مصر ، واهدافها الكبرى ، وبين مقاومة مصر للعرب والعروبة ، تناقضاً بيناً لا يوفق بينه الا الرجوع الى التاريخ الحق . والتاريخ الحق : ان العرب اذا كانوا غزوا مصر ، كما غزاها غيرهم ، بل كما غزا كل شعب الأرض التي تديرها ؛ إذ يندر -- ان لم نقل يستحيل — ان نجد شعباً متمدناً ولد في الوطن الذي هو فيه اليوم — فان العرب يوم فتحوا مصراً ، اتخذوها دار قرار لهم ، فأصبحوا اهلها كما أصبحت كل أرض للذين فتحوها فاستقروا بها . فليس بجائز ان يقاس العرب في مصر بالغزاة الطارئين ثم ينجلون . ولو أنا قلنا غير هذا لخالفنا الواقع ، ولناقض المؤلف رأيه الذي أبداه ، وأهدافه التي يرمي اليها من وراء تأليفه . ان العرب في مصر ، اما ان يعدوا بعد هذه المئات الطوال من السنين أهل البلاد ، أم لا ؟ فاذا كذبنا انفسنا والتاريخ وعددنا العرب في مصر طرآء كسائر الغزاة ، فقد سقطت حجة المؤلف بأن مصر مقبرة الغزاة ، فمن ملك أرضاً الف وثلاث مئة سنة وتزيد ، ولا يزال يملكها وسيملكها باذن الله وقوة أبنائها العرب الى ما شاء الله ، فلا يقال ان هذه الأرض مقبرة

له . وان كان أهل مصر العرب قد أصبحوا أصحاب البلاد حقاً فلا يجوز ان يقول فيهم المؤلف ما قاله في غيرهم .

فاذا وافقنا المؤلف في ما قلناه فانا لنرجو أن يتداركه في طبعة جديدة ان شاء الله .

والأستاذ ينبه المصريين في كتابه لما بيّنه لهم الاستعمار . ويريدهم ان يعتمدوا على أنفسهم ، ويستشهد لهم بقول من قال : ان اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة الخارجية في السياسة العملية ، ان هي إلاّ مقامرة .

ويحث المصريين على العمل في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونشر العلم ، ورفع مستوى السواد الأعظم من المصريين ، وهم صغار الملاك وصغار العمال ، ويشير الى الادارة الحكومية والى مواطن الخطأ والضعف فيها . ويدعو الى اصلاحها .

والكتاب صحيح اللغة واضح العبارة ؛ إلا هفوات قد لا يسلم منها كتاب .

ع . ن

سياسة الفد

برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

وضعه الأستاذ مريت بطرس غالي

وهو يقع في مئة وسبعين صفحة ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب ، أخرجته مطبعة الرسالة بمصر . ويدل هذا الكتاب على ما دل عليه الكتابان السابقان « الأداة الحكومية » و « العمل لمصر » من ان في مصر نهضة فكرية جديدة ، أخذ يشعر القائمون بها ، الداعون اليها ، ان الشرق العربي — وفي طليعته مصر — يجب ان يعدل عن أساليبه العتيقة ، وينتهج في الحياة منهجاً جديداً ، يتفق والعصر الحاضر ، ومتطلباته المتعاقبة والمتطورة .

وصف المؤلف الفاضل بكلمات موجزات حالة مصر — وهي حالتنا نحن العرب كافة — فقال : « شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف في النظام السياسي والقومي ، ومظاهر التفكك الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على

الأخص اهتماماً عظيماً بشا كنا الداخلية في جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفي حديث الناس عامة ، وترجع هذه الظاهرة الجديدة في حياتنا القومية — على ما أظن — الى انا أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا الى عصر جديد في تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن في أيدينا ، وليس لأحد سوانا ان ينظمه أو يكونه ، وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شؤوننا الداخلية الى حد ما ٠٠٠ وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشؤون الخارجية الى الشؤون الداخلية ، فوجدناها في منتهى الضعف والتقهقر » ٠

« وحالة مصر في الحقيقة لا تدعو الى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر في الحياة القومية ، وازمة محققة في الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل في القريب العاجل الى الحد الأقصى من الخطورة ٠ وليست تلك العوامل بخافية على أحد »

« ٠٠٠ زد على ذلك ان عدم الاستقرار السياسي والاداري يجعل الوزارات التي تتوالى على كراسي الحكم غير قادرة على ان تعد برنامجاً للاصلاح والتقدم » الى أن يقول :

« واذا كانت سماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألا نرهب هذا ونخشاه ، ولنطمئن على كل حال الى ما في قلوب المصريين من عز وشهامة واخلاص في خدمة الوطن » ٠

انتهى المؤلف من هذا العرض والوصف ، الى برنامجه الاصلاحي : الشؤون السياسية والادارية ، وهي مباحث الباب الأول ، تناول فيها النظام النيابي ، وسوء استعمال الحكم النيابي ، وتكلم عن الادارة ، وعن الرأي العام ، وعن أعمال الحكومة والخطط العامة ٠

وفي الباب الثاني ، عالج المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، وبحث عن الثروة الزراعية ، ومستوى المعيشة ، ونقص التغذية ، وانتشار الأمراض المتوطنة ٠

والباب الثالث جعل موضوعه الخطط الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه هي الناحية العملية في الموضوع ، وهي أكثر ما تهمنا منه ٠ غير ان هذه الخطط لا تخرج عن

انها أبحاث علمية قيمة ، ولكنها لا توصل الى الحل العملي الذي أصبح الناس في أكثر هذا الشرق العربي يرجونه ويتطلعون اليه .

لقد عُرف الداء ووُصف الدواء . فكان ماذا ؟

كان أن انقضت السنون على طبع هذا الكتاب ، ونشر ما فيه من الرأي الصواب الذي كان من حقه أن يحدث تطوراً اجتماعياً في الحياة السياسية المصرية ثم العربية . فلم يكن شيء من هذا ، وظللنا حيث كنا ؛ نؤلف الكتب وننشر الآراء ، وننظر الى جيل جديد لانعرف متى يجيء ، وما عسى أن يكون منه ؟

ان الأنظار العلمية ، والاحصاءات ، والمقارنات والمقايسات شيء حسن لا بد منه ، ولكنه لا ينفذ من ذات نفسه ، الا اذا تقدم المخلص الجبار فأخذ الأمة بشدقيها يباعد بينهما ، ثم يفرغ الدواء في جوفها شاءت أم أبت . ولا نذهب بعيداً في التمثيل على رأينا بأن الاصلاح لا يقوم بالكتابة والخطابة وحدهما ، بل نستعير قول المؤلف نفسه : « ونشعر ونحن نسطر هذه العبارات انها ليست جديدة بل امتلأت بها أعمدة الجرائد السياسية ولا يزال يرددها الكتاب والخطباء حتى ابعد الناس عن التمسك بها والسير على مقتضاها » .

أما الباب الرابع فخصه المؤلف بالدفاع الوطني ، والباب الخامس بالشعور القومي ووسائل التربية ، وفي هذين البابين من المباحث القيمة ، والآراء السديدة ، ما يخلق بالجيل الحاضر أن يطلع عليه ، وبالجيل الناشئ أن يتدارسه .

فلهؤلاء المؤلفين الفاضلين الشكر على ما أتحفوا به الشعب المصري خاصة ، والأمة العربية عامة من هذه الكتب الممتعة .

ع . ن

تاريخ المشايخ اليازجيين وأصهارهم

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل

وضع الأستاذ المعلوف هذا التاريخ في كتيبين من القطع الصغير يقع كل

منها في ما يقرب من مئة وخمسين صفحة - اختصرهما من كتابه المطول (القرن التاريخية في الأسرة اليازجية) وقد حرص المؤلف كل الحرص على أن يجمع في هذين الكتيبين ما اتصل به من قولة أو نكتة نسبت لأحد الذين ترجم لهم ، أو شعر أهمله قائله أو نسي أن يدونه مدونه .

لذلك جاء في هذا الشعر ، ولا سيما ما نسب منه الى اليازجي الكبير الشيخ ناصيف ، الغث والسمين ، بل غلب فيه غثه سمينه .

ونحن نشكر للمؤلف عنايته بوضع هذين الكتيبين تنويهاً بذكرى الأسرة اليازجية التي لها اليد البيضاء في خدمة اللغة العربية .

ع . ن

وادي الفرات ومشروع سد الهندية

تأليف الدكتور احمد سوسة

طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٥ فجاء في ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وادي الفرات » النفيس . فقد بحث المؤلف في الجزء الأول منه عن الفرات من منابعه الى بحيرة الحبانية . وبحث في هذا الجزء عن الفرات من الرمادي شمالاً الى سد الهندية جنوباً . وذكر ان الجزء الثالث سيشتمل على شؤون هذا النهر العظيم من سد الهندية الى شط العرب . أما الجزء الرابع فسيعالج مشروعات الاسقاء بمياه الفرات في المستقبل .

ان من يقرأ الجزء الثاني من هذا الكتاب بإمعان يحكم بطول باع المؤلف في شؤون الاسقاء وهندسة المياه ، فهو قد قضى خمس عشرة سنة مهندساً للري في العراق فاستطاع ان يتمثل هذه الموضوعات درساً ولذلك سد كتابه هذا فراغاً كبيراً في لغتنا الضادية .

وقد تناول المؤلف بالبحث أهم الجداول التي تشتق من الفرات بين الرمادي وسد الهندية ، كجدول الصقلاوية (وكانت العرب تسميه نهر عيسى) وجدول ابي غريب

(وكان اسمه نهر صرصر) وجدول اليوسفية ، وجدول اللطيفية ، ثم ذكر مشروعات المهندس الشهير ولككس ، وتطورات مجرى الفرات في التاريخ ، وأنهى الكتاب بدراسة سد الهندية وما ينشأ عنه من الأنهار والجداول .

وفي الكتاب رسوم وصور وخارطات كثيرة . ولغته حسنة في الجملة ، لكن فيه مصطلحات لا نوافقه عليها ، منها قوله مثلاً سدة الهندية بدلاً من سد الهندية ، فالسد اسم يدل على المسناة ، أي ذلك الحاجز الذي يقام في وجه النهر اما لتخفيف سرعة مياهه ، واما لخزن تلك المياه . وليس السد هنا مما يجوز ان يصاغ منه مصدر على وزن فعلة للدلالة على المرة . ولم ترد السدة بالتاء بمعنى المسناة . ولم استسغ قوله « زمن الصيهود » ولو قال « زمن الضحْل » لكان أصلح . والضحل رقة الماء في النهر والغدير وغيرهما . وهو أيضاً اسم يدل على الماء القليل ليس بذي عمق ج أضحال وضحال وضحول .

ومما وضعناه أو حققناه في « معجم الألفاظ الزراعية » من المصطلحات المتعلقة بالمياه : صَبيب بمعنى Débit وسِكْر بمعنى Vanne ومَشْبَرة بمعنى Emissaire وهي القناة الأساسية لصرف الماء ، والسَرَب (ج أسراب) بمعنى Collecteur وهو القناة التي تتلقى الماء من المصارف Drains وتسيلها الى المشبرة ، والقناة والترعة بمعنى Canal والسَرِيّة والفَلَج بمعنى Rigole ، والخليج والجَدْول بمعنى الكبير من الفُلجان أي Rigole principale الخ . فمن الضروري أن تتوحد هذه المصطلحات وسائر المصطلحات العلمية في بلادنا العربية .

مصطفى الشهابي

الاصلاح الزراعي

طبع في مطبعة مصر وجاء في ٩٧ صفحة من القطع الصغير

هذا كتاب صغير في حجمه كبير في نفعه ، أصدره السيد مريت غالي من « جامعة النهضة القومية » في مصر ، وهم عصبة من رجال الاصلاح يتناولون في ابحاثهم نواحي شتى من مرافق الحياة المصرية ، ويعالجون طرائق اصلاحها في كتب يصدرونها على الناس منها هذا الكتاب الثمين .

والاصلاح الزراعي في مصر من أهم الموضوعات المتصلة بالمجتمع المصري . فأراضي مصر الزراعية قد ضاقت بسكانها ، وهي موزعة توزيعاً لا عدل فيه ، ذلك بأن الملكية الكبيرة تبلغ ٣٧ ./. من مجموع الأرض الصالحة للزراعة ، أي ان ما ينيف على مليوني فدان مصري من تلك الأرض (وجملتها قرابة ستة ملايين فدان[١]) تتألف من أملاك كبيرة يملكها أفراد ليس عددهم بالكبير . أما الأملاك الصغيرة التي يملكها الفلاحون ولا يزيد واحدها على خمسة فدادين فمساحتها دون مليوني فدان .

وقد نشأ عن ازدياد سكان القطر ضرورة ملحة لاصلاح زراعي يتناول ملكية الأرض وايجارها والعمل فيها ، وهي الموضوعات الثلاثة التي عالجها المؤلف في كتابه .

ففي الموضوع الأول يرى تقييد الملكية الكبيرة بأن يكون الحد الأعلى لها مائة فدان مصري ، فلا يجوز للشخص الواحد ان يبتاع اكثر منها . وليس من رأي المؤلف ان تعمد الحكومة الى شراء الأملاك الكبيرة الحاضرة جبراً ، وبيعها من الفلاحين على أقساط (وهو ما تم في بعض البلاد الأوربية) ، بل من رأيه ان تترك هذه الأملاك لأصحابها ، فتتلاشى مع الزمن بانتقالها الى الورثاء ، ما دام كل شخص يملك ملكاً كبيراً يكون بحكم القانون المقترح غير قادر على تزييد مساحته بطريقة الفراغ أي الشراء .

ويرى المؤلف ان ثلاثة أفدنة مصرية تكفي لمعيشة فلاح وأسرته فتكون هذه المساحة حداً أدنى للملكية الصغيرة . ومن رأيه الغاء الأوقاف الذرية ، وحصر أملاك الدولة وأملاك الشركات العقارية الزراعية على ايجاد الملكية الصغيرة ، وإجمال القطع المجزأة على حسب الطريقة التي تتبعها مصلحة التأريف (المساحة) في ديار الشام . وجميع هذه الآراء حسنة وتطبيقها غير صعب على من عندهم مضاء في العزيمة .

أما ما نرى فيه صعوبة فهو رأيه في اتخاذ حد أعلى لأجرة الأرض وحد أدنى لأجرة العامل الزراعي . والصعوبة منبعثة من كون ازدياد السكان في مصر

(١) الفدان المصري أربعة دونمات نظامية وعشرون في المئة من الدونم أي (٤٢٠٠) متر مربع .

يفوق كثيراً ازدياد الأرض التي تجهز للفلاحة في ذلك القطر الشقيق . ولهذا لا بد في هذا الأمر ان يعمل قانون المزاحمة عمله او ان يبقى قسم من الفلاحين بلا عمل . ومهما يكن الدواء الذي ورد في ذلك الكتاب الثمين مفيداً وناجعاً وضرورياً فهو في نظرنا لا يحول دون حاجة الفلاح المصري في المستقبل الى مهجر يعمل فيه كالسودان المصري والعراق والجزيرة ، اللهم الا اذا تمكنت الحكومة المصرية من ايجاد ارض زراعية جديدة في القطر المصري نفسه .

وبعد اني انصح كل رجل يعنى بالشؤون الزراعية ان يقرأ هذا الكتاب النفيس .

م . ش

جغرافية شبه جزيرة العرب

تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع في مطبعة الترقي بدمشق

سنة ١٣٦٤ — ١٩٤٥ ص ٥٩٧ (القطع الكبير)

اعتمد الأستاذ كحالة في تأليف كتابه على مصادر شرقية وغربية منها القديم ومنها الحديث فدلّ على سعة نفس ودؤوب محمود . وقد قام بواجب نحو قراء العربية فأخرج لهم كتاباً جامعاً شتات المعلومات المتفرقة عن الجزيرة توسع في النقل وقد يورد النصوص برمتها او يكثر من شرح اشياء في الحاشية ليست داخلة في الموضوع . وحبذا لو جرى قلم مؤلف هذه الجغرافية في كتابة مختصر لهذا الكتاب تحذف فيه الأسانيد أو اكثرها ويكتفي من النقول بما يتعلق بجغرافية الجزيرة مباشرة حتى يتناول الكتاب كل من يحب الانتفاع به في وقت قليل . وقد جوّد المؤلف في وضع فهارس لكتابه كفهرس البلدان والرجال والشعوب والقبائل والمذاهب والحكومات والكتب . فسهل بذلك على المراجعين فشكراً له على ما بذل من العناية بهذا التأليف الطريف .

محمد كرد علي

ديوان الغزي (مخطوط)

هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٥٢٤ كان له في عصره شهرة ذائعة وصيت بعيد عرف أدباء تلك العصور مكانته واعترفوا بتفوقه وشهدوا ببراعته . وتناقلوا شعره في كثير من كتبهم واستشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره ومعانيه البديعة وحسن صناعته الشعرية .

وترجمه معاصروه واهل قرنه واثنوا عليه واول هؤلاء على مارأيته الامام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ في تاريخه الكبير ، والامام الأديب ابوالبركات عبد الرحمن الأنباري في نزهة الألباء . والعماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ في خريدته وتلا هؤلاء ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ فقد نقل شيئاً من شعره في معجم البلدان وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في تاريخه الكبير المعروف بالكامل . والحافظ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ في تاريخ بغداد وابن خلكان في وفيات الأعيان . وذكره من أهل القرن الثامن ابو الفدا في تاريخه المشهور والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية . ومن اهل القرن الحادي عشر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب . والأديب محمد العرضي الحلبي في مجموعته الخطية .

ثناء الأدباء عليه وعلى شعره واستشهادهم به

قال الأنباري في النزهة : واما ابواسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي فكان أحد الفضلاء ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر ومحاسن شعره كثيرة فمنها قوله :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم   باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلا   والشعر طيب لا يحل لمحرم

ومنهـا قوله :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة[1]   باب الدواعي والبواعث مغلق
لم يبق في الدنيا كريم يرتجى[2]   منه النوال ولا مليح يعشق

(١) في ابن خلكان وفي ديوانه : قالوا هجرت الخ .
(٢) في ديوانه وأماكن متعددة هكذا : خلت الديار فلا كريم يرتجى

ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ثم قال : وكان ابو الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم الطبري الأديب يقول غير مرة في المذاكرة اذا استحسن شيئاً من شعر نفسه · هذا يشبه شعر الغزي ·

وقال ابن خلكان في ترجمته : ذكره ابن النجار في تاريخ بغداد · وابن عساكر في تاريخ دمشق · والعماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال انه جاب البلاد وتغرب واكثر النقل والحركات وتغلغل في اقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها ولقد ابدع فيه :

حملنا من الأيام مالا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا

ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف :

وليل رجونا ان يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

ثم قال وله في القصائد والمطولات كل بديع · ومن شعره وهو مما يستملحه الأدباء ويستظرفونه قوله من جملة قصيدة :

اشارة منك تكفيني واحسن ما رد السلام غداة البين بالعنم

حتى اذا ضاع منها القرط من دهش والحل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

وقال ابو الفدا في حوادث سنة ٥٢٤ وفيها توفي ابراهيم بن عثمان الغزي · ومولده سنة ٤٤١ وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي أولها :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

ومنها : في فتية من جيوش الترك ماتركت للرعد كراتهم صوتاً ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وقال العماد الحنبلي في الشذرات في وفيات سنة ٥٢٤ وفيها ابو اسحاق الغزي ابراهيم بن عثمان شاعر العصر وحامل لواء القريض وشعره كثير قاله (الذهبي) في العبر · وقد اكثر الصلاح الصفدي من الاستشهاد بشعره في مواضع كثيرة

من شرحه للامية العجم · وجاء في آخر معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص للعلامة عبد الرحيم العباسي في شرح قوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

البيت من الطويل ونسب لأبي العلاء المعري ونسبه ابن فضل الله لأبي الطيب المتنبي ولم أره في ديوان واحد منهما والشاهد فيه حسن الانتهاء · اهـ

اقول البيت ليس لواحد من هذين · وهو لصاحبنا الغزي وهو موجود في ديوانه المخطوط الآتي ذكره · وهو آخر بيت من قصيدة يمدح بها مكرم بن العلاء مطلعها :

قلوب الورى اسرا كهن الشمائل وشهب العلا افلا كهن الفضائل

على ان العباسي نفسه انشد للغزي بعد اسطر من هذا الباب قوله :

بقيت بقاء الدهر ما ذر شارق وغار جديد المكرمات وانجدا

ديوانه

في رحلتي الى اللاذقية من نحو ١٥ عاماً زرت نقيب اشرافها الفاضل الشيخ محمد محاسن الأزهري قاضي الموصل قديماً فمن جملة ما وجدته في مكتبته القيمة نسخة مخطوطة من معجم البلدان لياقوت · ونسخة مخطوطة من ديوان ابي اسحاق الغزي وقيدت ذلك عندي · ومنذ ثلاث سنوات حضر أحد انجاله الى حلب فأعربت له عن رغبتي في استنساخ هذا الديوان · فذكر ذلك لوالده فكان المنعم المتفضل بإعارته وارساله مع ولده · وقد كتب قديماً على ظاهره بخطه الحسن · استنسخه الفقير محمد بن خالد بن خليل الأزهري الحسيني اللاذقي النائب في مركز ولاية الموصل عفا الله تعالى عنهم في ٢٢ محرم سنة ١٣١٨ · وتحت ذلك بخطه ما نصه :

استنسخ ولم يقابل على الأصل لما فيه من التحريف والتصحيف · فعلى هذا النسخة محررة في الموصل عن نسخة هناك · ويظهر انها منقولة عن النسخة التي هي في مكتبة امين بك بن ايوب بك الجليلي وهي مكتبة خاصة ذكرها الدكتور

الفاضل داود الچلبي في كتابه مخطوطات الموصل وقال ان من جملتها ديوان ابي اسحق الغزي (تام محرر سنة ٩٩٤) ولم يذكر غيرها في مكتبات الموصل .

اشتغالي بهذا الديوان

رتبت هذا الديوان على حروف الأبجدية ثم كنت ناسخاً باستنساخه على مقتضى ترتيبي له على ما فيه من تحريف وتصحيف والقصد من ذلك ان تسهل علي مقابلة ما اجده من شعره في ترجمته المذكورة في تواريخ متعددة وما اعثر عليه في كتب الأدب كشرح الصلاح الصفدي للامية العجم فقد أكثر فيه من شعره وكمجموعة مخطوطة عندي مخرومة الأول والآخر للأديب الشيخ محمد العرضي الحلبي فقد ذكر له سبع صحائف .

على ان الغزي وان كان قد تنوسي في القرون الأخيرة فقد تنبه له في عصرنا هذا فاضلان جليلان الأول الشاعر الكبير السيد محمود سامي باشا البارودي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ فانه ذكر صاحبنا في مختاراته التي جمع فيها ما اختاره من شعر ثلاثين شاعراً من فحول الشعراء سردهم في خطبة كتابه . ذكر له في الجزء الأول في باب الأدب ١٢٥ بيتاً وفي الجزء الثالث في باب المديح ٧٨٥ بيتاً وفي الجزء الرابع ١٠٥ المجموع ١٠١٥ بيتاً .

الثاني صديقنا وزميلنا الفاضل الأديب الشيخ بهجة الأثري البغدادي فقد كتب عنه مقالة ضافية في مجلة الزهراء المصرية (ج ٤ م ٣) ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ أي منذ تسعة عشر عاماً . قال في مطلعها منذ ثلاثة أعوام تقريباً اطلعت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره وعلقت منه في ذهني أبيات رقيقة لم يكد يمحوها من صحيفة ذاكرتي كر الغداة ومر العشي فكانت سبباً لاثارة البحث عن قائلها ونشر صحيفته بعد ان طوتها يد الدهر منذ أزمان . ثم بعد ترجمته التي نقلها عن ابن الأثير في كامله وعن ابن خلكان قال : اما نسخة الديوان التي بيدنا فهي سقيمة الخط كثيرة الغلط ولعل عمرها لم يبلغ قرناً واحداً . وهنا علق صديقنا الأديب الجليل السيد محب الدين الخطيب على هذه العبارة ما خلاصته : ونحن لاعجابنا بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع بحثنا عن ديوان الغزي في القاهرة فوجدنا نسخة منه في خزانة علامتنا الجليل الأستاذ احمد تيمور باشا والنسخة كتبت سنة ١٢٧٦ هـ . وصفحاتها ٢٢٣ واسطر الصحيفة ٢٥

ثم ذكر السيد الأثري خطبة النسخة البغدادية للناظم وقد جاء في آخرها : وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره الف بيت . وكذلك يقول لنا ابن خلكان : وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته انه الف بيت . والنسخة المصرية كما ترى تبلغ ٥٥٠٠ بيت . وقد جاء في خطبة النسخة التي نقلنا عنها نسختنا . وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره نيفاً وخمسة آلاف بيت الخ وهي في ١٦٥ صحيفة كل صحيفة ٣٣ سطراً فيكون المجموع نحو ٥٥٠٠ بيت كالنسخة المصرية . فعلى هذا تكون كلمة خمسة قد سقطت من تاريخ ابن خلكان ومن النسخة البغدادية .

على ان السيد الأثري قال . وقد جد بنا الحرص على احصاء ابيات نسختنا فاذا هي تنيف على (١٣٥٠) بيتاً اهـ ولعل الناظم او غيره اقتضب من الديوان هذا المقدار وعلى هذه النسخة اطلع ابن خلكان وغيره وذكر ان ديوانه في الف بيت ان لم تكن كلمة خمسة قد سقطت من تاريخه . والنسخة الموصلية التي هي أم نسخة اللاذقية . والنسخة المصرية اتفقتا على ان ديوانه ازيد من خمسة آلاف بيت . ثم أورد السيد الأثري في مقالته سبع صحائف من شعره . ثم قال وفي الجملة فان جل هذا الديوان ان لم أقل كله درر وغرر تشهد للغزي بالبراعة في الصناعة ولو لم يكن فيه سوى ماأزجيناه بين يديك من المقاطيع السحرية والأبيات السائرة لكفى .

فما في هذه المقالة من شعره وما في مجموعة الأديب العرضي الحلبي وما في مختارات البارودي وما في ترجمته في عدة مواضع وما في شرح لامية العجم وما في المعجم لياقوت كل ذلك قابلته على النسخة التي استنسختها وصححته بقدر الامكان وذلك يقرب من نحو نصف الديوان . ووجدت له فيما تقدم احدى وثلاثين بيتاً لا وجود لها في نسختنا فأثبتها في الآخر مع العزو الى الكتاب الذي وجدت فيه .

وفي دار الكتب المصرية نسخة تحت رقم (١٢٢) في قسم الأدب بقطع الربع في (١٢١) ورقة بخط معتدل الى الجودة أقرب وعلى حواشيه تفسيرات وتوضيحات تفيد أن قارئه أو مالكه كان على علم باللغة والشعر . وخط الديوان واحد من أوله الى آخره بخط عمر بن محمد مشعل العلوي فرغ منه سنة ١٠٩٩

ولاعادة النظر فيما صححناه ولتصحيح الباقي نحتاج الى النسخة المصرية ليكون هذا الديوان صالحاً للنشر وليستفاد من غرره ودرره .

(حلب) محمد راغب الطباخ

آراء وأنباء

انتخاب عضو عامل

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ الدكتور حسني سبح رئيس الجامعة السورية عضواً عاملاً في المجمع مكان المرحوم الأستاذ أديب التقي . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقم ٨١ مؤرخ في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦

القنبرة فارسية الأصل

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها العشرين ص ٣١٠ و ٤٠٧ مقالة للعلامة عبد القادر المغربي عنوانها (قنبرة ؟ قنبلة ؟) قصد فيها البحث عن منشأ هاتين الكلمتين وانتهى في بحثه الى انها فرنسية الأصل من كانوبور محرفة ومقلوبة من بور و كانون Bourre de canon حسب الاضافة التركية فأردت أن أبين منشأ كلمة قنبلة أو قنبرة الحقيقي ، موقناً ان الأستاذ لا بد أن يسر بالأبحاث التي تؤدي الى الحقائق اللغوية وان جاءت مخالفة لرأيه . وخاصة بعد أن أظهر في مقالته انه غير متأكد مما ذهب اليه ، فقد قال في ص ٣١١ : « فالقنبلة اذن سيبقى اسمها على جهالة أصلها وغموض نسبها متمكناً في السنتنا . الخ » وقال في ص ٤١٥ : « ذلك ان نبقى متمسكين به [بما ذهب اليه] ما دمنا لم نجد قولاً أقوى ، ونقلاً أرضى . حتى اذا وجدناه جنحنا اليه وعولنا عليه » .

فأبادر الى القول ان اصل خمبرة وخنبرة وقومبارة وقمبرة وقنبرة وقنبلة هو (خمبارة) الفارسية . وهذه مركبة من كلمتين : (خُم) بضم الخاء المعجمة واسكان الميم ، (وبارة) . فإن من معاني خم الحب وهو الزير والخابية . وكلمة حب نفسها محرفة من خم ، أو من كلمة (خُمْب) بضم الخاء واسكان الميم والباء وهو الزير

الكبير ، والدن ؛ أخذها العراقيون من الفرس بحكم المخالطة والجوار وحرفوها الى حب . ومن معاني خم أيضاً نقّارة كبيرة من شَبَه كانوا يضربونها في الحروب . وأما بارة فمن معانيها السور وجدار القلعة . فيكون معنى خمبارة حب السور ، أو قل نقارة السور ، سموها بهذا الاسم تشبيهاً بالحب أو بالنقارة لأنهـا مجوفة وأضافوها الى السور لأنها ترمى من على الأسوار للدفاع عن القلاع والمدن أو تضرب بها الأسوار والقلاع لهدمها . او لأنها عند انفلاقها يسمع منها صوت كصوت النقارة الكبيرة عند ضربها . وأرجح أنها مأخوذة من المعنى الأول أي من معنى الحب . وظهر لي ان الفرس أنفسهم خففوا كلمة خمبارة فقالوا (خمبرة) وأرادوا بها الزير الصغير وقذيفة المدفع هذه المجوفة هكذا وجدت في الترجمة التركية للمعجم الفارسي المسمى (برهان قاطع) . ولا أرى حاجة الى بيان انتقال كلمة الخمبارة الى ان صارت قنبلة فهو مفهوم من كلام الأستاذ نفسه . وأقرب الكلمات الى الأصل الخمبرة .

كانت الخمبرة تصنع من حديد ويملأ جوفها من فوهة فيها بالبارود وبقطع حديد وكرات صغيرة من الحجارة وما أشبه ، وكانت توضع لها فتيلة وتقذف بمدفع هاون . وكانت الغاية من استعمالها السحق والهدم بجرمها ونشر مرميات كثيرة عند انفجارها واحداث الحريق من اشتعال بارودها . ولذلك ورد في كلام الأمير حيدر الشهابي الذي نقله الأستاذ المغربي قوله : « وقد ضرب من عكا قنبرة وفقعت ثلاث عشرة كلة » .

وأما الكلة فكانت كرة مصمتة ، وكانت تصنع من الحجارة ، ثم صنعت من حديد أيضاً . وكانت تقذف بمدفع أملس الداخل والغاية منها الهدم فقط . حتى اذا ما اخترعت المدافع المحززة الداخل بطل استعمالها .

نرى في كلام حيدر الشهابي قوله : « وصارت القنابر والكلل تتساقط على القلعة مثل المطر » وقوله : « في ليلة واحدة انجاب اثني عشر الف قطعة من كلل وقنابر » وقوله : « وجد ابراهيم باشا في يافا كلل ٧٠٠٠ ، قنابر ٢٠٠ » ومثله قول

الخواجا نيقولا الترك : « الكلل والقنابر » و « اندفقت عليهم الكلل والقنابر » .
فلو كانت الكلة والقنبرة شيئاً واحداً لاكتفى هذان المؤرخان بأحد الاسمين .
فكان على الباحث التفريق بينهما .

وعلى ذكر الكلل اقول جاء في مقالة الأستاذ أنه يرى ان اسم كلة أتى من مشابهتها الكلة التي تلعب بها الصبيان ، وان بعضهم يراها مأخوذة من كله المخففة من كلاه وقال آخر انها محرفة من كلمة كرة العربية . أقول ان كلمة كلة ، سواء فيها الكرة الصغيرة التي يلعب بها الصبيان وقذيفة المدفع المصمتة ، هي من (جُلَّة) الفارسية بضم الجيم وتشديد اللام وفتحه واظهار الهاء ، ومعناها كرة . ومنها الجلاهق . وكأنها جمع جلة . جاء في القاموس : الجلاهق كملابط البندق الذي يرمى به وأصله بالفارسية جلة وهي كبة غزل . اهـ . وأنا لا أشك في أن كرة ، التي نظنها عربية ، هي أيضاً محرفة ومعربة من جله .

أما كلة المدفع فيقابلها بالفرنسية boulet ، وأما boule فتطلق على كل جسم كري . والخمبرة هي الـ bombe . وأما القذيفة فيقابلها projectile وتطلق على كل ما يقذف ، سواء أقذف باليد أم بالمقلاع أم بالقوس أم بالبندقية أم بالمدفع أم بالرشاش أم بغيرها . فيجب تخصيص اسم لكل نوع من القذائف على حدة .
والطلقة أو الاطلاقة يقابلها coup ، و bourre هي الدكة .

ذكر الأستاذ انه لم يجد كلمة قنبلة في المعاجم الفارسية . هذا شيء طبيعي ، لأن قنبلة ليست فارسية ولو أنها فارسية الأصل . فلو فتش عن كلمة خمبارة أو خمبرة لوجدها .

وقال انه سأل أحد أفاضل الايرانيين هل كلمة قنبلة فارسية ، فاجاب كلا ليست فارسية . حقٌ للايراني ان يجيب بالنفي على هذا السؤال . لكن لو كان سأله : ماذا تسمون بالفارسية قذيفة المدفع المجوفة القديمة التي كانت تصنع من حديد وتحشى بالبارود وقطع الحديد وصغار الكرات ؟ لأجاب : خمبرة .

الموصل الدكتور داود الجلبي

كل ما استفدناه من كلام الدكتور الفاضل أنه أعرب عن رأيه الشخصي في ان كلمة (خمبرة) فارسية وان أصلها (خمبارة) : (خم) بمعنى خابية و (بارة) بمعنى سور القلعة · فالخمبرة معناها خابية السور · وقد أطلقها الايرانيون على قذيفة المدفع · واتفق لي ان اجتمعت بالدكتور حشمت معين الإيراني فسألته عن فارسية خمبرة : فقال إننا معشر الايرانيين نستعملها منذ نحو قرنين في الشعر والنثر ولا نعلم من أية لغة جاءتنا ولا ما هو أصلها بالتحقيق فكان يحسن بالدكتور الجلبي أن ينقل الينا رأي علماء ايران في هذه الكلمة ولا يكتفي بقوله سموها · وما نقله عن (برهان قاطع) إنما أفادنا ان (خمبرة) تطلق على الزير الصغير وعلى قذيفة المدفع وقد سكت عن بيان أصلها · ولقائل ان يقول إن سكوته يشعر بأنها فارسية ما دام معجمه انما وضع لتدوين الكلمات الفارسية · ونرد هذا بأن شمس الدين سامي ذكر في معجمه كلمة (خمبرة) ولم يشر الى أنها فارسية برمز (فا) ولا عربية برمز (ع) فدل على أنها تركية لأن معجمه إنما دوّن فيه الكلمات التركية · وربما ذكرت المعاجم العربية أيضاً كلمة (قنبرة) التي هي أخت (خمبرة) وفسرتها بقذيفة المدفع ولم تشر الى أصلها بل ان بعض كتاب العرب يدعي بأن قنبلة عربية مأخوذة من معنى جماعة الخيل - وان قنبرة عربية أيضاً مأخوذة من اسم الطائر · فاللغات الثلاث إذن تدعيها بادئ بدء · واذا حققت مع أربابها طالباً الدليل على قولهم انتهى الجدل مع كل منهم الى أنهم يعدّونها بين الفاظ لغتهم لكونها دخيلةً مستعملةً في منثورهم ومنظومهم · أما أصلها فلم يتصدَّ له أحد على ما نعلم كما تصدينا نحن بتفصيل مسهب شرحنا فيه الظروف والمناسبات التاريخية التي نشأت في خلالها كلمات (قنبلة وقنبرة وخنبرة)

وياليت زميلنا الدكتور أشار الى كيفية نشوء (خمبرة) في لغة الفرس وتولدها على ألسنتهم وأسنة اقلامهم · وفي أي عصر نبتت · وعلى أية طريقة وقع التوليد فيها · وما هي الظروف التي جعلت علماء ايران يشتقون ويتجوّزون · وضباطهم وجنودهم يلفظون ويستعملون · مع ان الذين أخذنا عنهم القنابر وصنع القنابر ليسوا من الترك ولا الفرس ولا العرب · وقد حملوا الينا القنبلة أو (القنبرة) وحملوا معها اسمها بلغتهم فتلقفناه منهم · وأفرغه كل منا — ترك وعرب وفرس — في قوالب لغته · وجرسّ لهجته · وما ذكره الدكتور رأي من جملة الآراء في أصل (خمبرة وقنبرة) ليس هو بالقول الفصل · وإن دلّ على سعة العلم والفضل ·

المغربي

تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها)

أخذ الدكتور الفاضل أسعد طلس بنشر مقاله الممتع « دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها » الذي أشبعه بحثاً وتدقيقاً في مجلة المجمع العلمي العربي وقد اجاد وافاد وقد وقفتُ أثناء مطالعتي على بعض أمور تحتاج الى التعليق على هذا البحث النفيس فجئت بهذه الملاحظات خدمةً للعلم والأدب وإتماماً للعمل الجليل الذي قام به فأقول :

١ — خزانة الكتب التي بضاحية سلوان

جاء في المجلة (م ٢ ص ٢٣٩) ان في ضاحية سلوان خزانة غنية يربوعدد كتبها على أربعة آلاف قد يكون بينها مخطوطات قيمة وان صاحب تلك الخزانة هو الشيخ محمود اللحام .

ويظهر ان الدكتور الذي لم تُتح له زيارة الخزانة ولا الاطلاع على كتبها اعتمد رواية بعض الذين أخطأوا في تحقيق اسم صاحب الخزانة فنقلها كما تلقاها عنهم ولا لوم عليه ولا تثريب في ذلك . اما الخزانة فهي للشيخ محمد جمعة النجار واعظ السجن المركزي في بيت المقدس وقراها وهي تشتمل على المقدار المذكور الا انها تقتصر على الكتب المطبوعة وليس فيها شيء من المخطوطات كما ذكر لي صاحبها ذلك .

٢ — دار كتب المسجد الأقصى وربعة سلطان المغرب

وصف الدكتور الربعة الشريفة التي كان خطّها بيمينه علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرّيني ملك المغرب سنة ٧٤٥ في ثلاثين جزءاً ويظهر ان الدكتور لم يطلع على أن خمسة أجزاء من هذه الربعة المكتوبة في الرّق قد فُقد فوضع مكانها خمسة أجزاء كتبت في ورق صقيل بالحروف المغربية كأصلها وكان فقدها قبل ١٤٥ سنة تقريباً كما أن جزءاً من الأجزاء الأصلية قد سُرق من المسجد الأقصى في السنين الأخيرة وأخرج من فلسطين وقد ذهبت مساعي المجلس الاسلامي الأعلى وحكومة فلسطين في سبيل استرداده عبثاً في فلسطين ومصر .

وهذه الربعة كان مدادها الذي كُتبت فيه من فتيت المسك ودهن الورد وربما أضيف اليها أحياناً الزعفران الشعري وهي ثالثة ثلاث ربعات شريفة كتبها ذلك

الملك أولاها لبيت الله الحرام وثانيتها لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والثالثة للمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ·

وقد وصفتُ هذه الربعة قبل سرقة الجزء الآخر في مجلة النتح في المجلد الخامس (ص ٥٩٠ و ٥٩١ ومن ص ٦٠٥ الى ص ٦٠٧) وأتيت في هاتين المقالتين على اعيان الوقف التي وقفها الملك على قراءة ربعته الشريفة في المسجد الأقصى واستطردت الى انّ الربعتين اللتين كتبتا برسم مكة والمدينة لم نعلم عن وجودهما فيهما ·

٣ — صاحب مختار الصحاح

ذكر الدكتور في (م ٢٠ ص ٣٤٧) كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول من مخطوطات دار الكتب الخالدية وقال عنه انه كتب على هامش الجزء التاسع منه انّ محمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح المتوفى سنة ٧٢٠ (كذا) قد قرأه على الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ وكانت قراءته عليه سنة ٦٦٦ ·

ان صاحب كشف الظنون عندما تطرّق الى ذكر مختار الصحاح قال ان صاحبه توفي بعد سنة ٧٦٠ وأظنّ ان الدكتور كتبها كذلك سنة ٧٦٠ الا ان منضد الحروف أخطأ فجعلها ٧٢٠ كما تقدم وحصل ذلك الخطأ · الا ان تاريخ وفاة صاحب مختار الصحاح كانت بعد سنة ٦٦٦ التي قرأ كتابه على الصدر القونوي فيها وقد تكون امتدّت حياته الى ما بعد سنة ٦٩١ حيث ألّف كتاب روضة الفصاحة برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١ اذ لا يُعقل ان يقرأ كتابه على الصدر القونوي ثم يعيش الى سنة ٧٦٠ وقد كنتُ كتبتُ مقالة مسهبة عن صاحب مختار الصحاح في مجلة المجمع « م ٨ من ص ٦٤٦ الى ٦٦٥ »

٤ — ابن الهائم

ذكر الدكتور ان كتاب « تعاليق على الخصائص النبوية » في الخالدية أيضاً هو من تأليف ابي العباس الشهاب احمد بن محمد بن الهائم الحاسب الفرضي (م ٢٠ ص ٣٤٧) « هذا المؤلف دفين بيت المقدس الذي كان اختار الاقامة فيه في أواخر ايام حياته

وهو يرقد في مقبرة مأمن الله التي تضم المئات من عظماء المسلمين وعلمائهم بالقرب من مغارة شهداء الحروب الصليبية وعدّتهم سبعون الفًا وبهذه المناسبة أشير الى ان نسخة مخطوطة من كتاب « المناسخة في عمل الشبّاك » الذي اخترعه واستخرجه في علم الفرائض في خزانة كتبي · ويرجح ان هذين المخطوطين ألفهما ابن الهائم في جوار المسجد الأقصى حيث كان يقيم في دار هداية الله ·

٥ — ابن زوج ابي عذيبة

قال الدكتور ان كتاب قصص الأنبياء لأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي من مخطوطات دار الكتب الخالدية كتب على صدره أن احمد هذا شُهر بابن أبي عدسة ومع ان عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل يقول عنه ابن زوجة أبي عُذيبة فان زميلنا الأستاذ كاظم الدجيلي قال عنه ابن أبي عدسة في مجلة الهلال (م ٢٨ ص ٦١٧) بصدد نسخة التاريخ المطول المحفوظ في مكتبة آل جميل ببغداد أقول ان زميلنا الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ذكره ايضًا باسم ابن ابي عدسة نقلاً عما جاء في النسخة المحفوظة في مكتبة آل الحسبي بدمشق (م ٢٨ ص ٩٢٦ من مجلة الهلال نفسها) ·

وقد كنتُ علقت على المقالين المذكورين في مجلة الهلال ايضًا (م٣٠ص٨٦٣) مايلي: « قصص الأنبياء عليهم السلام في مجلد ضخم كتب بأوله : « جمع كاتبه الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد القدسي الشافعي الشهير بابن أبي عدسة » ولكنه استوقف نظري ان المداد الذي كتب به آخر الكلمة الأخيرة كان يظهر عليه الحدوث بالنسبة الى الكلمات الأولى التي يغلب عليها القدم فاشتبهت في الأمر وقرأت ما كتب بآخر الكتاب فاذا هو كما يأتي بالحرف :

« انتهى على يد مؤلفه الفقير الى رحمة ربه القدير احمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي الشهير بابن ابي عدسه (بدون نقط) لطف الله تعالى به آمين آمين آمين والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » ·

ولشدّ ما كان دهشي عندما أنعمت النظر فوجدت انّ الكلمة التي بدون إعجام قد أزيلت نقطها بآلة حادة كالموسى لم يترك لها الاّ فتحة على الحرف الذي

قبل الهاء مما يبعث على الظن ان الكلمة عدبنة أو عذبية أو ما شئت غير عدسة » .

وذكرت في هذا التعليق انني وقعت في الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لعبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي على ما اطلع عليه الدكتور طلس من النسبة الصحيحة .

ولعل السبب الذي حمل من صحح النسبة من الناس على ذلك العمل هو ما أورده صاحب الأنس الجليل من ان المؤلف أورد في تاريخه المطول والآخر المختصر اشياء فاحشة من ثلب اعراض الناس فأعدمه بعض المطلعين عليه ضناً بكرامات من تناولهم المؤلف بالطعن والتشنيع . ويقول صاحب الأنس ان التاريخ المطول لم يظهر بعد وفاته كما ان التاريخ المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس متفرقة .

٦ — محمد بن فخر الاسلام الخيري

أورد الدكتور طلس بين مخطوطات دار الكتب الخالدية (المجمع م ٢١ ص ٥٤) رسالة « الشهاب القابس في البيع والكنائس » لمحمد بن فخر الاسلام الخيري المكتوبة سنة ١٠٨٢ وقال انه لم يهتد الى مؤلفها .

أقول ان محمداً المذكور كان امام قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى . وله رسالة أخرى سماها « سؤال وجواب عن بيت المقدس » أتم تأليفها في أواخر جمادى الأولى سنة ١٠٨٢ . وهذه الرسالة في عداد المجموعة السابعة والأربعين من مجاميع الخالدية . وقد نسخها محمد فتح الله الديري في ١٤ شعبان سنة ١٠٩٠

اما موضوع هذه الرسالة فهو سقف المكان الواقع بقرية بيت لحم والذي بداخله المغارة التي يقال انَّ بها مولد سيدنا عيسى عليه السلام واعادة بنائه بالخشب والرصاص كما كان في السابق وترميم بعض حوائطه وانه يحرم التعرّض للنصارى في ذلك .

ونسبة محمد الى الخيري تدلّ على انه ابن خير الدين الرملي الشهير المتوفى سنة ١٠٨١ وهو من مفاخر الاسلام حقًّا .

وبعدُ فانني أشكر للدكتور اهتمامه وجهوده في بحث خزائن الكتب الفلسطينية وأخصه بالشكر على حسن ظنه بهذا العاجز مما يدل على طيب أرومة وحسن خلق وجزاه الله عن العلم خير الجزاء .

عبد الله مخلص

السعنينة والفند

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

والسباسب يوم السعانين عند النصارى والعامة تلفظها « الشعانين» والسباسب جمع سبسب بمعنى المفازة ولليهود عيد المظال يخرجون به الى البراري فينصبون فيها مظال .

والسعانين جمع سعنينة وهي الزفن أو مطلق المظلة وما زال المسيحيون يقرنون يوم السباسب بالمطر ومن أمثالهم الشائعة « السعنينة دون مطر كالعروس دون جلوة » .

وكانت السعانين عند النصارى سعفاً من النخيل يحتفلون بها تذكاراً لدخول المسيح الى بيت المقدس قبيل الفصح عندما استقبلته الجماهير بسعف النخيل ثم تطورت بانتشار المسيحية فاتخذت الرياحين وأغصان مختلف الأشجار عند فقدان النخيل ولكن سعف النخيل ما تزال واجبة اذا وجدت ولعل أبرز أشكالها أيام النابغة الرياحين .

وتفنن المسيحيون في صنع السعانين وما يزالون يتفننون وقد يجمعون بين النخيل والرياحين وأغصان الشجر وغيرها مما لا يزال متعة للناظر المتأمل .

ومن التقاليد المرعية عندهم ان السعانين تصنع شفاعة لحفظ حياة الأطفال والأولاد ولذلك كثيراً ما ينذر المسيحيون شمعات كبيرة تبلغ طول الطفل أو الولد يضمونها الى السعنينة وكثيراً ما تزيد على المتر طولاً .

وإذا كانت السعنينة في أصلها غصناً أو فنناً أو فنداً وكلها بمعنى الغصن فمن المعقول المقنع أن تسمى الشمعة الكبيرة التي تضم الى السعنينة فنداً .

أما استعمال أهل طرابلس للفند بمعنى الحزمة من الشمع فهو غير خاص بهم بل يستعمله عدد كبير من نصارى جبل لبنان « وهو ليس سهواً وقع فيه الاستاذ المغربي لبعد عهده فيه » فان من السعانين التي ما يزال النصارى يستعملونها الى اليوم ، نوعاً يزين بعدد من الشموع الصغيرة تحيط بالشمعة الكبيرة ، او توضع وحدها فكأن سعف النخيل تحولت فنوداً عند عدم وجودها وليس في كل بلدان النصارى نخيل فسميت السعنينة غصناً أو فنداً ثم قرنت بالشمعة الكبيرة يختلف طولها باختلاف الولد الذي تصنع باسمه فسميت الشمعة فنداً وزين بعض الشعانين بحزمة من الشموع فأطلق على هذه الحزمة فند الشمع . . . . . . حنا نمر

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادي والعشرين

الصفحة		
٩٧	القول في اتكالنا	للأستاذ محمد كرد علي
١٠٧	ابو الهذيل العلاف	للدكتور جميل صليبا
١١٨	اقرب الموارد	للأستاذ احمد رضا
١٢٦	المقصورة التاجية	〃 محمد احمد دهمان
١٣٣	الملك الظاهر بيبرس	〃 عبد القادر المغربي
١٤١	رأس يحيى وزكريا	〃 محمد راغب الطباخ
١٤٩	ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون	للدكتور اسعد طلس

مخطوطات ومطبوعات

١٦٢	الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة للمرحوم الاستاذ عبد القادر المبارك	
١٦٣	نظام جديد وحياة جديدة، الأداة الحكومية	للأستاذ عارف النكدي
١٦٧	العمل لمصر، بعث دولة واحياء مجد	〃 〃 〃
١٧١	سياسة الغد، برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي	〃 〃 〃
١٧٣	تاريخ المشايخ اليازجيين واصهارهم	〃 〃 〃
١٧٤	وادي الفرات ومشروع سد الهندية	للأمير مصطفى الشهابي
١٧٥	الاصلاح الزراعي	〃 〃 〃
١٧٧	جغرافية شبه جزيرة العرب	للأستاذ محمد كرد علي
١٧٨	ديوان الغزي (مخطوط)	〃 محمد راغب الطباخ

آراء وأنباء

١٨٣	انتخاب عضو عامل	
١٨٣	القنبلة فارسية الأصل	للدكتور داود الجلبي
١٨٦	تعليق	للأستاذ عبد القادر المغربي
١٨٧	تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها)	〃 عبد الله مخلص
١٩١	السعينة والقند	〃 حنا نمر

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٦ | جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٥

من عمل المجمعيين (١)

رأيت ألا ينفرط عقد هذا الحفل الكريم قبل أن أحدثكم حديثاً يهم له من يحرص على سلامة العربية ويسر لانتشارها ووفائها بأغراض أمة متحضرة .

آتيكم بمثال مما يعمل أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لا أقصد به الذود عن قصور قد ارتكبناه ، ولا أن أباهي بما تم على أيدينا وما أشار اليه الأستاذ الرئيس ، والأستاذ أمين السر يجزئ في هذا الباب . وأريد أن أقرر فقط ان عمل المجمع لا ينتهي في عقود قليلة من السنين لأنه عمل شاق طويل . وكما يحتاج تحصيل العلم الى أعوام يقتضي للانتاج فيه أعواماً وأعواماً . وتجويد كل عمل موقوف على أمور كثيرة وقد يعرف صاحب العمل نواقصه اكثر من غيره .

المجالس في العادة تتناقش في المعاني ونحن معاشر المجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا ان نقصر مناقشاتنا في الألفاظ والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر سبيل تصل الى عقول الناشئة ، وكل لفظ تسارع الصحف الى تبنيه يكتب له الرواج ، وعمل المجمع

(١) ألقيت في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة في اليوم الرابع عشر من يناير ١٩٤٦ (١٠ صفر ١٣٦٥)

محدود المهمة في نحت الألفاظ ، وعليه ترك البناء للمهندسين والبنائين ، ولسان حال كل واحد منا « عليّ نحت القوافي من معادنها » فنحن اذاً نحاتون لا بناؤون نستخرج من الأنقاض أو المقالع ما يحسن استخدامه في البنية الجديدة ، أعاننا الله على ما نلقى من عنت وتعب .

لا ترون رصيفاً من رصفائي يداخله اليأس من الظفر بطِلْبَته مهما شقت الشقة لبلوغ المقصود بل تشهدونه مغتبطاً مسروراً بما يرجو ان يقع عليه في مناجم اللغة وركازها . ونحن بعد ذلك اذا وفقنا الى تحقيق جزء صغير من أمانينا في بث الفصيح ونبذ العامي والأعجمي عددنا أنفسنا مخترعين ولكن لا من عيار مخترع الراديو والراديوم مثلاً .

فالواحد منا اذا تعلقت همته بايجاد كلمة تقابل الكلمة الافرنجية شائعة في لغات العلم على عهدنا ولم يوفق الى ايجادها يندب سوء حظه ويقف حيران « وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه » واذا عثر على لفظ ظنه موافقاً لغرضه في أداء المعنى الذي يريد ان يقابله بمثله يفرح ولا فرحة المحب بلقاء حبيبه وقد طال افتراقهما . وأجمل ساعات المجمع ساعة يتناقش فيها أعضاؤه في وضع كلمة ، ويعج بأصوات الموالين والمعارضين ، وكل واحد يتصدى للادلاء برأيه بما يستخرج من محفوظه من الألفاظ . ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ، والكل يطالبونه بالكمال المطلق ، كأن أعمال المجامع كلها كملت ولم يبق منها ناقص الجهاز الا هذا المجمع الحديث .

ويح المجمع كم لقي من سخرية بعض الصحف التي ما تعففت عن أن تغمزه الفينة بعد الفينة لتضحك قراءها . وقديماً كانت المجامع العلمية موضوع دعابة لا يعذرها على بطئها في اخراج اعمالها الا الراسخون في العلم ممن صفت نفوسهم عن الأغراض وحُبّب الانصاف اليهم .

وغفر الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلماً ونسبوا اليه وضع لفظ « شاطر ومشطور والكامخ بينهما » لكلمة سندويتش . وأعترف أني ما تمكنت من اقناع متعنت لأن هذه الكلمة الملصقة بالمجمع هي عندهم من الأدلة على عدم معرفته أو على الأقل على قلة ذوقه . وما زالت التهمة بحالها حتى شهدتها تتسلل من الصحف الى الكتب ، لتثبت دعواهم على عدم اضطلاع المجمع بما وسد اليه . وكل من أحب ان يتندر الينا يغمزنا غمزة خفيفة ليذكرنا حفظه الله بما ارتكبناه من اثم بوضع هذه اللفظة « الوحشة » والله يتوب على العاصي اذا اناب ، أما بعض الآدميين فقل ان يتسامحوا بهفوة يهفوها انسان وهم يتغاضون عن جماع حسناته .

وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال الفاظ استظهروها يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر . وأذكر ان احد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ وكنت يومئذ آخذ الأدب عن المشايخ فدفعت العدد الأول منها لأستاذي وكان اماماً في اللغة فقال لي هذه الجريدة لا تفهم بغير شرح فاشرحها لنا فصدعت بالأمر . واتفق ان كانت هوامش الجريدة متسعة فاستعنت بها على شرح الكلمات اللغوية حتى اصبحت صفحات تلك الصحيفة بمتنها وشرحها مثالاً من كتب الأزهر بين الصفراء اختلط رأسها بذنبها وامتزجت حواشيها الأربع بنصها وفصها . حقيقة ان محرر الجريدة الزراعية اثبت براعة فائقة في اللغة ولكن كم كان يا ترى عدد من فهموا من أهل اقليمه ما خطته يمينه وأملته قريحته .

وأذكر ان احد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري وابن منظور والفيروزبادي . ولفتُّ نظره الى عُقم طريقته في وضع الفاظ أمام أطفال لا يفهمها اكثر أساتذتهم فغضب . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول امرهم ان يسيروا على طريقة العلامة الشنقيطي

أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات ، ثقيلة كانت أم خفيفة ، ساغت في ذوق سامعها وقارئها أم لم تسغ .

وأغرب من كل أولئك أن يرمى علماء اللغة بضعف العقل حتى لقد قال رنان : كان البحث في أصول اللغة ولا يزال عندنا سبباً من أسباب ضعف العقل حقيقة ، وأرى أن من الحق بمكان عظيم ما قاله أحد مشاهير علماء الأمراض العقلية لعهدنا ، ان الأسباب الثلاثة التي دعت الى جنون كثير من الناس وكانوا من قبل من أرباب المدارك ، البحث في أصول اللغة والعشق والتعمق في اللاهوت (التيولوجيا) أجارنا الله وإياكم من كل ضعف ولا سيما ضعف العقل .

* * *

والآن ننتقل بكم الى الحديث اللغوي . في علمكم أيدكم الله أن الفساد عرض لألسنة العرب بعد الفتح بقليل لمجاورة العجم ومداخلتهم . وكان هذا الفساد يزيد وينقص بقدر بُعد العرب وقربهم من الجزيرة ، وقد سلمت اللغة الفصحى في بعض الأرجاء الى ما بعد القرن السادس من الهجرة كما كان من شأن بعض قبائل اليمن لأنها كانت تعيش في أوديتها وجبالها بعيدة عن الأعاجم . واحتفظ أهل الشام بكثير من الفُصَح لانعزال بعض سكانها في أقاليم يكاد يكون الاتصال بينها معدوماً . وما كان الناس في القديم يرحلون كما نرحل ويسيحون كما نسيح اليوم بهذه الكثرة ، ولا يتمازجون بجيرانهم وغير جيرانهم هذا التمازج ، ورأينا الشام تكثر فيها الألفاظ السريانية كما تكثر الألفاظ النبطية والفارسية في العراق والقبطية في مصر . وبقيت في الشام ومصر والعراق والحجاز الفاظ ليست بقليلة أصلها رومي وتركي . وكانت الفاظ الزراعة والفلاحة في الشام سريانية والفاظ المدنية فارسية صقلتها الألسن فعاد أكثرها كأنه عربي الأصل ودخلت في معاجمنا وأصبحنا لا نعرف غيرها .

فمن الألفاظ النبطية او السريانية أي الأرامية الباقية في لهجة غوطة دمشق[1]

---

(١) راجع ما نشرته في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان « الفصيح والمولد في كلام أهل الغوطة » .

« شتل الغراس » أي غرسها ومنها « المشتلة » اي المغرسة او المستنبت و « دلل الغراس » غرسها بعيداً بعضها عن بعض و « الدّليل » من الزروع ما كان بعضه بعيداً عن بعض ومنه « الشرش » الجذر ويقولون شرش أزال الشرش من الأرض « قلم الشجرة وقلّمها » قطعها و « شفّاها » قطع شفاها اي اطرافها « جمّ الكرم » قطع بعض أغصانه « شور » الشجرة ركم التراب حولها وفي الفصيح شوّر لوح بشيء وهي مستعملة عندهم أيضاً « عرّم التراب » كوّمه وكدّسه « الطربوز » رأس الغصن أو القضيب المورق « كوّش الزرع » أو الحنطة جمعها « شكارة القمح » مقدار ما يزرع في قطعة أرض « تخ الخشب » او الحطب او تخخ يبس وجف وتهرأ « الساروط » الأخدود الذي تحدثه المياه في الأرض لشدة جريانها ولهم منه فعل فيقولون « سورطت » الأرض أي حدثت فيها أخاديد « جهجه الضوء » لاح « الشوب » الحر و « طرش الثوب » وسخه .

وأخذوا من الفارسية الجادة والدهليز والدولاب والزبيل أو الزنبيل والسختيان والابريق والدورق والكاس والكشكول والقمقم والجام والفنجان والزنبرك والهاوون والبركار والصنج والدف والناي والكمنجة والبرواز والخرج والكمر « منطقة من الشعر » والهميان والتخت في الأصل وعاء تصان فيه الثياب وفي الاصطلاح مقعد كبير من الخشب والبشتختاية من بشتختة خزانة تجعل أمام القاعد لحفظ الأوراق والخاتون والخاقان والدرويش والاستاذ والبلور والياسمين والنسرين والنرجس والآذريون والشوندر والجلنار والخضراوات والريباس واللوبياء والكعك والطاجن والتازج يقولون تازة بحسب أصلها « الجلاب » ماء الورد ومنه كل آب لصنف من المشمش حرفوه فقالوا الكلابي والسميذ او السميد والخشكار الطحين الخشن والجوسق والميزاب والخنجر والصابون والاشنان والخلخال والخمار والزركش والسرداب والسراي — السرايا والداية القابلة والديدبان الحرس والغوغاء الجلبة وكثرة الأصوات والدرابزون والدبوس والسيخ والدردار والكراز والكراويا والسياني والسنجاب والهزار والسندبان والسندان والغار والهليون والفهرست

والدستور والقرمان والخان معناها الدكان والحانوت والايوان والميدان والأنبار والآخور والكوخ والمسطاح والخردة والدستة ·

وأخذوا من الرومية السمت والصراط والقرطاس والبطاقة والخارطة والاطلس والترمس والطرخون والأبرشية والايريز والاريكة والاساطير والاسطرلاب والاسطول والأسقف والماس والانبيق والاقيانوس والايقونة والبرج والفانوس والبطريرك والبلغم والترياق والجغرافية والدرهم والازميل والسفسطة والطقس والغرام والفندق والاقليم والكورة والقصدير والقيراط ·

وفي اللغة الدارجة في مصر والشام كثير من الألفاظ اللاتينية والايطالية مثل اسكلة وانفلوانزا وبابور وبارجة وبالة وبالو وبَتَّة وبترول وبرذون وبرطاش وبرميل وبرنيطة وبسبور وبطارية وبنادورة وبيرا وتياترو وليمونادة وجرنال وجندرمة ومالاريا وجنرال ودوطة ودينار ولوكندة ورصيد وسطل وصابون وطاولة وطلبة وفاتورة ومسطرة وفاصوليا وورنيش وفسقية وقنطار وقرصان وقوماندان وكولونيل وكبسول وكربون وكرتون وكرنتينا وكروسة وكمبيالة وكمبيو ومن التركية اسماء البقول والمآكل مثل البقدونس ودره اوتى (حشيشة الوادي) واسباناخ حرفوها بسبانخ والقاورمة اللحم المجفف والشاورمة اللحم المشوي بالنار والباصدرمة اللحم المجفف بالشمس والدندرمة المجمدة أو الجلاس وبابراق الورق وبورك ويخني وترلي واكمك قطايفي وامام بايلدي وخنة وجركس طاوغي «الديك الرومي» وشوال كيس ، بازار السوق والقشلاق من قشلق اي المشتى وكل اسم انتهى بخانة أوجى مثل جبخانة وكرخانة وخسته خانة ودوه جي وبازيجي وخانجي ·

هذا مثال من الألفاظ الدخيلة أما الفصيح الباقي في الألسن على ما كان العرب يستعملونه فهو كثير وقد عرض لبعضه قليل من التحريف · فمن فصيحهم قولهم في زجر الغنم وغيرها من البهائم إذا أبعدت وطردت حايٍ حايٍ وحايْ حايْ وحاين حاين ويقال هذا اذا دعيت وأريد قربها ودنوها · وهكذا ينادون على غنمهم ومعيزهم وأبقارهم وحميرهم · ويقولون أيضاً خس لزجر الغنم وهقط زجر

للفرس وتخ تخ زجر للدجاج وسق سق زجر للثور وعاي لزجر الخروف والغنم والنخ قولك للبعير أخ أخ ليبرك نخنخه فتنخنخ والقرمشة صوت الخبز المقمر وفي الأصل صوت الجوز وقرقرت الدجاجة صوتت ودن الذباب صوت وطن ونقت الضفدع والدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه يقولون سمعته يدندن أي ينغم بحيث لا يفهم معناه - فلان ينود يرفع صوته بالشكوى من ناد ينود تحرك ومنه نودان اليهود في مدراسهم اي تحريك رؤوسهم وأكتافهم في بيت عبادتهم . وعندهم الزياط واللغط والخشخشة والحمحمة (صوت الفرس دون الصهيل) والنشنشة صوت المقلي والزقزقة والوقوقة والجعجعة والقرقرة (الضحك العالي حرفوها فقالوا كركرة) والبقبقة والغرغرة والولولة والرجرجة والخرخرة والوشوشة والثرثرة والفأفأة والتأتأة .

ومن فصيحهم (البحرات) جمع بحرة وهي ما انخفض من الأرض وعندهم أرض تسمى البحرات (الحَسْيُ) سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وعندهم مستنقع يسمى الحُسَيُّ (بالتصغير) ومنهم من يلفظه بالصاد (الحير) البستان أو مجتمع الماء والمكان المطمئن وكلها تصدق على أرض في الغوطة تجمع هذه الصفات [الزور] الأرض البعيدة من الأرض الزراعية والأجمة ذات الحلفاء والقصب والماء وهم يطلقونها على حرم نهر بردى ويضمون زايها كما يطلقها الحمويون على حرم نهر العاصي .

ومن فصحهم (الضيعة) (القرية) (الغيضة) (الروضة) (المرج) (الجنينة) (الحاكورة) (الحرجة) بالتحريك مجتمع الشجر الملتف ج حرج وحراج يقولون حرش وأحراش . ومنه حرث الأرض وعمرها وخربشها وخرمشها وقلبها وكرَبها وحفرها وسَحّاها وعزقها ونبشها ومهدها .

ويقولون أنا محادّه أي أرضي أو داري في حدود أرضه وداره . وفلان (لزيقي ولزقي وبلزقي أي بجنبي) ومنه (القُلاَع) المدر يقتلع من الأرض يرمى بها (الكَدَرة) القلاعة الضخمة (الكذان) (البلاط) (الرخام) ومنه (العدان)

بالكسر والتشديد وهم يفتحون عينه ومعناه الزمان يطلقونه على اعطاء كل صاحب حق قسطه من الماء وعدنه تعديناً .

(أطعم الغصن) وصل به غصناً من غير شجره كطعّمه (داف الزرع) ذبل وذوى (أسبل الزرع) (أفرك الحب) (أقمح السنبل) (الباحور) شدة الحر في في الصيف (الشمالة) الحزمة من الحنطة وهي طرية . (اطعمت الشجرة) ادرك ثمرها (اصمغت) صار لها صمغ . (نطف الحور) طلع من مكان آخر (النصبة) بفتح النون ما ينصب في الحقل من الغراس (السطمة) ما يغرس من عيدان الحور والصفصاف والخلاف . وفي المراجع السطم (بضم السين والطاء) الأصول . (المرْوشة) غرسة شجر الزيتون ولعلها من الامتراش اي الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى .

ومن أمثالهم الفصيحة (نأنأ في الأكل) أكل أكلاً ضعيفاً (دهبل) كبر اللقمة ليسابق في الأكل يحرفون هذا الفعل فيقولون دعبل (البرطمة) غضب مع عبوس فلان مبرطم مغيظ (لطئ بالأرض) لزق (خب في الأرض) خاض (لزه على العمل) حثه عليه (دحس الثوب) في الوعاء أدخله يلفظونه بالشين كما يقولون الفرشخة وهو ان يقعد الانسان ويفتح ما بين رجليه يلفظونها بالشين وفصيحها بالسين . ويقولون (قلّمنا) يا فلان من هنا من قلمه حوله من موضعه اي هيا بنا ننزل مكاناً آخر (شاشت النفس) اضطربت كما يقال شاش البلد اضطرب (قب الجرح) اذا يبس وذهب ماؤه (قيّح الجرح) صار فيه القيح وهو الصديد . (بط القرحة) شقها (خنخن في كلامه) اذا تكلم من خياشيمه فهو أخنّ ويقولون له خن (زنأ البول) احتقن (أحّ الرجل) سعل (قرقف) رُعد من البرد (قف الشعر) قام من الفزع (ققفف من البرد) اذا انضم وارتعد (أصن) سكت فهو مصن (وَدَّر) الرجل أوقعه في مهلكة يقولون ودِّر هذه القطة أي ألقها في محل لا تعود منه (حبق) متاعه جمعه وحبق المال أيضاً جمعه (هَبَش) لعياله اكتسب (دغر عليه) هجم (طمس على مال فلان) استحله من

أطمس على أموالهم أهلكها وفلان مطموس القلب ميته وعندهم يطلق على الجاهل الذي لا يتعلم (الفضفضة) سعة الثوب والعيش يقولون خذ هذه الدراهم تتفضفض بهـا أي تتسع بها وتقضي حوائجك (رحرحة) الثوب اتساعه وثوب مرحرح (خششتُ فيه) دخلت فقولهم خش يا فلان عربية الأصل (غلغل في الحقول) دخل وفي الفصيح تغلغل أيضاً (فلان يهت على فلان) يعيره أو يمزق عرضه (فلان متعنفص) متصلف مزهو (الصقلب) شرك ينصبه ناصبه ليصرع من يريد صرعه من صقلبه صرعه · ويقولون أعطني قماشاً من (بابة) كذا أي من سعر كذا وهذا بابته أي يصلح له أو شرطه (قرط عليه الدراهم) اذا أعطاه منهـا قليلاً قليلاً أو حرمه (التجليط) الكذب من جلط (نوس) المصباح قلل من إضاءته (امرأة هطلى) كسلانة أخذوها من ناقة هطلى تمشي رويداً يقولون وقف الماء في (زراديه) والزردمة الغلصمة أو موضع الابتلاع (ثوب بايخ) متغير وحديث بايخ لا محصّل له (الرتوت) الرؤساء واحدها رت (ما في البيت تومري) أي أحد يقولون دومري (السرب) الجماعة من النساء والحيوان (الفوج ، الجوقة ، الجف ، الغوغاء ، الزمرة ، اللمة ، الأوباش ، الشرذمة) كل هذه أسماء معناها واحد وهو الجمع من الناس وهي دارجة في اللغة الدارجة (العزوة) (العصبة العصابة) واعتصبوا صاروا عصابة · هو (شرواك) مثلك هو يمشي مع (سبره) أي أقرانه والسبر الشبه والهيئة (العكرة) الفتنة والهوشة · أعطني (شويه) أي قليلاً وفي الفصيح ما بقي من الشاة الا شواية بقية يسيرة ، والشواية بالضم الشيء الصغير من الكبير · يقولون سقاني (نتفة) من اللبن أي شيئاً وهي نُدفة في الفصيح · يقولون اللبن والخبْث طيس أي كثير من طاس يطيس كثر (الصوبة) ما تجمع من الحنطة والتمر يقولون لهـا الصُّبّة (الشلية) بقية الماشية وعندهم الشلعة قطعة من الماشية (العزيب) الذي لا يروح الى أهله من الماشية · يقولون هذه الأرض عدية أي خالية من الوخم .والوبالة وأصلها عذية من عذا البلد .طاب هواءه (الطابونة) من طبن النار دفنهـا لئلا تطفأ وذلك الموضع

طابون والطابون فرن في الأرض وكانوا يستعملون الطوابنية للخبازة وقد أهملت اليوم كما أهملت (الشرائحية) باعة شرائح اللحم واستعاضوا عنهـا بالشوائين أو الشوابة وأهملوا (المقاصف) واستعملوا بدلها القهاوي والمقاهي واهملوا (النخيرة) واستعاضوا عنها بالمسلخ وأهملوا (البآس) واستعملوا بدلاً عنها القلي ثم استعملوا البوتاس وكانت لفظة (النقانقيين) شائعة يطلقونها على باعة النقانق أو المقانق وهي المصير المحشو باللحم وكذلك (الحلاويون) باعة الحلواء يقولون اليوم الحلوانيون واحدها حلواني ومن أمثالهم ما كل من صف الصواني قال أنا حلواني ٠

ورأينا بعض الفاظ المآكل وباعتها قد أهملت مثل الهرائسي بائع الهريسة والرآس بائع الرؤوس ويقال له الرواس وهو لحن الفقاعي بائع شراب من الحبوب والأثمار وغيرها سمي به لما يرتفع في رأسه من الزبد وكان يطلق في الشام على باعة نقيع الزبيب ٠ الاقسماويون من الاقسما وهو شراب قد يجعل من الدبس ويثلج كالسويق قال الشهابي المنصوري :

أياسيداً قد أشهد الله أنه أناب فلم يحسُ الشراب المحرما
هلم فإني لا إخالك مقسما وان كنت لم تشرب مداما فأقسما

وأهملوا لفظة الشرابيين باعة الأشربة ولفظ المثلث عصير العنب يطبخ قبل أن يغلي ويشتد حتى يذهب ثلثاه وكانت مستعملة في مصر في القرن الثالث واعتاضوا عن الطاهي بالطباخ أو العشي ٠ وأهملت الفاظ كانت تطلق على أمور بطلت في الاستعمال مثل سوق العطارين وكان أصحابها يبيعون فيهـا العطور فأطلقت على باعة البذور والسكر والأرز والأفاويه ومثل الأباريين والمسلاتيين صناع الابر والمسلات والمرادنيين صناع المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السامم أو السنط الأحمر والفاخرانيين صناع الزبادي والسلطانيات من الحصى المطحون والغضاريين باعة الكيزان والقزازين صناع القز وباعته والبزازين صناع البز أو القماش والبزوريين باعة البزور والسكريين باعة السكر والامشاطيين باعة الأمشاط والسدارين والبواردبين يطلقونها على من يصنعون الأمشاط

ويطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون والدلوك والأُشنان والبوارد طعام البقول المطبوخة وكان فيها سوق الدباغين والصباغين والدقاقين والقماحين والناطفانيين (الناطف نوع من الحلواء) وسوق الخريزاتية الذين يخرزون الأواني وتناسوا لفظ الاقباعيين صناع الأقباع جمع قبع وهي الطاقية أو العرقية وكان في دمشق لكل من هذه الصناعات سوق خاص ومنها سوق الحرير وسوق القطن وسوق القشر (قشر القنب) وسوق القوافين من كاف الأديم يكوفه كوفاً كف جانبه وهو اعداد الجلد لعمل النعال، قلبت كافها قافاً . ومنه سوق المناخليين باعة المناخل وصناعها وسوق الزرابليين صناع الزرابيل جمع زربول وسوق السروجيين صناع السروج وسوق النحاسين وسوق الحدادين وسوق القصاعين باعة القصاع ومنها سوق الزنوطيين وفي معجم دوزي أن زنوط لغة مصرية معناها الطاقية وان كانت من زنط جمع زنط فمعناهـا السيور والسياط وسوق القلباقجية والقالباق من أكسية الرأس التركية والدماجية صناع الديما وهي أثواب تعمل من الغزل ولا يزال سوق الخيل وسوق الجمال وسوق الغنم وسوق البقر وسوق الحمير بالطبع ويقال لمخزن الحطب الشونة وهي مصرية ويضمون شينها وكانت لهم أسواق بحسب أيام الأسبوع فسوق الجمعة وسوق الأحد وسوق الثلاثاء تباع فيها أصناف المأكول والملبوس، فمن هذه الألفاظ ما بطل استعماله بابطال ما كان يطلق عليه وباختراع ما اغنى عنه وعن اسمه . ولكل عصر الفاظه كما ان لكل عصر ادبه . فبعض الالفاظ التي راجت في القرن الثالث والرابع نُسيت في القرن السابع والثامن وما راج في هذين القرنين نسي في العاشر وما بعده . فألفاظ عهد المماليك في مصر غير الفاظ الترك بعدهم فقد كانوا مثلاً يستعملون كلمة التقليد والتصرف فأبدلوهما بالتولية ثم بالتعيين والنصب والاستخدام وكانوا يستعملون لفظ القماحين والدقاقين ويقولون اليوم تجار الحبوب والطحانة . والفاظ مصر زمن المماليك وحدها تحتاج الى مبحث خاص برأسه . ومن نظر نظراً خفيفاً في الألفاظ في كل قطر عربي لا يلبث أن يرى ان ما كان شائعاً في

العراق لم يشع في الشام ومصر وما كان في مصر لا يعرفه الغرب الأقصى ولا الأندلس من قبل ·

وفي كتب الحسبة ، وبعضها الى الآن لم يطبع ، كثير من الألفاظ دونت المعاجم بعضها ولا نستعملها اليوم نسقط على نموذج منها في كتاب نشوار المحاضرة للمحسِّن التنوخي وفي كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي · منها (البزيون) ضرب من نسيج البزاومن رقيق الديباج (المطبق) كمحبس السجن تحت الأرض (الفامي) بائع الفوم اي الحنطة والحمص وسائر انواع الحبوب التي تخبز · (الزيرباج) أكلة بلحم وحمص وخل وسكر ولوز (البزماورد) طعام من اللحم والبيض (العصيدة) دقيق يلت بالسمن ويطبخ · ومنها (المطالب) الكنوز (البذرقة) الخفارة (الفيج) رسول السلطان ··· الخ · وهذه الألفاظ تتطلب درساً خاصاً كما تتطلب مآكل العرب في الجاهلية ومآكلهم في الاسلام دراسات أخرى · وأطعمة العرب ما تعدت الألبان والتمور واللحوم : تقل فيها الخضراوات والبقول وكلها بين مطبوخ وملتوت وملبون ومتمور ومسمون ومعسول ·

سادتي :

أوردت مثالاً ضئيلاً من أشغال هذا المجمع الفتي وذلك بقدر ما يتسع له الوقت وأرجو ألا أكون ادخلت الملل على نفوسكم أعاننا المولى على القيام بواجبنا في خدمة لغتنا المحبوبة وحياكم وأحياكم ·

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

- ٢ -

٦ – فلسفة أبي الهذيل

إن أبا الهذيل فيلسوف معتزلي ، وافق أهل الاعتزال في فلسفتهم العامة ، وانفرد عنهم في مسائل خاصة .

أما فلسفة الاعتزال العامة التي وضع مبادئها واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل وغيرهم من أهل الاعتزال ، فتنحصر في أصول خمسة هي : القول بالتوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، ووجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقول بالتوحيد انما وضع للرد على الرافضة والمجسمة . وفيه ان الله واحد لا شريك له من أي جهة ، ولا كثرة في ذاته . وهو قديم عالم لذاته ، قادر لذاته حي لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به . وهو خالق الجسم وليس بجسم ، محدث الأشياء وليس كالأشياء ، منزه عن المخلوق ، لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والقول بالعدل وضع للرد على المجبرة من الجهمية والرافضة . وفيه ان الله تعالى حكيم عادل لا يجوز ان يضاف اليه شر وظلم ، ولا يجوز ان يريد من عباده خلاف ما يأمرهم به . وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يريد ظلماً للعالمين . وأفعال العباد من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية منسوبة اليهم ، يفعلونها بقدرة خلقها الله فيهم . ويستحيل ان يقول الله لعبده افعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل ، بل العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والقول بالوعد والوعيد انما ذهبوا اليه لاعتقادهم ان الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته ، فلا يغفر عن كبيرة إلا بعد التوبة فاذا خرج

المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . فصاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق ، ولا بكافر مطلق ، لكنه في منزلة بين المنزلتين ، لأنه فاسق . والفسق حال متوسطة بين الكفر والايمان (١) .

وأما وجوب المعرفة بالعقل فيرجع الى ان الانسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع ان يعرف الحسن ويعتنقه ، ويدرك القبيح ويجتنبه . وما ورود التكاليف إلا ألطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة .

واما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضمن تكليف المؤمنين الجهاد ، واقامة حكم الله على كل من خالف أمره او نهيه سواء أكان كافراً أم فاسقاً .

لقد ذهب ابو الهذيل العلاف كغيره من المعتزلة الى هذه الأصول الخمسة ، وانفرد عن أصحابه بآراء خاصة في حقيقة الأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والسكون ، والصفات الإلهية ، والقدر ، والنفس الانسانية ، وحركات أهل الجنة والنار ، ونعيمهم ، وعذابهم ، والطاعة ، والاستطاعة ، والخلق ، والآجال ، وشروط الحجة عن طريق الأخبار وغيرها .

ان نظرة بسيطة الى هذه المسائل تدلنا على ان الاحاطة بها تحتاج الى عدة مقالات . فلنقتصر اذن في مقالنا هذا على بحث المسائل الرئيسية فقط .

من المسائل الرئيسية التي بحثها ابو الهذيل مسألة الصفات الإلهية . فقد كان بعض المتكلمين ممن تقدم ابا الهذيل يقولون ان الله عالم وعلمه قديم . وكان

(١) راجع كتاب الانتصار للخياط ص — ١٢٦ . قال الخياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

أما نحن فقد جمعنا القول بالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين في أصل واحد . واعتبرنا القول بوجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع أصلاً خاصاً لما للعقل في نظر المعتزلة من أثر عميق في التمييز بين الخير والشر والعقاب والثواب . راجع أيضاً كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

بعضهم الآخر يقول ان الله عالم لذاته لا بعلم . فكان قول الفريق الأول يؤدي الى القول بتعدد القديم ، وكان قول الفريق الثاني يؤدي الى نفي العلم ونفي غيره من الصفات عن الذات الالهية . فذهب ابو الهذيل في هذه المسألة الى رأي متوسط بين الرأيين السالفين فقال : ان الله تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته . اي ان علم الله تعالى هو هو ، وكذلك سمعه وبصره وحكمته . فهو يرى اذن ان الصفة هي عين الذات . والفرق بين قولنا ان الله عالم لذاته لا بعلم ، وبين قولنا عالم بعلم هو ذاته ، اننا في القول الأول ننفي عن الله صفة العلم ، وفي الثاني نثبت ذاتاً هي بعينها صفة ، أو نثبت صفة هي بعينها ذات . وكان أبو الهذيل اذا قيل له حدثنا عن علم الله الذي تقول انه ذاته . أتزعم أنه قدرته أيضاً ، أبى ذلك . فاذا قيل له ، فهو غير قدرته ! أنكر ذلك أيضاً . ويظهر ان ابا الهذيل لم يذهب الى هذا القول الا لرغبته في الابتعاد عما وقعت فيه الرافضة من التجسيم ، وما أدى اليه قول بعض المتكلمين من تعدد القديم . فقد كانت المجسمة تعتقد ان ربها ذو هيئة وصورة ، يتحرك ويسكن ، ويزول وينتقل ، وانه كان غير عالم ، ثم علم ، وانه يريد الشيء ثم يبدو له سبب آخر فيريد غيره . وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه ان هشام ابن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء . فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ويقوم أخرى . وانه طويل عريض . لأن ما لم يكن كذلك في زعمه دخل في حد التلاشي . قال فقلت له فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومأت الى أبي قبيس فقال هذا الجبل أعظم منه . وذكر ابن الروندي أيضاً ان هشام ابن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لو لا ذلك ما دلت عليه . فهذه الملاحظات وغيرها ساقت ابا الهذيل الى القول بالتجريد ، فنفى عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ، وأثبته واحداً ليس بجسم ولا بذي هيئة ولا صورة ولا حد ، وانه ليس كمثله شيء . وأبو الهذيل يسمي العلم والقدرة والحياة وجوهاً ثلاثة للذات الالهية . وهذه الوجوه الثلاثة التي اقتبسها ابو الهذيل من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة شبيهة بأقانيم المسيحية .

قال أبو الهذيل : ولقولي هذا نظائر عند أهل التوحيد . انهم بأجمعهم يقولون ان وجه الله هو الله . وقد فسد ان يكون لله وجه هو بعضه أو وجه قديم هو معه . فلم يبق الا ان يكون وجهه هو ذاته كما يقال هذا وجه الأمر ، وهذا وجه الرأي . وهذا الأمر نفسه ، وهذا الرأي نفسه . على ان ابا الهذيل قد نفى العلم من حيث اوهم أنه أثبته ، لأنه لم يثبت في النهاية إلا الذات الالهية ، وكان اذا قيل له : فلم اختلفت الصفات فقيل عالم ، وقيل قادر ، وقيل حي ، قال لاختلاف المعلوم والمقدور . ويرى ابو الهذيل ان السمع والبصر صفات ازلية ، فالله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى انه سيسمع وسيبصر : وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً ، خالقاً رازقاً ، مثيباً معاقباً ، موالياً معادياً ، آمراً ناهياً ، بمعنى ان ذلك سيكون منه . وكان سهلاً عليه ان يؤول هذه الصفات تأويلاً ينفي عنها الصفة الحسية ، لأنه كان يعتبر السمع والبصر من اعمال الروح ، لا من اعمال الحواس .

وقد ساقته نظرية الصفات هذه الى القول بارادات لا محل لها ، يكون الله تعالى مريداً بها . فارادة الله لكون الشيء هي غير الشيء المكوّن . وارادته للايمان هي غير الايمان والأمر به . ففرق على هذه الصورة بين الارادة والشيء المراد ، كما فرق بين الارادة الخالقة والارادة الشارعة . فارادة الخلق هي الخلق بذاته ، وهي تختلف عن المخلوق لأنها ليست في مكان . ثم انه ذهب في تقسيم كلام الباري تعالى الى ما ذهب اليه في تقسيم الارادة . فقال هو قسمان احدهما يحتاج الى مكان ، والآخر لا يحتاج الى مكان . فكلمة الخلق . وهي قول الله للشيء « كُنْ » هي عين الخلق . وهي ليست في مكان ، وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً ولا يقول له كُنْ . فكأن كلمة التكوين ، كما قال بعض الفلاسفة ، في المكان الاوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق . او كأنها جوهر شبيه بالمثل الأفلاطونية . أو عقول الأفلاك التي أشار اليها الفارابي وابن سينا في صدور الأشياء عن المدبر الأول . أما سائر كلام الله من أمر ونهي وخبر واستخبار ، فهو في مكان ، لأن أمر التكليف غير أمر التكوين . فكلمة الخلق

ليست بمخلوقة ، أما الكلام المشتمل على الأوامر والنواهي والوحي فهو مخلوق ، لأنه عرض من الأعراض . وهذا يدل على ان أمر التكليف مقصور على العالم الفاني . لا يخضع الانسان لأحكامه إلا في هذه الحياة . وهو يقتضي القول باختيار الانسان ، وحريته ، وبقدرته في هذا العالم على فعل مايختاره من الخير والشر . اما في العالم الثاني ، فيفقد الانسان حريته واختياره ، ويرجع كل شيء فيه الى إرادة الله . لذلك قال الشهرستاني : ان ابا الهذيل قدري الدنيا جبري الآخرة . وفي الجنة والنار تكون حركات الانسان ضرورية لا قدرة له عليها . فهي مقيدة وليس لأحد قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول . والله خالق فيها اقوال العباد وحركاتهم . فالدنيا دار عمل وأمر ونهي ومحنة واختبار . والآخرة دار جزاء واضطرار . ولو كان أهل الجنة يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها ، لكانوا مأمورين منهيين ، ولو وقعت منهم الطاعة والمعصية . ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي ، لا دار ثواب ، وكان سبيلها سبيل الدنيا ، ولوقع ثواب أهلها في دار سواها ، ولتسلسل الأمر الى ما لا نهاية له .

ويرى ابو الهذيل ان حركات أهل الجنة والنار لا تبقى ، بل تنتهي بانتهاء العالم ، وتنقلب الى سكون دائم . لأن ما له ابتداء لا بد من أن يكون له انتهاء . وفي هذا السكون الدائم تجتمع اللذات كلها لأهل الجنة ، ويجتمع العذاب كله لأهل النار . وهذا قريب من مذهب جهم بن صفوان اذ حكم بفناء الجنة والنار . قال الأشعري في مقالات الاسلاميين : «أجمع أهل الاسلام جميعاً الا الجهم ان نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهم بن صفوان ان الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما ، حتى لا يبقى الا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه» [1] .

وقال البغدادي في كتاب « الفرق بين الفرق » : ومذهب ابي الهذيل في ذلك شر من مذهب جهم ، لأن جهماً ، وان قال بفناء الجنة والنار ، فقد قال : ان الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم ان ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن ، او احياء ميت ، أو احداث شيء .

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص٢٧٥

وظاهر ان رأي ابي الهذيل ، في سكون حركات أهل الجنة والنار ، لا يستند الى أي أساس ديني ، بل يرجع الى رأيه في تناهي الحركات . فالحركة عنده تنقسم في الجسم على جميع أجزائه ، وما يجوز على الأجسام يجوز أيضاً على الجوهر الواحد ، والجزء الذي لا يتجزأ . ولكن ما هو الجسم . قال ابو الهذيل :

« الجسم هو ما له يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل . وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء احدهما يمين والآخر شمال ، وأحدهما ظهر والآخر بطن ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، وان الجزء الواحد الذي لا يتجزأ يماس ستة أمثاله . وانه يتحرك ويسكن ، ويجامع غيره ، ويجوز عليه السكون والمماسة ، ولا يحتمل اللون والطعم والرائحة ، ولا شيئاً من الاعراض غير ما ذكرنا ، حتى تجتمع هذه الستة الأجزاء ، فاذا اجتمعت فهي الجسم ، وحينئذ يحتمل ما وصفنا » (١)

فالجسم إذن منقسم وهو يحمل الاعراض كاللون والطعم والرائحة والحركة . وليس كل جوهر جسماً ، بل الجوهر الواحد الذي لا ينقسم محال ان يكون جسماً ، لأن الجسم هو الطويل العريض العميق . وليس الجوهر الواحد كذلك (٢)

« واختلف الناس في الجسم هل يجوز ان يتفرق أو يبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ أم لا يجوز ذلك ... فقال ابو الهذيل : ان الجسم يجوز ان يفرقه الله سبحانه ، ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ ، وان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض له ولا عمق له ، ولا اجتماع فيه ولا افتراق ، وأنه قد يجوز ان يجامع غيره وان يفارق غيره ، وان الخردلة يجوز ان تتجزأ نصفين ثم اربعة ثم ثمانية الى ان يصير كل جزء فيها لا يتجزأ » (٣)

فالله يستطيع اذن ان يبطل ما في الجسم من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ . ويستطيع ان يفرد الجزء الذي لا يتجزأ فتراه العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له .

والاعراض هي الحركات والسكون والقيام والقعود والاجتماع والافتراق والطول

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٣٠٢ (٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٥

والعرض والألوان والطعوم والأرابيح والأصوات والكلام والسكوت والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة . فبعضها يجوز على الجسم والجزء الذي لايتجزأ معاً ، وبعضها لايجوز إلا على الجسم ، فالحركة مثلاً تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ ، أما اللون والطعم والرائحة فلا تجوز إلا على الجسم . قال ابو الهذيل :

والاعراض قسمان « منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى . والحركات كلها لا تبقى . والسكون منه ما يبقى ومنه ما لا يبقى . وسكون أهل الجنة سكون باق ، وكذلك أكوانهم ، وحركاتهم منقطعة منقضية لها آخر »(1) .

وقال أيضاً : ان الألوان والطعوم والأرابيح والحياة والقدرة تبقى كلها ، وكذلك اللذات والآلام . فآلام أهل النار باقية فيهم ، ولذات أهل الجنة باقية فيهم .

فالحركات اذن في نظر ابي الهذيل تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ وهي مع ذلك لا تبقى ، اما الألوان والطعوم والأرابيح فلا تجوز الا على الجسم وهي مع ذلك تبقى بعد انتهاء العالم . فهناك اذن أعراض موجودة لا في جسم ، ويجوز أيضاً ان تعاد . أما الحركات والسكون وما يتولد عنها كالتأليف والتفريق والأصوات وسائر ما يعرف الناس كيفيته فلا يجوز ان يعاد .

فالسبب إذن في قول ابي الهذيل بانتهاء حركات أهل الجنة والنار يرجع إذن الى رأيه في حقيقة الأجسام والحركات وبقاء الاعراض وانتهائها . قال اني لا أقول بحركات لا تتناهى آخراً ، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً ، ونسي أن مالزمه في الحركة يلزمه أيضاً في السكون . اضف الى ذلك ان قوله بانقسام الاعراض الى قسمين أحدهما يبقى والآخر لا يبقى لا يستند الى أي أساس معقول .

فأبو الهذيل قد قال اذن ببقاء الاعراض التي لا تجوز الا على الجسم ، وبعدم بقاء الحركات رغم جوازها على الجسم وعلى الجزء الذي لا يتجزأ معاً .

(1) الاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٣٥٩ . قال أبو الهذيل : « يجوز أن يتحرك الجسم لا عن شيء ولا الى شيء » . المصدر نفسه ٣٢٣ . وقال أيضاً : « الأجسام قد تتحرك في الحقيقة ، وتسكن في الحقيقة ، والحركة والسكون هما غير الكون ، والجسم في حال خلق الله سبحانه له لا ساكن ولا متحرك » المصدر نفسه ٣٢٥ .

ولو قال بفناء الدنيا والآخرة ، كما قال الجهم ، لما وقع في هذه الشبهة ، ولاستغنى عن هذا السكون الدائم الذي قلب أهل الجنة والنار الى أصنام جامدة في مدينة مسحورة .

ومع ذلك فان لرأي ابي الهذيل في انتهاء حركات أهل الجنة والنار خطورة عظيمة ، لأنه كان كما قال الشهرستاني قدري الدنيا جبري الآخرة . فالانسان في نظره قادر على خلق أفعاله في هذه الدنيا لأنه حر . أما في الآخرة فانه يصير مقيداً بالحالة التي انتهى اليها . والمشهور عن الفلاسفة الأقدمين أن النفس تشارك الجسد في أفعاله وانفعالاته ما دامت مقيدة به ، وان حريتها مقيدة في هذا العالم بما يصل اليها عن طريق الجسد من الاحساسات والأفكار والعواطف ، اما اذا فارقت الجسم فانها تعود الى العالم الأرفع ، وتمزق سلاسل المادة وقيود الزمان والمكان وتصير حرة طليقة . أما ابو الهذيل فقد ذهب في ذلك مذهباً مخالفاً لآراء المتقدمين ، وزعم ان النفس حرة في الدنيا مقيدة في الآخرة . وفي هذا الرأي فكرة عميقة تدل على قوة ابداعه ، وشدة حدسه . الا انها تحتاج رغم ذلك الى مقدمات برهانية لم نعثر عليها فيما وصل الينا من أفكاره .

ويرى أبو الهذيل ان في الانسان علماً فطرياً يؤدي بالضرورة الى معرفة الله ، فمن واجبه ان يعرف الحق ، وان يميز الخير من الشر بعقله الطبيعي ، من غير خاطر ولا وحي . وان قصر في هذه المعرفة استوجب العقوبة . وعليه أيضاً ان يفهم حسن الحسن وقبح القبيح ، وان يقدم على الحسن كالصدق والعدل ، وان يعرض عن القبيح كالكذب والجور . والله يثيب كل محسن على قدر طاعته وصدقه وعدله . ويعاقب كل مسيء على قدر معصيته وكذبه وجوره . فهناك اذن طاعات من الخلق لا يراد الله بهـا ، وليس على وجه الأرض دهري زعم انه لا رب ولا خالق ، ولا ثواب ولا عقاب ، الا وهو مطيع بضرب من الطاعات . فهو عاص بدهريته ، ولكنه مطيع بما يقدم عليه من الخير ، كما ان المؤمن مطيع بايمانه ، عاص بما قد يقدم عليه من الشر .

ومسؤولية الانسان تتوقف على معرفة اللحظة التي يوجد فيها الفعل . ولا تكون المسؤولية تامة الا اذا كان الفعل تام الحدوث . لذلك فرق ابو الهذيل بين افعال القلوب وأفعال الجوارح ، اي بين الأفعال النفسية والأفعال الطبيعية . فقال ان حال (يفعل) هي غير حال (فعل) . والمسؤولية لا توجد في أفعال القلوب الا اذا وجدت الاستطاعة مع الفعل . أما في أفعال الجوارح فقد تتقدم الاستطاعة على الفعل ، فاذا لم يتم الفعل الا بعد موت الفاعل او عجزه كان الفعل منسوباً اليه لا إلى غيره ، ويمكن ان يقال مجازاً ان الموتى يقتلون الأحياء . فالارادة لا توجد اذن تامة الا اذا كانت الجوارح قادرة على تنفيذها ، ولا يكون العمل اختيارياً الا اذا قام الانسان به من غير قسر . قال ابو الهذيل : « الاستطاعة يحتاج اليها قبل الفعل . فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه . وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ، ويكون عجزاً عن فعل ، لأن العجز لا يكون عجزاً عن موجود . فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة » [1] .

وهذا يدل على أن أبا الهذيل قد جوز الفعل مع الموت بالاستطاعة المتقدمة . كما جوز أقل قليل الكلام مع الخرس ، ولم يجوز وجود العلم مع الموت ، ولا وجود الارادة مع الموت . وقد حكي عنه انه كان ينكر أن توجد الارادة بقدرة معدومة حتى يكون العجز مجامعاً لها . [2] والانسان انما يفعل في غيره الأفعال بالأسباب التي يحدثها في نفسه . فلو رمى انسان انساناً بسهم ثم مات الرامي قبل وصول السهم الى المرمي ، ثم وصل السهم الى المرمي فآلمه وقتله ، لحدث القتل والألم بعد موت الرامي بنفس السبب الذي أحدثه الرامي وهو حي .

وقد فرق ابو الهذيل بين الأمور التي يقدر الله عباده عليها ، وبين الأمور التي لا يقدرهم على فعلها . فالحركات والسكون والأصوات والآلام وسائر ما نعرف كيفيته هي من الأمور التي يقدر الله عباده عليها . أما الاعراض التي لا نعرف كيفيتها كالألوان والطعوم والأرايح والحياة والموت والعجز والقدرة ،

(١) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٢٣٢ (٢) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٣١٣

فليس يجوز ان يوصف الباري بالقدرة على ان يقدر عباده عليها . والله لا يوصف بالقدرة على شيء تقدر عليه عباده ، لأنه محال ان يكون هناك مقدور واحد لقادرين . فأفعال الانسان لا تشبه أفعال الباري بوجه من الوجوه . والله يضطر عباده في الآخرة الى صدق يكونون به صادقين وكلام يكونون به متكلمين ، ولكنه لا يضطرهم الى كفر يكونون به كافرين وجور يكونون به جائرين . وهو قادر على الظلم ، الا انه لا يفعله لحكمته ورحمته . ومحال ان يفعل شيئاً من ذلك ، أن قدرته مقيدة بعدله ورحمته وحكمته .

٧ — النتيجة

هذه لمحة سريعة من آراء ابي الهذيل في التوحيد ، وحركات اهل الجنة والنار ، والأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والجواهر والاعراض ، والعلم ، والمسؤولية ، والاستطاعة ، والعدل ، ناظر فيها كثيرين من أقرانه كبشر بن المعتمر والأصم وهشام بن الحكم والنظام كما ناظر المجوس والثنوية واصحاب النجوم والدهرية .

ولا حاجة الى القول ان أبا الهذيل قد ابتعد بآرائه هذه عن اجماع المسلمين ، فتصدى للرد عليه كثيرون من أهل الحديث وعلماء الكلام ، الذين لم يروا رأيه ، ولا قالوا بمقالته فوضع (المردار) كتاباً في الرد عليه سماه « فضائح أبي الهذيل » ، والف الجبائي كتاباً في الرد على ابي الهذيل في المخلوق ، وصنف جعفر بن حرب كتاباً سماه « توبيخ أبي الهذيل » كفره فيه . وذكر ان قوله يجر الى الدهرية . وقد كان لهذه الردود أثر عظيم في شهرة أبي الهذيل حتى قال المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الأنام . وقال الفضل بن العميد ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة . أما الفقه فعلى ابي حنيفة ، وأما الكلام فعلى ابي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ . وكان ابو علي الجبائي يقول ليس بيني وبين ابي الهذيل خلاف الا في أربعين مسألة . وما كان في الدنيا بعد الصحابة اعظم عنده من أبي الهذيل .

ويظهر أن ابا الهذيل كان في مناظراته أشبه برؤساء الأحزاب والخطباء والمحامين منه بالفلاسفة الهادئين ، الذين يسيرون على منهج علمي واضح دقيق • وطريقة هذا شأنها تدخل على أسلوب العلم شيئاً من الضعف والتردد والعدول عن سواء السبيل • وكل فلسفة تقوم على أساس الجدل والمناظرة ، تكون مسائلها مقيدة بآراء المخالفين • ومن نازل عدواً قوياً اضطر الى التقيد بشروط قتاله ، وبتقلب أحواله ، واتباع حركاته وسكناته ، وقيامه وقعوده • وقد تؤثر فيه روح العدو وحيلته ، فتبدل خطته وغايته • ومعركة الأفكار لا تختلف من هذه الناحية عن معارك الرجال • بل كثيراً ما يكون تأثير العدو في تكوين الأفكار أقوى من تأثير الحليف • وفرق بين ان يبني الانسان بيته بنفسه وفقاً لخطط معقول ، وبين ان ينشئه وفقاً لما تقتضيه الحاجة العملية المباشرة • وفرق بين ان يكون الفكر مستقلاً في وضع المسائل وتأليفها ، وبين ان تكون مسائله تابعة للعناصر المقتبسة من آراء المخالفين • ففي أعمال المدافعين أمور كثيرة لا بقاء لها • وينبغي ان تزول بزوال أسبابها ، وان تهجر ويستبدل بها غيرها ، وان يؤتى بما هو احسن منها وأصوب • وربما كان ابو الهذيل غير بريء من ذلك ، حتى لقد أدرك هو نفسه ان آراءه قد جرته الى الخروج على الاجماع • وان كثيرين من الملحدين قد تعلقوا عليه بها • فتاب من الكلام فيها قبل موته • ولعله لم يتب من الخوض فيها الا بعد ان أدرك خلافة المتوكل ، وكف بصره ، وخرف في آخر عمره ، وقصر عن مناضلة المناظرين • ومهما يكن من أمر فان ابا الهذيل قد مهد السبيل بجدله لظهور الفلسفة في الاسلام ، فخدم الاسلام ، عن طريق الجدل والمناظرة اكثر مما خدمه القواد عن طريق الفتح ، حتى لقد أسلم على يده ثلاثة آلاف رجل • وكانت فلسفته أقرب إلى روح الاسلام من آراء الفلاسفة المشائين ، الذين أخذوا آراءهم عن أفلاطون وأرسطو • وكان في دفاعه عن الاسلام يعمل على نشر الدعوة العربية ويؤيد سياسة الخلفاء العباسيين في التخلص من سيطرة الفرس • وكانت نيته في عمله صادقة ، والنية هي ميزان العمل • وانما الأعمال بالنيات •

٨ — المصادر

آ. حياة أبي الهذيل

١ — الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ، ص ٣٦١ — ٣٦٧ — ٣٧٠
٢ — ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٨٠
٣ — ياقوت ، الارشاد ، ج ٣ ، ٧٤ ، ١
٤ — الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ، ص ٧٨ في الهامش عن النظام ، ج ١ ، ص ١٠٤ في الهامش في ترجمة بشر بن المعتمر ، ج ١ ، ص ٥٠ في ترجمة صالح بن عبد القدوس .
٥ — الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ج ١ — ص ١١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
٦ — العسقلاني ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤١٣
٧ — المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠٢
٨ — ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨
٩ — ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٥٣
١٠ — كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لاحمد بن يحيى المرتضى ، ص ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ . طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ ه .
١١ — محمد بن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، جزء ٦ ، ص ١٢٠ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧ .
١٢ — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، طبعة دار الكتب المصرية .
١٣ — ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، جزء ٢ ، ص ٩٠ ، مصر ١٩٤٢
١٤ — صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، كتاب نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٧٧ — ٢٧٩ . مصر ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .
١٥ — أمالي السيد المرتضى ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ، ١٢٤ .
١٦ — ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥٥ ، ٢٥٥ ، الملحق ص ١ ، ٣

١٧ — الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٥٤٧ ·
١٨ — الغرر والدرر ، ١٢٤ .
١٩ — روضات الجنان ، ١٥٨
٢٠ — تاريخ العيني لسنة ٢٢٦
٢١ — المنتظم لابن الجوزي ، ٩٨١
٢٢ — طبقات المعتزلة لقاضي القضاة ، وهو ابو الحسن عبد الجبار بن احمد ابن عبد الجبار الهمذاني الاسترابادي ·
٢٣ — منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال تأليف ميرزا محمد الاسترابادي مع تعليقات محمد باقر البهبهاني ، طبع بالحجر بطهران سنة ١٣٠٧
٢٤ — قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي ٤٦٠ ·

ب – فلسفة أبي الهذيل

١ — الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين · عني بتصحيحه ه · ريتر ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٢٩
٢ — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ ، ١٠٢ ، ٨٤ ، مطبعة المعارف ، مصر
٣ — دائرة المعارف الاسلامية ، « ابو الهذيل العلاف » ·
٤ — الخياط ، كتاب الانتصار ، ص ١٧ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٧٩
٥ — الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص ٨٨
٦ — فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤١
٧ — الشهرستاني ، الملل والنحل ١٨ ؛ ٣٤ ·
٨ — صوان الحكمة ، لظهير الدين البيهقي ، ٦٦٦ ·
٩ — دي بوئر ، تاريخ فلاسفة الاسلام ·
١٠ — الايجي ، المواقف ·
١١ — Carra de Vaux - Avicenne , p. 21 24
١٢ — Les penseurs de l'Islam «

جميل صليبا

أقرب الموارد

— ٣ —

ت ج ر — قال في جمع التاجر تَجْر وضبطها بالشكل فتحاً وكسراً والصواب فيها الفتح وجاء فيها تُجر بالضم ولعلها جمع تِجار وأما الكسر فلم أرَ أحداً نصَّ عليه .

ت ر ز — وقال ترز (ن . و ل) تروزاً غلظ ويبس أي أنها من بابي علم ونصر . والصواب أنها من بابي علم وجلس . ترِزَ ترْزاً وترَزَ يترِزُ تروزاً .

ت س ع — قال تَسَعهم أخذ تِسْع أموالهم . هكذا كسر التاء والصواب ضمها وقال التاسوعاء اليوم التاسع من الشهر . هكذا أطلقه . مع أنه خاص بالمحرم من الشهور وهو قبل يوم عاشوراء ، قال صاحب الصحاح . وأظنه مولداً . وليس الأمر كما ظنه لأنها وردت في الحديث الشريف عن النبي المصطفى أفصح الخلق وأعرفهم بأنواع الكلام .

ت ع ع — وقال تعَّ ن تعّاً وتعة استرخى . فجعله من باب نصر مع انه مضاعف ثلاثي لازم والقياس في مثله باب ضرب ولم يذكره في الشواذ احد من الأئمة .

ت ل ل — وقال تلَّ الرجل اليه تضرَّع . هكذا بالضاد المعجمة . وفي اللسان تلَّ هو يَتِلُّ تصرع (هكذا بالصاد المهملة) وتلّه للجبين صرعه كما تقول كبّه لوجهه والمَتَلُّ بفتح الميم المصرع وبكسرها الذي يُتَلُّ به أي يُصرع والمُتَلَّل الصريع كالمتلول والتليل .

ت و ج — وقال التُوَّجي الصقر المنسوب الى تُوَّج (الخ) هكذا ضم التاء في كل ما جاء به منها في هذه المادة والصواب فتح التاء ووزنها صاحب القاموس بقَّم ونصَّ على ان هذا وزن للأفعال ولم يرد منه للأسماء غير بَقَّم وتَوَّج واسماء أخر .

ث ب ب — جعل ثب ثباباً من باب نصر وهو من باب ضرب قياساً وسماعاً .

ث ب ر — وقال ثبرَ البحر : زَجر وصوابه جزر من الجزر ضد المدّ .

ث ج ج — وقال ثجّ الماء والدم ثجاً وثجوجاً : سال فجعلها من باب نصر وهي من باب ضرب ان كان الماء مفعولاً (أي متعدية) ومن باب ضرب اذا كان الماء فاعلاً (أي لازمة) وكان عليه أن يفصل ذلك .

ث د ن — وقال : انه مُثدَّن اليد أي مُخدَّج . هكذا بالتشديد والصواب مُثدَن ومُخدَج . قال في اللسان . قال ابن بري هو اسم مفعول من اثدنت الشيء اذا قصرته والمُثدَن الناقص الخلق وقيل مُثدن اليد مُخدج اليد . وأما المثدَّن بالتشديد فهو المسترخي اللحم الكثيره .

ث ر د — وقال الثَّرَد بالتحريك المطر الضعيف وتشقق الشفتين . ونص القاموس انه بالتحريك لتشقق الشفتين وبالتسكين للمطر .

ث ر ن — وقال ثَرِن : أزى صديقه وجاره ولكن عبارة التهذيب كما اوردها صاحب اللسان ثَرِن الرجل : آذى صديقه أو جاره .

ث غ ى — وقال الثغية: الجوع والاثغار يقال أصاب الحي ثغية اي جوع واثغار ونص اللسان قال ابن سيدة في المعتل بالياء الثغية الجوع واقفار الحي .

ث ف ل — وقال : ثفل الرحى وزان حِمْل ثِفالها ولكن القاموس نص على انها بالضم أي وزان قفل .

ث ل ب — جعل من لغات الإِثلِب الإِثلَبُ . أي بكسر ففتح وهذه ليست هي من لغاته وانما ذكروا فيه لغتين فتح الهمزة واللام معاً وكسرهما معاً والفتح أكثر وأظنه توهم من عبارة القاموس وهي قوله (الأَثلَب ويكسر) ان الكسر للهمزة خاصة وليس كذلك بنص اللسان .

ث ل ع — وقال . المَثلَع : المشدَّخ من البسر وغيره — هكذا وزان مقتل وصوابه المُثَلَّع كمعظَّم .

ث ل ل — وقال . ثَلَّة البئر ما اخرج من ترابها ج ثِلَل أي بكسر الثاء وزان عنب وفي القاموس وزان صُرَد (نصاً) .

ت ن ث ل — وقال تنثل تعذَّر ... وصوابه تقذَّر ...

ج أ ب — استشهد بقول الشاعر :

تَعَرَّضَ جأبة المِدْرى خذولٌ بصاخة في اسرتها السلام

فضبط خذول بالرفع مع أنها صفة لجأبة المجرورة بالاضافة وحقها الجر ثم ضبط صاخة بالخاء المعجمة وهي صاحة بالحاء المهملة كما في اللسان وفي التاج وفسراها بأنها جبل ·

ج ب أ — وقال : الجباء طرف قرن الثور فجاء به كسحاب وصريح التاج انه كشدّاد ·

ج ث ث — وقال : الجثة شخص الانسان قاعداً أو قائماً · والصواب او نائماً وفي اللسان الجثة شخص الانسان قاعداً أو نائماً وقيل جثة الانسان شخصه متكئاً أو مضطجعاً · · · فأما القائم فلا يقال جثته انما يقال قِمّته وفي التاج انما يقال قامته (١)

ج ح ر — وقال : خرج عليه حية من جحرها · هكذا قدم الحاء على الجيم وجحر الحيَّة جيم فحاء ·

ج خ ف — وقد جمع الجخيف (بمعنى صوت بطن الانسان) على جُخُف وانما جخف جمع للجخيف بمعنى القصير لأن الأُولى مصدر والمصدر لا يجمع الا بثبت تقول سمعت جخيف النائمين ولا تقل جُخُف النائمين · وأما الثانية فهي التي تجمع على جُخُف كسرير وسُرُر ·

ج د د — وقال صرحت بجُدَّان هكذا بضم الجيم والصواب كسرها كما في كتب الأئمة ·

ج د ف } — جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب كما نصت
ج ذ ب } عليه كتب الأئمة ·

ج ر ب — وقال اجْرَنْبى اجْرِنْباءً : مثل اشرأبَّ زنة ومعنى وأظنه لغة فيه · هذا كلامه وانما التي على زنة اشرأب وبمعناها هي اجرأبّ واما الاجرنباء فهو النوم بلا وسادة وهو غير معنى اشرأب ولا بوزنه ·

ج ر ذ — وقال : جرذت القرحة ن جرذاً تعقدت فجعله من باب نصر وهو من باب فرح كما ضبطه الصاغاني ·

(١) جاء في عبارة التاج المطبوع بمصر الجثة شخص الانسان قاعداً أو قائماً فأما القائم فلا يقال له جثة فقوله أو قائماً غلط من الناسخ أو سبق قلم يدل عليه قوله فأما القائم فلا يقال له جثة

ح ر س — وقال زيد مُجْرَسٌ لعمرو هكذا ضم الميم وأورد الشاهد كذلك مضموم الميم وفي لسان العرب مَجْرَس بفتح الميم وفي الشاهد كذلك مفتوحها ثم كذلك في كلام أبي حنيفة .

ج ر ع — جاء بالشاهد هكذا :

بأجرع مقفار مَرَب محلل

ولكنه في اللسان بأجرع مِرباع وهو المناسب لقولهم في تفسيره ولا يكون مَرَبًا محلّلاً إلا وهو ينبت النبات .

ج ر ف — وقال الجرف بالضم وبضمتين ... ج أَجرُف (أي وزان اكلب) وفي اللسان ج اجراف وجُرُوف (أي وزان ضروب) وجِرَفة ولم يذكر أجرُف ولا القياس يقتضيه .

ج ر م ز — وقال اجْرَمَزَّ فشدّد الزاي والصواب اجرمّز بتشديد الميم .

ج ز ر — وقال الجزّار والجزير والزاجر . وصوابه والجازر وأحسبه غلطاً مطبعياً .

ج ع ج ع — وقال ... من وجع أصابعه وصوابه من وجع أصابه ولعله غلط مطبعي .

ج ف س — وقال جَفِس جِفاسة أي بكسر الجيم والصواب جَفاسة كسحابة كما نص عليه صاحب التاج .

ج ف ل — جفله جفلاً جرفه . جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .

« — الإِجفَلَى كسر همزتها والصواب فتحها .

ج ق ق — جق الطائر جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .

ج ل ح — المُجْلِحَ الاكول جعلها كمُكْرَم والصواب أنها كمحدِث للأكول وكمعظّم للمأكول .

ج ل ط — قال جالطه كايده بالياء المثناة التحتية وصوابه كابده بالباء الموحدة كما في القاموس (١) وفي الشرح نسبه الى ابن الاعرابي .

(١) وربما كان الصحيح أو الأصح أن جالطه كاذبه قال في اللسان ومن كلام العرب الصحيح جلط الرجل يَجلط اذا كذب والجِلاط المكاذبة .

ج ل م د — وقال الجامد الرجل الشديد الصلب · وفي كتب الأئمة الجلمد الرجل الشديد الصوت كالجلمدة قاله الليث ·

ج م خ — جمخ جمخاً اذا فخر وتكبر من باب نصر وفي اللسان وغيره من باب منع ·

ج م خ ر — وقال الجمخر القصب الأسود من قصب العظام والصواب القصب الأجوف منها ·

ج م ع — وقال الجامعة الغل لضرب من الحلي لأنها تجمع اليدين الى العنق هكذا يعللها · وليس في الحلي ضرب يجمع اليدين الى العنق والصواب أن يقول هكذا الجامعة الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق والجامعة ضرب من الحلي وبهذا تسلم عبارته ·

ج م ن — وقال الجمانيّ الرجل الطويل أُجَّة على غير قياس · فكأنه منسوب الى الجمان كسحاب والصواب أُجُمّاني بجيم مضمومة بعدهاميم مشددة نسبة الى أُجَمَّة ·

ج ن ك — الجُنك من آلات الطرب هكذا ضم الجيم والصواب فتحها كما في شفاء الغليل ·

ج ه د — وقال الجاهد السهران · ونص الأئمة غرثان جاهد شهوان يجهد الطعام لا يترك منه شيئاً (مجاز) · فصحف وابدل ·

ج ه ر — وقال الحروف المجهورة المهموسة وظاهر عبارته ان المهموسة تفسير للمجهورة وليس الأمر كذلك وصحة العبارة ان يقول الحروف المجهورة ضد المهموسة ولعل كلمة ضد سقطت من الطابع ·

ج و ب — وقال الجوَبة الحفرة ··· ج جُوَب نادر لأن قياس فَعلَة ان تجمع على فعال كثمرة وثمار والصواب الجوْبة بإسكان الواو وجمعها جوْبات وجُوَب كصُرَد قال صاحب التاج وهذا الأخير نادر · وذلك لأن فُعلاً جمع فُعلة مضموم العين كغُرْفة وغُرَف ولم يذكر احد من الأئمة فيما أعلم الجوَبة محركة لمعنى الحفرة ·

ج و ر — قال ومنه في القرآن · أهل النار كلّ جعظري جوّاظ · وليس

هذا من القرآن بسبب ولا صلة ولو دقق في ما ينقله لقال وفي الحديث كما في النهاية ·

ج و ف — قال وتلعة جائفة قصيرة وصوابه قعيرة أي بعيدة القعر ·

ج و ل — وقـال الجِيْل بالفتح الجال ونص القاموس وشرحه (و) الجُول (ناحية القبر والبئر ··· كالجيل) بالكسر (والجال) كل ذلك في المحكم · والجيل واوي العين وانما حلّت الياء محل الواو لمكان كسر الجيم كما لا يخفى ·

ج و م — جمع الجَام على جَوم بالفتح وصوابه جُوْم كما في القاموس ·

ج ي س ر — وقال الجيسَّران جنس من أفخر النخل معرب كيسران بالفارسية · أورده صاحب القاموس في مادة ج ي س ، الجيسوان · بالواو وقال هو معرب كيسوان وأصله فارسي ·

ح ب ب — جمع الحُب للجرة على حَببَة بفتح الحاء والصواب كسرها كعِنَبَة ·

ح ب س — جمع الحبيس الموقوف على حَبسَى والصواب في جمعه حُبُس قال في اللسان والحُبُس جمع الحبيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه (الخ)

ح ب ط — وقال في الحَبَط (محركة) انها الآثار الوارمة التي تشقق وصوابه التي لم تنشقق ·

ح ب ل — وقال الحابول الكُرُّ وهو حبل ··· وصوابه الكَرُّ بالفتح ·

ح ت ر ف — وقال حترفه : زعزعه وصوابه حثرفه بالثاء المثلثة كما في القاموس ·

ح ث م — وجعل حثم له من باب نصر وصوابه انه من باب ضرب كما في المختار

ح ت م — وجاء في الشاهد على حَلّة وصوابه على حالة ·

ح ج ر — جاء في حديث الأحنف قد رميت بحجر الأرض فاجعل معه ابن عياض صوابه ابن عباس ·

ح ج ز — وقال حجز : زنخ لمرض في المعَى صوابه زنج (بالجيم) والزَنَج محركة اسم لمرض في المعى والمصارين صرّح بذلك الأئمة ·

ح ج ل وقال الحجّـال : البرّاق وصوابه البريق كما في القاموس ·

" " ربّى حجل : لعبة ··· وصوابه دُبّى بالدال

ح ج ل — التحجيل بياض ... من آثار الطراد وصوابه من آثار الصرار .
〃 جاوز الأدساغ وصوابه الأرساغ (جمع رسغ) .
ح ج ن — جعل حجن العود من باب نصر والصواب انه من باب ضرب .
ح د ب — جعل من جموع الحدِب بكسر الدال للرجل الأحدب . احداب .
وانما الأحداب جمع حَدَب الرمل بفتح الدال وفَعِل لا تجمع على أفعال قياساً .
ح د ب — وقال وحداب كقطام موضع ويعرب ممنوعاً ... قال جرير :
(لقد جردت يوم الحَدَاب نساؤكم) . واسم الموضع الِحداب بكسر الحاء وهو في بيت جرير كذلك كما في اللسان
ح ذ ل — وقال الحَذال . مستدار ذيل القميص وصوابه الحذَل وزان جبَل .
〃 〃 الحَذْل صمغ الطلح والصواب الحُذال بضم الحاء وفتحها وفسروه بشيء يكون في الطلح شبيه الصمغ .
ح ر د — وقال قطاً حُرُود بالضم سراع كما في القاموس . والذي في القاموس حرُد وزان عنق .
ح ر د — وقال حاردتْ حالي : تنكَّرت وصوابه تنكَّدت بالدال .
〃 〃 وتْرحَرْد: بعض قواه أطول من بعض وصوابه وتَرٌ وزان جبَل .
ح ر ر — 〃 الحُرّان بصورة التثنية والحُرَّابي وهما اخوان فغلب الحُرُّ على ابي كما في الأب والأُم ونصُّ اللسان والحُرّان الحرُّ وأخوه أُبَيّ ... كان أحدهما أشهر من الآخر سميا جميعاً باسم الأشهر والعجب من المؤلف كيف عدل عن عبارة اللسان الواضحة الى عبارته هذه المسلطة .
ح ر س — وقال: قالوا ولا يقال حارسيّ الا اذا ذهب به الى معنى الحراسة دون الجنس والصواب لا يقال حارس (بدون ياء النسبة)
〃 الحَرَمي واحد حرَس السلطان ج حرَسيَّة . ان هذا الجمع غريب وأحسبه عامياً ونص الأئمة الحُرّاس .
〃 وقال فلان يأكل الُحراسات وصوابه الِحراسات بكسر الحاء كما في اللسان

ح ر ص — جاء في جمع الحريص على حراصاء وصوابه حرصاء كحكيم وحكماء واحسبه غلطًا مطبعيًا .

ح ز ن — وقال حزنه حزنا . . لغة تميم واحزنه مثل حزنه وحزنه لغة قريش . والذي جاء في اللسان هكذا . الجوهري حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقدقرئ بهما اه . وحكي عن ثعلب ان الثلاثي لغة قريش وأقرهما الأزهري وهو قول ابي عمرو .

ح س ب — وقال استعطاني فاحتسبته اكثرت له (الاساس) لكن عبارة الأساس فأحسبته أي على افعل لا على افتعل ويشترط في النقل الأمانة .

ح س ر — وقال وكل ما في القرآن من حسرة فهي الندامة الا قوله فيجعل الله قلوبهم حسرة فان معناه الحزن أما الآية فقد حرفها ونصها : « ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم» (١٥٦ آل عمران) وقد قيل في معنى الحسرة في هذه الآية الندامة وجاءت الحسرة في القرآن لغير الندامة في قوله تعالى : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » . فكليته هذه منقوضة على ان الأصل في معنى الحسرة الكشف والمراد بها الغم بما انكشف من فوات شيء هكذا قالوا .

ح س ب — وقال والحسبان بالضم الحساب ومنه في القرآن : « الشمس والقمر بحسبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدر . و — السهام الصغار الواحد حسبانة . وهذا كل ما جاء في أقرب الموارد في معنى الحسبان . وأما ما جاء في كتابي (متن اللغة) في معناها فهو « الحسبان يكون جمعًا للحساب كشهاب وشهبان . ومصدر الحسب نحو الشكران والغفران واسمًا للمصدر و — العذاب و — البلاء والشر و — الجراد و — العجاج و — النار و — سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة ينزع في القوس ثم يرمي بها فاذا نزع في القصبة خرجت الحسبان كأنها غبية مطرت فتفرقت في الناس واحدها حسبانة وأصل الحسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وانما يقال لما يرمى به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب ويطلق اليوم على السوائل الملتهبة التي يقذف بها في الحرب ويصح إطلاقه على بنادق الرشاش المعروفة اليوم .

ح س ن — وقال ومنه في القرآن : قل هل تربصون الا احدى الحُسْنيين سقط من الآية بنا بعد تربصون .

ح ش ش — وقال قام فلان الى فلان فاستحشه اي حضر معه هكذا جاء بها من معنى الحضور وصوابه اي فصغر معه من الصغر أو من الصغار .

ح ط ط — وقال في مصدر حط البعير اَلحطاط وصوابه الحِطاط بالكسر وقد نصوا عليه " " منكب مُحَطّ ليس بمرتفع ولا مُستفَل (هكذا بالفاء) والصواب المنحط وهو من المناكب المُسْتَفَل الذي ليس بمرتفع ولا مُستقِلّ ومعنى المستفل (بالفاء) المحطوط والمستقل (بالقاف) المرتفع والعطف هنا عطف تفسير .

ح ط ط — وقال حط الرجل حطاً : حدر من علو الى سفل هكذا أورد الرجل بالجيم مرفوعاً على انه فاعل وصوابه حطّ الرَحْل بالحاء منصوباً على أنه مفعول وذلك اذا حدَره من أعلى الى أسفل .

ح ف د — وقال المحفِد كمجلس شيء تُعلّق فيه الدواب والصواب تعلف وقد أورده على صحته في الِمحفَد كمنبر فكان هذا غلطاً مطبعياً .

ح ف ن — وقال الحُفنَة بالضم ملء الكفين وكرر ذلك بهذا الضبط والصواب فتح الحاء في سائر مواردها لهذا المعنى كما في اللسان .

أخطاء مطبعية

جاء في كلمتي المنشورة في الجزء السابق من هذه المجلة أخطاء مطبعية فلتصحح بالقلم :

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١١٩	١	بالمنشار	بالمئشار	١٢٣	٧	در عيني	و — عيني
١١٩	١٢	آنج	آخ	١٢٤	٢	انى الله	اني أنا الله
١١٩	١٧	البانورنج	البابونج	١٢٤	١٧	الحثي	الحتى بالتاء المثناة

النبطية (جبل عاملة) أحمد رضا

الملك الظاهر بيبرس (١)

— ٢ —

وكان أولُ ما صنعه بيبرس مكاتبة ملوك الأطراف وأمراء الشام بأمر تسنمه عرش المملكة المصرية . ومن هؤلاء الملوك صاحب حماة الذي بايعه مغتبطاً جذلان . ولم يتخلَّف عن طاعته سوى (الأمير سنجر الحلبي) نائب دمشق فانه حلَّف أمراءها لنفسه . ثم دعا اليه صاحب حماة الملك المنصور فأبى قائلاً : (أنا مع من يملك الديار المصرية كائناً من كان) . وجعل سنجر يحبّب أهل دمشق بنفسه . وعرَف منهم حبَّ اللهو فيسر لهم أسبابه . وأمر بتجديد القلعة . فعملوا في بنائها حتى النساء أنفسهن . ولما كملت زفوها بالمغاني والطبول والبوقات . فكان يوماً مشهوداً . وبلغت فعلته ومروقه من الطاعة بيبرس فاتخذ خطة حازمة أدت أخيراً الى خضوع سنجر فولى مكانه على دمشق سيده الأول (الأمير ايديكين البندقداري) وأخذ بيبرس يتتبع أخبار أمراء الأطراف الذين يخشى انتقاضهم عليه : فكان يلتقطهم الواحد بعد الآخر : ينكل بهم أو يسجنهم أو يستصفيهم وينعم عليهم . واهتم اشد الاهتمام بأمر الخلافة العباسية التي أسقطها التتار وأراد استثمار هذا الأمر في مصلحته وتثبيت مملكته والتفوّق على مناوئيه من الملوك ولا سيما بني أيوب فهو باحتضانه الخلافة العباسية يصبح هو وحده حاميها والمفوّض من قبلها في حماية الاسلام . وصيانة بلاد الاسلام .

وقد بلغه أن التتار بعد أن قتلوا الخليفة المستعصم أطلقوا من في سجنه من أهله . وكان فيهم (ابو القاسم أحمد) الذي لقب (بالمستنصر الثاني) فلجأ الى عرب العراق وجعل يتنسم أخبار بيبرس متشوّقاً اليه . وبيبرس أكثر شوقاً

---

(١) القسم الثاني من محاضرة الأستاذ المغربي التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ ٢١ كانون الأول سنة ١٩٤٥ وقد نشر القسم الأول في العدد السابق .

اليه . وأشدُّ رغبة فيه . وبقيت الخلافة شاغرةً مدة ثلاث سنوات ونصف حتى وفد المستنصر أخيراً على بيبرس في حماية أميرْ عرب الفضل (عيسى بن مُهنّا) فركب الملك للقائه وأقيمت المهرجانات في القاهرة عند قدومه . وبويع المستنصر بالخلافة . وكان أول من بايعه قاضي القضاة ثم بايعه بيبرس فالعلماء والأمراء . وبعد ان تمت البيعة للخليفة جاء دور إعلان ملكية بيبرس . فعُقدت لذلك حفلة كبرى . وكان الخليفة أمر بتفصيل خلعةٍ سوداء وبعَمَل طوقٍ من ذهب . وقيدٍ من ذهب . وبكتابة تقليد بالسلطنة . فقُرِيْ التقليد ، وألبس الخليفة بيبرس الخلعة السوداء بيده ، وطوّق عنقه بالطوق الذهبي ، وقيّد رجليه بالقيد الذهبي . وشقّ القاهرة بموكبه ، والأُمراء يمشون بين يديه . فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه .

ولا غرابة في أن يُطوَّق الملك بطوق الذهب ، فقد كان ذلك مألوفاً في تزايين الملوك الأقدمين ، وآيين احتفالاتهم ، ولكننا لم نفهم معنى للقيد الذهبي في رجل بيبرس ، فهل كان الغرض منه أن يكون خلخالاً للزينة كالطوق ؟ أو هو رمز الى ان بيبرس سوف يبقى عبداً للخلافة مقيداً بخدمتها ، وأسيراً لفضلها ومنّتها !

وقد جاء في تقليد الخليفة لبيبرس ما نصه : (وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار المصرية والشامية والفراتية والحجازية واليمنية ، وما يتجدد من الفتوحات غوْراً ونجدا . وفوّض أمرها اليك حين أصبحت للمكارم فردا) .

وهكذا انتقل الأمر والنهي من سُلطة العرب إلى سلطة الأعاجم وبقي الخليفة في مصر لا شأن له . وكان أشبه بالسجين لكنه كان يزور أحياناً الأُمراء والكتاب والقضاة : يهنئهم بالأعياد ، فالملك الظاهر إنما أعاد الخلافة العباسية لأَجل ان يتلقى منها السلطة الشرعية ، ويحتجّ بها على منافسيه ، ثم أهملها حتى قام زميله الأعجمي الآخر (السلطان سليم العثماني) فنقل الخلافة من

مصر الى الاستانة وهناك طُمس اسمها ، ومُحي رسمها ، حتى قام السلطان (عبد الحميد الثاني) فحاول إحياءها والاستفادة من قداستها ، فلم يَرُق ذلك لمن يدهم السيطرة العالمية فاحتالوا على إسقاطها في الاستانة ، ثم أرادت ان تنهض في مكة ولكنهم عادوا فأماتوها في قبرص .

ومنصب الخلافة أيها السادة ثالث ثلاثة محاور تدور عليها جامعة الاسلام ، فان كانت ماتت الخلافة فإن القرآن والكعبة حيان لن يموتا ، بل ان فيهما الكفاية لذوي الألباب .

وحصل في بلاد الشام خلاف بين أمرائها أدى الى وقائع ومناوشات فاتخذ بيبرس من نزاعهم ذريعة الى زيارتها ، وهناك شيء آخر قام في نفسه : وهو ان يصطحب الخليفة الجديد ويجهزه الى استرداد بغداد من ايدي التتار فدخل بيبرس دمشق وهو معه .

وهذه أولى سفرات بيبرس الى الديار الشامية ، وقد بلغت سفراته اليها ست عشرة سفرةً ، ومدة سلطنته ثماني عشرة سنةً ، فيصيب كل سنة وشهرين من أيام سلطنته سفرةٌ واحدةٌ الى الشام . وسنذكر ما جرى له في تلك السفرات ملخصاً تلخيصاً ، أما تفاصيلها فمدوّنة في كتب التاريخ لمن أرادها .

ولما نزل دمشق كان أولُ من جاءه فيها ملك حماة (المنصور) الذي أنِفَ أن يشتريه خوف الشر اللامع في عينيه لكن بيبرس لم يأنف من الحفاوة به والاحسان اليه : فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم ، وهدايا أخر ، وثبّته في مملكة حماة الى ما شاء الله حتى كان من ذريته المؤرخ (ابو الفدا) ملك حماة ومفخرتها . وأخذ بيبرس في إعداد حملة للخليفة (المستنصر) وتجهيزها بكل وسائل الأبهة والعظمة ، حتى قيل إنه أنفق عليها أكثر من مليون دينار ، وسار الخليفة وفي ركابه عدة ملوك ، أما بيبرس فلم يصحبه ، ولم يلق بنفسه في الأتون :

ذلك أن الخليفة لما دخل العراق انقاد اليه بعضُ مدنها ، واستعصى عليه بعضها ، وصمد اليه (قرابوغا) عظيم التتار بجنوده وذلك سنة (٦٦٠ هـ) ولم يكن مع

الخليفة من الجنود الا التركمان وجماعة من العربان . وتسلل من رافقه من الملوك ، فلم يشهدوا الوقعة معتذرين بقولهم (ما معنا مرسوم بذلك) يعنون من بيبرس فهل كان هذا التدبير من مكايد بيبرس للتخلص من الخليفة الأسود اللون والمشكوك في نسبته الى بني العباس ، فورطه في هذه الفتنة التتارية حتى غرق فيها . ولم يظهر له أثر بعدها ? وهذا ما حدث : فان المستنصر لما التقى بالتتار أحاطوا به فنجا بعض أمرائه ومنهم أمير عرب الفضل (ابن مهنا) وقتل بعضهم . أما هو فلم يوقف له على خبر : قيل قتل ، وقيل نجا مجروحاً ومات في منازل العربان ، وقيل سلم وأضمرته البلاد ، وهكذا تم ما أراده بيبرس وتخلص من الخليفة بعد أن أصبح ملكاً شرعياً بمبايعته له .

ولعل بيبرس لم يرد هذا وانما اراد بهذه الحملة أن يعجم عود التتار ومبلغ قوتهم ، ولم يشأ أن يغامر بنفسه وهو بعد في السنة الثالثة من ملكه ، فلم تتوفر لديه القوة ولا أسبابها من عتاد وسلاح ، ولم يطمئن بعد الى من حوله من الأمراء الطامعين في الملك : فان بعضهم ما زال يراوغ ويضمر السوء ، وينزو هنا وهناك نزوان الثعالب . ومنهم الأمير (آقوش البرونلي) الذي أراد أن يستبد بحلب ثم عاد فخضع .

ورجع الملك الظاهر الى مصر من دون أن يكون معه خليفة ، غير أن مصر اصبحت مطمح أنظار الطامعين بالخلافة من آل العباس فقصدها منهم (الحاكم بأمر الله) فاحتفى به بيبرس وعقد مجلساً لمبايعته فبويع لكنه رسم عليه أن يبقى في القلعة شبه سجين .

وفي سنة (٦٦٣ هـ) كثرت الشكاوي على قاضي مصر (ابن بنت الأعز) ونسبوا اليه التراخي في الأحكام فرأى الملك أن يجعل القضاة أربعة : لكل مذهب قاض في مصر وفي دمشق أيضاً ، واتفق ان كان من قضاة دمشق ثلاثة ، كل منهم كان يلقب بشمس الدين : شمس الدين بن خلكان الشافعي . وشمس الدين الأذرعي الحنفي ، وشمس الدين بن أبي عمر الحنبلي . فقامت دمشق

تشكو، وتقول : ما الفائدة من هذه الشموس . وظلام الجور مخيِّمٌ فوق الرؤوس ،
وقال شاعرهم : بدمشقٍ آيةٌ قد ظهرت للناس عاما
كلما ازدادوا شموساً زادت الدنيا ظلاما

وكان التحاسد والتنازع حول الوظائف الدينية بالغاً مبلغه في ذلك العهد : من ذلك ما ذكره (ابن أبي عُذيبه) في تاريخه : ان التتار لما وصلوا الى حمص جمع الشيخ (محي الدين بن الذكي) صدرُ دمشق في ذلك العهد علماءها ، وأهل المناصب فيها وأشار عليهم أن يهيئوا هدية سنية يتوجه بها الى حمص ويقدمها الى ملك التتار باسم مدينة دمشق ملتمساً منه عدم التعرض لها بسوء ، فاستحسنوا رأيه ، وأخذ الهدية وقدمها اليه فقبلها شاكراً وولاّه قضاء الشام . فكبر الأمر على منافسيه من علمائها ، فجازوه على حسن صنيعه : بأن أرسلوا الى (الملك الظاهر) يقولون : ان الشيخ الذكي اقتطع لنفسه من الهدية قسماً كبيراً وطلبوا محاسبته ، فاستدعاه الملك الى مصر وسأله عن القضية فشرحها له ، ولما تبين صدقه نَفِسَ به أن يعيش في دمشق بين أولئك الحسدة فأبقاه لديه في مصر .

ولما استقرت الحالة الداخلية في المملكة أخذ الظاهر يفكر في الحالة الخارجية وكان يهمه في الأكثر تطهير البلاد من الصليبيين ، فخرج من مصر الى الشام وهي سفرته الثانية وذلك سنة ٦٦٤ هـ ونزل عين جات قرب نابلس ، ومنها بثَّ جنوده فأغاروا على عكا وصور وطرابلس فسبوا وغنموا . ثم نهض هو الى صفد فامتنعت عليه الا أن يحلف لهم هو نفسه على شروط الصلح ، وكان في صدره حزازةٌ عليهم فمكر بهم مكراً حاسبه عليه التاريخ ، ولامه ميور الانكليزي بسببه أشد اللوم : ذلك أنه أجلس على كرسيه أحد أمرائه (كرمون آغا التتاري) فحلف كرمون آغا لرسل صفد وهم يظنونه الملك الظاهر لشدة شبهه به .
وتسلم الملك القلعة ، وبلغه ان أهلها أخذوا بعض ما له قيمةٌ من التحف وكانوا تعهدوا أن لا يفعلوا . فأمر بضرب رقابهم ، ورجع الى مصر وكان أمر بعمارة جسر على نهر الشريعة فظهر خلل في بعض أركانه وتعذّر إصلاحه بسبب طغيان

المياه فقلق الملك واتفق ان وقعت قطعة من الجبال على المجاري فانقطع الماء. فأصلحوا الجسر وعادت المياه الى مجاريها . وعُدّ هذا من حسن طالع الملك.
ثم رجع بيبرس الى الشام لمناجزة الصليبيين في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ فاستولى على انطاكية في ٤ رمضان : ففي خلال الثلاثة الأشهر إلا أياماً اجتاز بيبرس قفار صحراء مصر وطور سينا حتى بلغ يافا ففتحها وفتح بعدها شقيف أرنون واكتسح أرباض طرابلس وحصن الاكراد ومرّ بحمص وحماة وأفاميا حتى انطاكية ففتحها : معاقل حصينة ، وعدوٌ جبار مسلّح ، ومسافات طويلة تبلغ زهاء الف كيلو متر ، ولا سكك حديد ، ولا سيارات نقل ، ولا طيارات ، ولا بخار ، ولا كهرباء ، ولا تلفونات . أليس كل هذا من خوارق همم جارنا الملك الظاهر ، وشدة مضائه ، وعجيب عزائمه ! وماذا كان شأن بيبرس في الشام بعد هذا الفتح ؟ كان شأنه في الشام كما كان شأنه في مصر : قلق واضطراب وحذر وسوء ظن يجعله لا يستقر على حال ، ولا يهدأ له بال . كان وهو في مصر يفكر في حال أمراء بلاد الشام وملوكها : أهم باقون على ولائه مستمسكون بطاعته ؟ يفكر في بقايا الصليبيين أما حان جَلاؤهم عن البلاد ؟ وهناك أرمن وتتار على الحدود في الشمال والشرق ما فتئوا يعيثون ويتربصون الدوائر بالبلاد — كل ذلك كان يزعجه فيُعَجّل من مصر الى الشام فيعمل ما سمعتم نموذجاً منه آنفاً . حتى اذا استقر في الشام أخذ يفكر في مصر وأمرائها : أباقون هم على طاعته والنصح له والالتفاف حول وليّ عهده وضجيعه في قبره (الملك السعيد) فيهبُّ من فوره ويسرع الى مصر . وهكذا قضى سِني ملكه يراوح بين الرحلتين . ويتنزّى تنزّيَ النمر بين القطرين .

اكتسح الشام وفتح انطاكية وعيّد في دمشق . وعاد الى مصر فدخلها في ١١ ذي الحجة سنة ٦٦٥ ورأى ان يحتفل بولاية العهد لابنه السعيد ففعل وأخذ القضاة يحلّفون الأمراء على بَيعته وإمحاض النصح في خدمته . وخرج الموكب من القلعة بأبهة السلطنة والظاهر بيبرس ماشٍ على قدميه أمام ابنه ، وولي عهده .

كل ذلك زيادة في تمكين السلطان له، وتقريره في نفوس الأمراء : فلا تحدثهم أنفسهم بالانتقاض عليه، واختلى به يوماً فقال له : (إنك صبيّ وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبيّ فمن بلغك عنه ما يشوّش عليك ملكك وتحققت ذلك منه فاضرب عنقه، ولا تستشر أحداً فيه، وافعل ما أمرتك به وإلاّ ضاعت مصلحتك) .

ولما هدأ باله من جهة ابنه سافر الى الشام لمقابلة رسل التتار فأنزلهم في القلعة واستقبلهم فيها وأدّوا رسالة ملكهم (ابغا بن هولاكو) ومما قال له فيهـا : (وأنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الأرض ما تخلص منا . فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحاً . وإنما أنت مملوك أُبِعتَ في سيواس (اي عُرضت للبيع فيها) فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ؟)

فوسَّع الملك الظاهر صدره لهذا التهديد والتعيير، وصرف الرسل برسالة ملخصها : إنه عامل على استرداد ما بأيديهم من بلاد الاسلام وسيرون .

ثم تسلَّل بيبرس عائداً الى القاهرة خفيةً، والناس في دمشق يظنونه مريضاً : تغدو الأطباء عليه وتروح .

ويُفهم من كلام المؤرخ (ابن تغري بردي) ان بيبرس غادر بلاد الشام في ١٨ شعبان وعاد اليها في ٢٩ منه، فكانت مدة غيابه احد عشر يوماً : منهـا أربعة أيام أقامها بمصر والباقي سبعةُ أيام للذهاب والإياب . أليست هذه السرعة في قطع المسافات من مواضع العجب إن لم تكن من مواضع الشك في صدق الخبر وضبط الأرقام ؟ اللهم الا اذا ادّعى مدع بأن بيبرس كان يمتطي خيل البريد المهيأة له في المنازل وهو منذ حداثته في بلاده اعتاد ركوب الأفراس والطراد عليها، وكأن شربه حليبها . أورثه صبرها ودؤوبها . وجعل اعصابه من أعصابها، ووثوب الفهد ليس من العجيب . وقديماً قالوا لكل مسمى من اسمه نصيب .

وكان غرضه من تعجيل الزيارة لمصر الوقوفَ على أحوال ولده وحسن قيامه بأعباء الملك واخلاص الأمراء له والاطمئنان الى خلو الجو من الدسائس والمؤامرات ؟ كل هذا كان يخافه الظاهر بيبرس لأنه درس طبيعة ذلك العصر

وأخلاق أهله منذ حداثته : فهو يعرف ان الابن أحياناً يخون أباه وبالعكس ، والخشداش (١) يخامر على خشداشه ويسلمه الى الهلاكة · فلا تعجبوا أيها السادة من سوء ظن جارنا الملك الظاهر وشدة حذره ·

وفي سفرته هذه الى الشام شخص منها الى الحجاز فأدى الفريضة وزار المدينة المنورة فهرب منها المتغلب عليها (جمّاز بن شيحة) من امراء عرب الفضل · فعجب بيبرس لهروبه · قال : ولو ظفرت به لما قتلته لأنه في حرم النبي ﷺ · ورجع الى مكة فطاف وسعى وصعد الكعبة وغسلها بيده بماء الورد وعاد الى الشام فمصر فأغدق الهدايا والخلع والمال على أمرائه ، ثم عاد الى الشام وهذه هي السفرة السادسة من سفراته ، وأريحوني أيها السادة من تعيين مقدار الأيام التي كان يمكثها هنا وهناك وفي الطريق فقد عرفتم نماذجها مما مر · وأنا أشعر أنكم مذ تتصورون قلقلة الظاهر ركابه في سفراته · ونشاطه في غدواته وروحاته تقارنون بينها وبين سكونه الأبدي في هذه الحفرة الضيقة التي وصفها سيدنا علي فقال : (لو زيد في فسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطها الحجر والمدر ، ولسدّ فرجها التراب المتراكم) ·

وقد أمّر بيبرس وهو في الشام ابن اخت ملك عكا ، وبلغه ان مراكب الافرنج دخلت ميناء الاسكندرية واستولت على مركبين للمسلمين فهبّ مسرعاً الى مصر ، وبلغه هناك ان مراكب الافرنج عادت فنهبت ميناء الاسكندرية فأمر بتقوية وسائل الدفاع عنها : من ذلك أن تقتل كلابها ، وتغلق حوانيتها ليلاً وان لا يوقد فيها نار ليلاً · ونهض الى الشام · وهذه هي سفرته السابعة فمر بعسقلان فهدم سورها فوجد تحته كوزين فيهما ألفا دينار ذهباً ففرقها على أصحابه · ولم يصل هذه المرة الى دمشق بل عاد الى مصر ثم لم يلبث أن عاد

(١) الخشداش كلمة تركية شاع استعمالها بين مماليك ذلك العهد ، وكان الواحد منهم يطلقها على مملوك آخر توثقت بينهما أواصر الود مذ كانا مملوكين لسيد واحد ، وجعلها بعضهم مرادفة لكلمة Camarade الافرنسية ·

الى الشام فدوّخ وفتح وأسر من الصليبيين حتى التى عصا التسيار أخيراً على (حصن الأكراد) المعقل المنيع المشهور بين حمص وطرابلس فهدم أسواره واستولى عليه . وعلى البلاد التي حواليه .

ثم قصد طرابلس وشدّد الحصار عليها . وفي آخر الأمر هادن صاحبها (بيموند) على شروط : ومن تلك الشروط أن تكون عَرْقة وقُراها (وهي ست وخمسون قرية) صدقة من بيبرس على البرنس ، وهذه احدى دُعابات جارنا الملك . فأنف البرنس (بيموند) وتوقّف عن توقيع الاتفاقية وأبى بيبرس إلا إبقاء هذا الشرط بهذا التعبير . وفي آخر الأمر وقع البرنس الاتفاقية مكرهاً .

وعاد الظاهر الى مصر بعد أن أنفق في هذه السفرة على عسكره ثمانمائة الف دينار . وكان بلغه أن طائفةً من الأمراء تآمروا عليه وهو ما كان يخشاه ويقلق راحته فقبض عليهم وسجنهم في القلعة .

وبلغه ان صاحب قبرص جاء الى عكا فاغتنم بيبرس فرصةَ غيابه وأرسل الى قبرص حملةً بحرية فعصفت بها الرياح وتحطم من شوانيها (أي سفنها) أحد عشر من سبعة عشر شونياً . وأخذ من فيها أسرى ، وكانوا ألفاً وثمانمائة . فعظم ذلك على الملك وأمر بمنع الخمور فأريقت . وكان التزامها ألف دينار كل يوم .

(لها بقية) المغربي

ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثاني)

ترجمة المؤلف

ابن طولون : هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد المدعو بمحمد ابن علي بن خمارويه ابن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي المكنى بأبي الفضل ·

ولد بصالحية دمشق في حكر الحجاج المشهور في زمنه باسم حكر بني القلانسي قبلي مدرسة الشيخ ابي عمر كما يقول هو عن نفسه [1] ويقول ابن العماد في شذرات الذهب : انه ولد بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية · قلت ولا تناقض فان السهم الأعلى اسم يشمل المدرستين العمرية والحاجبية وما حولها وكل ذلك زال في يومنا هذا وانما يطلق عليه اسم حارة لاكراد · والعمرية باق اكثر مرافقها أما الحاجبية فلم يبق منها الا حيطانها ولا تزال معروفة باسم الحاجبية [2] · وكان مولده في ربيع الأول من شهور سنة ثمان وثمانمائة تقريباً كما يقول هو عن نفسه · ماتت والدته — ازدان التركية — فعني به أبوه وتعلم الخط بمكتب المدرسة الحاجبية ثم حفظ القرآن بمكتب مسجد الكوافي الشهير الآن بمسجد العساكرة بالسهم الأعلى وصلى به في هذا المسجد في رمضان سنة سبع وثمانين وحضر خلفه في الصلاة شيخ الاسلام زين الدين بن العيني الصالحي وشمس الدين محمد بن عيسى البغدادي · ثم حفظ المختار في الفقه الحنفي وعرضه على الزين العيني بمحل تدريسه

---

(١) انظر رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » لابن طولون نفسه وقد ترجم فيها نفسه ونشرها السيد حسام الدين القدسي باسم رسائل تاريخية رقم [١] بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٨

(٢) انظر كتاب منادمة الأطلال للمرحوم بدران ، وكتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وعلقنا عليه وذيلناه ·

بالجامع الأموي ، ثم حفظ كتاب المنار في أصول الفقه الحنفي للحافظ النسفي وكتاب الخلاصة الألفيــة لابن مالك النحوي . والآجرّومية لابن آجرّوم ، وكتاب الحدود لأبي عبد الله الآبدي والمقدمة الجزرية لشمس الدين بن الجزري وعرض هذه الكتب سنة اربع وتسعين وثمانمائة على جماعة منهم شيخ الحنفية بدمشق العز بن الحمراء ، وشيخ الشافعية التقي بن قاضي عجلون ، وشيخ الحنابلة الشهاب العسكري ، وقاضي قضاة الحنفية المحب بن القصيف ، وقاضي قضاة الشافعية الشهاب بن الفرفور ، وقاضي قضاة الحنابلة النجم بن مفلح ، والقاضي التقي بن قاضي زرع ، والقاضي المسند البرهان القطب . ثم حفظ تلخيص المفتاح للجلال القزويني والشمسية في المنطق ، والفية الحديث للعراقي ، وحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع لابي القاسم الشاطبي ، والدرة في القراءات الثلاث تتمة العشرة لابن الجزري ، وعرضها على الجمال يوسف بن عبد الهادي . وقرأ القرآن بالسبع أفراداً وجمعاً على محي الدين الاربدي ، وبالثلاث تتمة العشرة على الشيخ شمس الدين ابن البصير امام باشورة الباب الصغير . ثم اقبل على رواية الحديث النبوي عن جماعة منهم : ناصر الدين ابو البقاء محمد بن أبي بكر بن ابي عمر الصالحي الشهير بابن زريق ؛ قرأ عليه في مدة عشر سنين أكثر أمهات كتب الحديث وقد سماها باسمائها في الفلك المشحون [1] كما أطال بذكر ترجمة شيخه هناك . وقرأ أيضاً على أبي الفتح المزي ، وخديجة الارموية . وكان يعني أثناء ذلك بالاشتغال بعلم الحديث النبوي دراية فقرأ على الشيخ المحدث جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المشهور بابن المبرَد بعض كتب السنة وكتاب النخبة وشرحها لابن حجر ، وقرأ على شمس الدين بن رمضان حل الفية الحافظ العراقي ، وقرأ على عمه الجمال بن طولون شرح الفية العراقي لزين الدين بن العيني ، ثم قرأ علم الكلام على جماعة منهم الملا عبد النبي شيخ المالكية : قرأ عليه شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية الخيالي ، ثم شرح الطوالع للاصفهاني ، وقرأ علم الاصول على جماعة منهم البرهان ابن عون ؛ قرأ عليه شرح المنار لابن فرشته ثم شرح المغني للقاءاني ثم شرح

(١) انظرها في ص ١٠ — ١١

التنقيح لصدر الشريعة . وقرأ علم أصول النحو على جماعة منهم عبد الصمد الهندي قرأ عليه : الاقتراح للسيوطي . وقرأ علم النحو على جماعة منهم الشهابي بن شكم: قرأ عليه الأجرومية والبصروية للشمس البصري ، والملحة للحريري ، وقواعد الاعراب والشذور وشرحه لابن هشام ، ثم الفية ابن مالك وشرحها لولده . وقرأ علم التصريف على جماعة منهم الشمس بن رمضان قرأ عليه شرح العزى للتفتازاني ، ومنهم الشمس الصفدي قرأ شرح المراح ، ومنهم المنلا عبد النبي الهندي قرأ قرأ عليه بعض شرح الشافية للجاربردي . وقرأ علم المنطق على جمع منهم المنلا شمس الدين قرأ عليه الرسالة الأثيرية لأثير الدين الأبهري المشهورة بايساغوجي ثم شرحها للكاتي ثم لابن الفنري ، ومنهم المنلا عبد النبي قرأ عليه الشمسية ثم شرحها للقطب والتفتازاني ، ثم شرح المطالع للقطب وجمل الخونجي وشرحها للسيد وقرأ علم التفسير على جماعة منهم الشهاب العسكري : قرأ عليه بعض اتقان السيوطي ، ومنهم المنلا جلال الدواني قرأ عليه تفسير الفاتحة من الكشاف ثم تفسير آية الكرسي للشرواني ، وقرأ علم العروض على جماعة منهم : الشهاب بن شكم قرأ عليه الأندلسية لأبي الجيش الأندلسي ، ومنهم الشمس بن نصير قرأ عليه الخزرجية . وقرأ علم القوافي على جمع منهم : الشهاب بن شكم والشمس بن نصير وقرأ عليه الكافي لابن بري . وقرأ علم الطب على جمع : منهم رئيس الأطباء بدمشق الشمس بن مكي قرأ عليه متن الكليات الايلاقي ثم شرح كليات القانون للرازي ثم الموجز لابن نفيس ، وبعض شرح فصول ابقراط لابن القف ، وشرح المنلا نفيس على الأسباب والعلامات للسمرقندي وكتاب المنصوري ، ومنهم الجمال ابن المبرد قرأ عليه كتابيه في الأعشاب والطب النبوي ، ومنهم الشهاب القرعوني قرأ عليه اماكن من كتاب الامنيات في الحميات لمومي اليلداني ، وقرأ علم الهيئة على جماعة :منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الملخص للجغميني وشرحه للسيد الشريف . وقرأ علم الهندسة على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه إشكال التأسيس للشمس

إلىالسمرقندي ثم شرحه للسيد الشريف ، وقرأ علم المعاني على جمع منهم الشمس ابن رمضان ، وعلم البيان على الشمس وعلى عبد الصمد الهندي ، وعلم البديع على الشمس والعلاء بن مليك . وقرأ علم الحساب على عرفة الوراق والمنلا عبد النبي الهندي . وعلم الفرائض على عمه الجمال بن طولون وعرفة الوراق والبرهان بن عون . وقرأ علم الميقات على جمع منهم ابو الحسن المنوفي ؛ قرأ عليه رسالة المقنطرات للشرف الخليلي ثم رسالة الجيب للشمس التيزيني ؛ ومنهم عرفة الوراق قرأ عليه منظومة المقنطرات للبرهان الزمزمي ، ومنهم الشيخ الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه رسالته الشمسية في الأعمال الجيبية ، ثم كتاب تحفة الأحباب في الباذهنج ونصب المحراب لأبي العباس ابن المجدي ، وقرأ علم الفلك على جمع: منهم الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق لأبي العباس بن المجدي ، ورسالة حساب الدرج والدقائق بجدول النسبة الستينية لأبي الفضل الموقت ، وكتاب النيرين من زيج ابن الشاطر ، ومنهم ابو الفضل المؤذن قرأ عليه الكواكب السبعة من مختصر زيج ابن الشاطر الملقب بالدر الفاخر اختصار الشهاب الحلبي . وقرأ علم الطبيعي على جمع منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الهداية لأثير الدين الأبهري ثم شرحها للمنلا زاده ، وقرأ علم الآلهي على جمع منهم : الشمس بن مكي وقرأ عليه الهداية . وقرأ علم التاريخ على جماعة منهم : يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، وقرأ علم اللغة على جماعة منهم الشهاب العسكري قرأ عليه أماكن من المزهر للسيوطي ، وقرأ علم التصوف على جماعة منهم : ابو الفتح الاسكندري قرأ عليه اماكن من كتابة ابتغاء القربة باللباس والصحبة ، منهم الجمال يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه كتابه صدق التشوف في علم التصوف وكتابه يد العلقة بلبس الخرقة والبسه اياها ومنهم ابو عراقية وقرأ عليه عوارف المعارف ثم البسه الخرقة ايضاً . وقرأ علم الفقه على جمع منهم الزين بن العيني قرأ عليه بعض كتاب المختار للفتوي للشيخ المجد البغدادي ، ومنهم البرهان بن القطب قرأ عليه بعض كتاب المختار ، ومنهم شيخ القجماسية

الشمس بن رمضان قرأ عليه بعض الكتاب المذكور والكنز للحافظ النسفي واجازه بالتدريس في ٧ ربيع الأول سنة ٩٩٩ ، ومنهم امام الحنفية البرهان بن عوف قرأ عليه مجمع البحرين لابن الساعاتي ، والهداية للمرغيناني ، اجازه بالافتاء في سنة ٩١١ . وقال في كتابه الفلك المشحون بعد ذكر ما تقدم : وقد اشتغلت بعلوم اخر على اشياخ غرباء اعرضت عن ذكرها هنا لقلة اهتمامي بها ومن اراد الاطلاع على معرفة ما تيسر لي نوع إلمام به من انواع العلوم فعليه بكتابي المسمى باللؤلؤ المنظوم فاني ذكرت في كل واحد منها ما تيسر لي من رسمه وموضوعه وغايته وعمن اخذته وماذا كتابي فيه واي شيء لي فيه من تأليف الى حين وضعي هذا المؤلف وفائدة مهمة منه وغالباً لا اخل بذكرها اجمع اذ هي الغرض وربما يستفاد منها أمور اخرى بالعرض ومجموع ما ذكرت فيه من العلوم ثمانية وثلاثون علماً على عدد موالي النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمنها علوم أخر تزيد مع هذه على اثنين وسبعين علماً . ثم سرد بعض أجازاته فارجع اليها اذا شئت[1]

اما الوظائف التي وليها فهي انه كان اول امره يعقد الأنكحة باذن من الخليفة بمصر وقد ذكر طرفاً من صيغ عقوده هذه في كتاب الفلك المشحون فارجع اليها[2] ومن وظائفه قراءة القرآن تحت قبة النسر بالجامع الأموي وذلك حسب وقف السلطان المؤيد شيخ ، وقراءة القرآن بالتربة الشهابية بسفح قاسيون ، وقراءة القرآن ايضاً بالتربة الاسعردية [السعرتية] بالجسر الأبيض ، وقراءته بالسبع في المدرسة العمرية الى غير ذلك من القراءات القرآنية التي احصاها في ترجمته[3] ومن وظائفه قراءة الحديث النبوي بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى[4] وقراءة صحيحي البخاري ومسلم في وقف آسية بنت السعيتي بإيوان تربة اهلها بالجامع الجديد . وقراءة البخاري المنسوبة لعم والده الخواجا برهان بن

(١) الفلك المشحون من ص ١٨ الى ص ٢٠ (٢) المصدر السابق ص ٢٠ — ٢٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٢ — ٢٣ (٤) أقول هي المدرسة العزية ولا تزال موجودة أمام مدرسة التجهيز وانظر كتابنا ثمار المقاصد .

قنديل٠ ومن وظائفه امامة الخانقاه اليونسية بالشرف الأعلى وكان ساكناً بها في ٨ ربيع الآخر سنة ٩٠٨ [1] ومنها امامة الزاوية السيوفية بمحلة الفواخير في سلخ رجب سنة ٩٠٨، وامامة عمارة السلطان سليم بالصالحية وهو أول من وليها في مستهل محرم سنة ٩٢٤ ٠ ومن وظائفه خطابة المدرسة الركنية بسفح قاسيون في ١٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ الى ان خربت محلتها ٠ ومن وظائفه المشارفة والنظر على على المدرسة المرشدية وكان له ربع اجرة المشارفة ٠ ومن وظائفه تفرقة الربعة بالمدرسة الجوهرية في ١٢ رجب سنة ٩٠٩ ٠ ومن وظائفه خدمة الكتب الحنفية بالمدرسة العمرية، وخدمة الكتب المنسوبة لعبد الرحمن بن العيني الموضوعة في تربته بالخاتونية داخل الجامع الجديد بالصالحية، وخدمة الكتب المنسوبة للعلاء البخاري الموضوعة بمشهد عروة بالجامع الأموي وقام بذلك سنين عن عمه الجمال ومن وظائفه كتابة الغيبة بالمدرسة الجوهرية ٠ ومن وظائفه تدريس التصوف بالخانقاه اليونسية والخانقاه الحسامية بالقرب من الشبلية [2] ٠ ومن وظائفه أيضاً الفقاهة في الماردانية والخاتونية البرانية وفي ايوان الجامع الجديد، والمدرسة الجوهرية والمرشدية والنجكية، والدماغية داخل باب قلعة دمشق، والجمالية والشبلية الجوانية [3] ومن وظائفة الاعادة بالمقدمية الجوانية ٠ ومن الوظائف التي كان يشغلها التدريس في الماردانية، والعذراوية، والحنفية بالمدرسة العمرية ومن وظائفه أيضاً المشيخة بزاوية المنبجية بالربوة، وبالخانقاه اليونسية، وبالزاوية السيوفية، ومن وظائفه نيابة النظر في الخانقاه اليونسية ووقفها، والزاوية المنبجية بالربوة ووقفها، والنظر على زاوية السيوفي ووقفها، ووقف ذريته، والنظر على مكتبة العلاء البخاري، وفي سنة ٩٤٦ عرض عليه قاضي دمشق محمد باك الاصطنبولي خطابة الجامع الأموي فاعتذر لضعف بدنه٠ وفي سنة ٩٥٠ عقيب موت مفتي الحنفية القطب

---

(١) الخانقاه اليونسية هي التي يسميها العامة في هذه الأيام بجامع الطاووسية ولها بابان أحدهما من البحصة والثاني من طريق الصالحية وانظر أيضاً كتابنا ثمار المقاصد (٢) انظر ثمار المقاصد

(٣) وهناك مدارس اخرى ذكر ان له فيها (فقاهة) وما أدري ما المراد بهذه الكلمة ولكن المراد بها انه كان مسجلاً في هذه المدارس كفقيه يطلب العلم وله شيء من وقفها ٠

محمد بن الكمال الصالحي عرض عليه افتاء الحنفية فاعتذر وتعلل بتوالي الأوجاع (١).

وظل على تدريسه ووظائفه الى ان ادركه الأجل يوم الأحد حادي عشر أو ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ودفن بتربتهم عند عمه الجمال بن طولون بالسفح قبلي الكهف والخوارزمية، هكذا يقول النجم الغزي (٢) في كتابه الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة وابن العماد في الشذرات وقد فتشت طويلاً بين القبور هناك فلم أعثر على قبره كما فتش عليه من قبلي السيد حسام الدين القدسي فلم يهتد اليه . ولم يعقب أحداً ولم يكن له زوجة حين مات رحمه الله .

تلاميذه وآثاره : قال النجم الغزي في الكواكب : أخذ عن ابن طولون جماعة من الأعيان وبرعوا في حال حياته كالشهاب الطيبي شيخ الوعاظ والمحدثين والعلاء بن العماد، والنجم البهنسي خطيب دمشق، وشيخ الاسلام اسماعيل النابلسي مفتي الشافعية والزين بن سلطان مفتي الحنفية، والشمس العيثاوي مفتي الشافعية الآن، وشيخ الاسلام شهاب الدين الوفائي مفتي الحنابلة الآن، وقريبة القاضي أكمل الدين بن مفلح وغيرهم .

أما كتبه فأكثر من ان تعد هنا . قال ابن العماد في الشذرات كانت أوقاته معمورة بالتدريس والافادة والتأليف كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق ستين جزءاً وسماها بالتعليقات كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ومنها كثير من تأليفات شيخه (أي بالاجازة) السيوطي . وقد أحصى في آخر ترجمته لنفسه كتبه وتآليفه وسردها بترتيب الحروف الابجدية وقد جاءت في نحو من ٢٣ صحيفة بالحرف الدقيق ذكرها أيضاً السيد جميل العظم في كتابه قلائد الجوهر فيمن لهم خمسون تأليفاً فأكثر مع بعض تحريفات في اسمائها . وهذه المؤلفات في أغلب الظن رسائل لطيفة كالتي ننشرها الآن

(١) انظر الفلك ص ٢٥

(٢) منها نسخة مخطوطة بالظاهرية وقد نشر الجزء الأول منه الأستاذ جبور ببيروت .

وقد نشر له منها ثلاث رسائل السيد حسام الدين القدمي منها رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » في ٥٤ صحيفة ، ورسالة « الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية » في ٢٨ صحيفة ،ورسالة « المعزة فيما قيل في المزة » في ٣٦ صحيفة . وكثير من هذه الرسائل لطيف طريف في بحثه فلعل الزمن يتيح للعلماء نشر ذلك واليك اسماء بعض هذه الرسائل الطريفة مما له علاقة بهذه الرسالة او مما له خطر وشأن .

رسالة : الأحاديث المروية في البساتين النيربية .
〃 : بهجة الأنام في فضل الشام .
〃 : التوجهات الست الى كف النساء عن قبر الست .
〃 : تفريج الهم في زيارة مغارة الدم .
كتاب : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .
〃 : نزهة الأفكار فيما قيل في دمشق من الأشعار .
〃 : نزهة السامعين في المسلسل بالدمشقيين .
〃 : الذيل على طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي في ٣ مجلدات
〃 : الذيل على كتاب تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب
〃 : الذيل على التوقيف في آداب التأليف .
〃 : فرائد الفوائد في احكام المساجد .
〃 : الهادي الى ترجمة شيخنا المحدث الجمال بن عبد الهادي .
〃 : المجاج من أخبار الحلاج .
رسالة : الالمام بأمثال العوام .
〃 : اعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى .
〃 الأحاديث المسموعة في دور القرآن بدمشق وضواحيها .
〃 〃 〃 في جوامع دمشق وضواحيها .
〃 〃 〃 في احدى مدارس الحنفيه أو الشافعية أو المالكية
أو الحنابلة بدمشق وضواحيها .

رسالة : البرق السامي في تعداد منازل الحاج الشامي ٠

« : تبييض القراطيس فيمن دفن بباب الفراديس ٠

« : تبليغ البشرى بأحاديث داريا الكبرى ٠

« : جزء ذكر دور الحديث بدمشق ٠

« : الدر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ٠

ديوان شعري الأكبر وقد غسلته في مرض عرض اشرفت فيه على الموت ، وديواني الأصغر وقد غيرت فيه كثيراً في ديواني الهالك

« : شرح أعلام الورى الأعلام بمن ولي قضاء الشام ٠

« : نهاية العبر في نفوذ القضاء والقدر بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر ٠

« : نهاية الاتعاظ وغاية الاعتبار فيما وجد على القبور من الأشعار ٠

« : النطق المبني عن ترجمة الشيخ المحيوي بن عربي [1] ٠

(١) الغوطة اسم مشتق من الغائط وهو المطمئن من الأرض ٠ وجمعة غيطان وأغواط ٠ وقال ياقوت بعد ذكره بيت حسان بن ثابت الانصاري :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

البريص اسم يطلق على الغوطة بأجمعها ٠ وقال الأستاذ كرد علي : مساحة الغوطة ٤٠٦٠٠ هكتار أي نحو خمسة وستين الف فدان والفدان ست دونمات وكسر والدونم ميذر مد من الحنطة ٠ والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً ، والدونم ٩١٩ متراً مربعاً ٠ انظر مجلة المجمع العلمي ١٠/ص ١٥٨ ٠

(٢) قال الأستاذ كرد علي : ذكر ابن طولون ان في الغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس وقرى الغوطة اثنتان وأربعون قرية واهمها من حيث وفرة السكان دومة حاضرة الغوطة الشمالية وداريا حاضرة الغوطة الجنوبية ٠ أقول أما القرى التي ذكرها ابن طولون في الرسالة التي ننشرها فثمان وستون لاسبعون كما يذكر الأستاذ كرد علي ٠ وقد اندرست قرى رمزنا اليها في العدد الماضي بنجمة هكذا [*]

(٣) قال الأستاذ كرد علي كانت قرب عربيل وقال ياقوت هي من قرى

---

(١) هنا تبدأ التعليقات على الرسالة المنشورة في العدد الماضي ابتداء من ص ١٥٢ ٠

دمشق خرج منها احمد بن مكي وقال Dussaud ص ٢٩٤ عنها وعن ارزة انها قد اندرستا ولا يعرف بالضبط موضعها · وانظر ياقوت ٢٠٨/١

(٤) هكذا بياض بالأصل وفي الخزانة الشرقية الزيات ص ٢٣ : (ولي الآن بها بيت) وهو محرف ويقول (ولها حدود) بدل (ولها حكر) وهو تحريف أيضاً ·

(٥) البحدلية ويقال لها دير بحدل قال عنها Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب شرقي الشام وأما بيت رانس ويقال لها أيضاً بيت ارانس فانظر ما قال عنها ياقوت ص ٧٧٥ وانظر Dussaud ص ٢٩٥ ·

(٦) في المخطوطة (بيت شحم) ويقول الأستاذ كرد علي [بيت سحم] بالسين وهي اليوم مشهورة بذلك ·

(٧) قال ابن بطوطة : في شرق البلد [دمشق] قرب بيت إلاهية وكان فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملون المنتظمة بأعجب نظام وهي غير بيت لاها التي بين انطاكية وحلب · انظر ياقوت فانه يقول عنها بيت لِهيا كذا بلفظ به والصحيح بيت الآلهة · ويقول Dussaud ص ٢٩٥ ان موضعها بالضبط : شمال دمشق يمين طريق برزة ·

(٨) قال الاستاذ كرد علي كانت موضع طاحون الأشنان في غرب دمشق تدخل فيها قرية النيرب ·

(٩) رد على هذه الأقوال وعلى من قال ان سيدنا ابراهيم ولد فيها ياقوت في كلامه على — برزة — فارجع اليه وانظر ما كتبناه في كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وانظر Dussaud ص ٢٩٦ ·

(١٠) هكذا في الأصل ولم اهتد الى المراد به فليحقق وفي الخزانة ص٤٤ وادي الجوز

(١١) برزة هي شرقي جبل الصالحية وحارة الأكراد اليوم ومنها يذهب الى وادي حلبون وزبدين وبعلبك (انظر Dussaud ص ٢٨٦ وص ٢٩٦) · وبخصوص برزة انظر ما كتبته Lady Burton في كتابها [Enner life of Syria] chap.X.

(١٢) يقول Dussaud ص ٢٩٤ : بالا : هي شرقي زبدين ما يزال

فيهـا بعض أعمدة وآثار هيكل المذبح · وانظر ما كتبه عنها : Souvire في II , 159 , 238J . A. Descr . Damas

(١٣) لم أعثر على ذكر لهذه القرية فيما بين يدي من المصادر وفي الخزانة ص ٤٤ برنايا [بالياء] ·

(١٤) يقول Dussaud ص ٢٩٥ : هي شرقي جسرين وقد ذكرها Souvairé في II , 265 Descr Damas ·

(١٥) يقول Dussaud ص ٢٩٦ : هي غرب جسرين والنسبة اليها بسواني · وقد ذكرها ياقوت ج ١ ص ٧٧٨ · و LeSrtange في Palestine under the Muslems p. 205 و Souvaire في Descr . Damas , II 239 ·

(١٦) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل شعير هي شرقي صحيا ولا يزيد ·

(١٧) لا يذكر " هذه القرية وانما يذكر تل الذهب قرب جسر الشغور ص ١٦١ وتل الذهب قرب حماة ص ٢١٢

(١٨) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل كردي بين عذرا وريحان ·

(١٩) يريد بقوله «أهلها» [اهل الغوطة] · ويقول الأستاذ كرد علي: أصبح سكان الغوطة على توالي السنين مسلمين من أهل السنة وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا الشرقية وكان جميع أهل جوبر يهوداً الى ما بعد القرون الوسطى وقد استغرب ابن طولون ان اهل جرمانا تيامنة وقال وهذا عجيب · · · الخ · اما ياقوت فيذكر جرمانا ثم يذكر جرمانس ويقول ولعلها جرمانا · وانظر ما قاله Dussaud ص ٢٩٩ ·

(٢٠) يقول Dussaud ص ٢٩٩ جوبر شمال شرقي دمشق وفيها كنيس يؤمه يهود دمشق وينقل عن Memoires D'Arvioux , II , 461 ؛ انها في زمنه كان كل سكانها يهوداً ·

(٢١) يذكرها ياقوت ٢/ ٨٢ · و Le Strange ص ٤٦٤ و Souvaire 1994.I.398

ويقول Dussaud ص ٢٩٩ هي شرقي بيت سوا وفيها بقايا آثار قديمة وكانت أرضها تنتج كثيراً من الخشب .

(٢٢) ذكرها Dussaud ص ٢٩٩ وقال هي غربي العتيبة . وأما وظيفة ثالث مقدمي الألوف فاحدى وظائف المماليك ومقدمو الألوف اربعة انظر ما كتبه عنهم دومومبين في كتابه سوريا في عهد المماليك , Gaudefroy - Demombynes La Syrie à l'epoque des Mamlouks . Paris 1923

(٢٣) يذكرها Dussaud ص ٣٠٣ ويقول انها غربي بيت سوا .

(٢٤) يسميها الناس الآن حموري [بالف ممالة نحو الكسرة Hammorè] ويقول Dussaud هي شرقي دمشق وينبغي ان تكون هي قرية حمورية القديمة وفي الغالب أنها غير قصر الحميرة التي ستذكر فيما بعد . ونجد في النصوص القديمة ذكر قرية اسمها حمارة في المرج الشمالي ، وقد ذكرها ياقوت ٢/٣٤٠ و Le Strange ص ٤٤٨ و Souvaire 1894,II,340,1,428 .

(٢٥) يذكر هذه القرية Dussaud ص ٣٠٤.

(٢٦) يذكر ياقوت قريتين باسم حرستا (احداهما) مأهولة كثيرة السكان تبعد مرحلة عن دمشق وهي على طريق حمص أقول وهي التي تسمى اليوم حرستا البصل وهي التي سماها ابن طولون حرستا الزيتون . وهي التي حاول بعض المستشرقين ان يسميها قرية Carsatos القديمة التي كانت تبعد أربعة أميال عن دمشق والتي كان فيها كنيسة للقديس تيودوروس انظر الهامش رقم (٥) من ص ٣٠٢ في كتاب Dussaud . (والثانية) شرقي دمشق وهي المسماة بحرستا القنطرة وربما حرفها بعضهم الى حرستا المنظرة يقول Dussaud ص ٣٠٢ ان طابع كتاب ياقوت قد حرفها خطأ الى حرستا المنظرة . أقول وقد وجدت هذا الاسم هكذا في كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي فقد كتبها بخطه حرستا المنظرة فلعلها تسمى بالاسمين . وهي اليوم مشهورة باسم القنطرة . ويذكر Dussaud ان سكان حرستا القنطرة وعقربا تركوهما مرة حينما أغار الصليبيون على دمشق .

(يتبع) م . أسعد طلس

تاج الدين الكندي

هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي [1] وهو الذي تنسب اليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق ·

نشأته : ولد سنة (٥٢٠) ببغداد · وتوفي سنة (٦١٣) بدمشق [2] فتكون مدة حياته (٩٣) سنة اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط ابي منصور الخياط وكان مقرئاً لغوياً نحوياً حنبلي المذهب فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغوياً حنبلياً وكان أصغر تلامذته وأنبلهم وآخرهم قراءة عليه ·

وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك فترك المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي ولا نعلم العامل له على ذلك وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول ·

ولكننا نعلم انه في شبابه غادر بغداد معقل الحنابلة وأخذ عن علماء الشام وان آخر عهده ببغداد سنة (٥٦٣) فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخليع من الثياب فيبتاعها ويسافر الى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود الى حلب [3] فمن الجائز ان يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفية وان يكون تحوله الى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ ·

---

(١) معجم الأدباء طبع مصر [١١ ـ ١٧٢] وبغية الوعاة [٢٤٩] وفيها (زيد بن الحسن) مكررة ثلاثاً

(٢) يتفق كل من ترجمه على وفاته في هذا العام إلا ماجاء في معجم الأدباء لياقوت من ان وفاته سنه [٥٩٧] ولا شك في خطأ هذا النص خصوصاً وان اجازة الكندي بشرح معاني الآثار التي وقع في آخرها بيده كان تاريخها في سنة [٥٩٨] ومن الغريب أن يشير ياقوت اليه في عدة مواضع في معجميه بقوله : شيخنا ولا يشير الى ذلك في ترجمته ويغلط في تاريخ وفاته مع ان الراجح ان اجتماع ياقوت بالتاج الكندي كان بعد سنة [٥٩٧] وهذا ما يجعلنا نرجح بأن تدليساً ونقصاً وقعا في النسخة الخطية التي طبع عنها معجم الأدباء في ترجمة الكندي

(٣) ابن خلكان [١ — ٢٦٥] وانباه الرواة للقفطي راجع [١١ — ١٧١] معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ·

شيوخه في علم القراءات: اعتنى به شيخه سبط الخياط عناية فائقة لشدة ذكائه وصغر سنه فحفظه القرآن الكريم ثم أقرأه بكل ما قرأ به على شيوخه من علم القراءات ككتب ابي العز القلانسي ، والكامل للهذلي ، والاتضاح والايضاح والوجيز والاقناع الأربعة للاهوازي وغير ذلك من الكتب ولم يكتف في تلقينه ما عنده من علم ورواية بل جهزه الى أبي القاسم هبة الله بن الطبر فقرأ عليه ست روايات أخرى ثم جهزه الى ابي منصور بن خيرون وابي بكر خطيب الموصل وابي الفضل بن المهتدي فقرأ عليه بالروايات الكثيرة فكان قارئاً من الطراز الأول ويذكرون من شدة ذكائه وقوة حافظته انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وجمع الروايات العشر وهو ابن عشر ويعتبره ابن الجزري وغيره بأنه اعلا اهل عصره اسناداً في القراءات والحديث لأنه عاش ثلاثاً وثمانين عاماً بعد أن جمع القراءات [1] .

شيوخه في الحديث: روى علم الحديث عن ابن ناصر وابن السمرقندي والانماطي وسعد الخير ومحمد بن عبد الباقي الانصاري وابي منصور القزاز وغيرهم [2].

شيوخه في الأدب والعربية: معظم مشايخه في اللغة العربية من أساتذة المدرسة النظامية كأبي منصور الجواليقي وابي السعادات ابن الشجري وابن الخشاب فقرأ عليهم كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والحجة لأبي علي الفارسي وأمثال هذه الكتب.[3]

اشتغاله بالتجارة: كان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعتماد على جده فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف بل كان يشتغل بالتجارة واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر [4] ولذلك لا نجد له ذكراً في اسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة نسخة مصورة بالمجمع العلمي بدمشق وغاية النهاية [١-٢٩٧] وتنبيه الطالب مخطوط وشذرات الذهب [٥ - ٥٦] وبغية الوعاة [٢٦٩]

(٢) و (٣) المصادر السابقة (٤) إنباء الرواة بأخبار النحاة للقفطي [في تعليقات معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٥ - ١٧١] وابن خلكان ١ - ٢٦٥ .

اتصاله بالملوك الايوبيين : دخل مترجمنا دمشق فمصر واقتنى عدداً من الكتب القيمة التي بيعت من خزائن الفاطميين [١] واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره . وصدف أن زار عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه [٢] ابن أيوب القاضي الفاضل في داره فجرى ذكر بيت من شعر ابي الطيب المتنبي وكان تاج الدين حاضراً فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشاه فسأل القاضي عنه فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشاه وقبض على يد تاج الدين وخرج به الى منزله ودام اتصاله به [٣] ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين فقرأ عليه عز الدين فرخشاه وابنه الأديب الشاعر الملك الأمجد صاحب بعلبك . والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك المحسن وهذان ابنا صلاح الدين . وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتأبط كتابه كالطلبة فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجمي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي) وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه فينتظر الى أن تأتي نوبته . وقد قرأ عليه المفصل للزمخشري والايضاح لأبي علي الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه وديوان الحماسة وأمثال هذه الكتب [٤] .

---

(١) انباء الرواة ، وابن خلكان .

(٢) شاهنشاه هو اخو صلاح الدين الأيوبي استشهد سنة (٥٤٣) حينما حاصر الافرنج دمشق وهو جد ملوك حماة وبعلبك الأيوبيين . أما ولده عز الدين فرخشاه فهو أول ملوك بعلبك وكان عمه صلاح الدين يجعله نائباً عنه على دمشق حين يغيب عنها ويقول صاحب الشذرات عنه : كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب وكان للتاج الكندي به اختصاص توفي بدمشق سنة (٥٧٨) ودفن في قبته التي بمدرسته المطلة على الميدان في الشرف الشمالي — ولا تزال القبة موجودة حتى الآن غربي مدرسة التجهيز الأولى مطلة على المرجة — وله شعر حسن منه :

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها ... وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله ... فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

(٣) ذيل الروضتين لأبي شامة . (٤) ذيل الروضتين .

تلاميذه : لا نكون من المغالين اذا قلنا انه كان أكثر علماء عصره تلامذة وطلاباً . ومن يتتبع تراجم أهل عصره ومن بعده يجد ان أكثر العلماء والأدباء والشعراء والرواة والمحدثين ينتسبون الى التلمذة عليه ويجد أكثر الأسانيد تجيء عن طريقه . ويقول ابو شامة عن درب العجمي الذي كانت فيه دار التاج الكندي : فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته ، اولاد الملوك وخدمته ، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ، ليعلم جلالة من كان يتردد اليه [1] فممن اخذ عنه ياقوت الحموي صاحب معجمي الأدبا والبلدان ، وعمر بن احمد الشهير بابن العديم ، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ورضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وعبد الرحمن المسجف الشاعران وابن معطي النحوي صاحب الألفية ولو أردنا استقصاء من اخذ عنه من علماء وأدباء وشعراء وحكماء واطباء ومحدثين ومحدثات وقراء ونحاة لبلغ عددهم المآت .

ومن حسن الصدف اننا وقفنا على المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار وعليها طبقات سماع بعد أن قرئت عليه في المقصورة التاجية وسننشر نصها في العدد الآتي من هذه المجلة .

ميزاته العلمية : امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق . والظاهر ان علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها ببغداد الا بواسطة الكندي . وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية الى الشام . ويقول ابو الحسن السخاوي في شرح المفصل : لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره واخذت عنه كتاب سيبويه وقرأت عليه كتاب الايضاح لأبي علي مستشرحاً وأخذت

(١) ذيل الروضتين

عنه كتاب اللمع لأبي الفتح . وكان واسع الرواية ومن العجب ان سيبويه اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك :

لم يكن في عصر عمرو مثله   وكذا الكندي في آخر عصر
فهما زيد وعمرو انما   بني النحو على زيد وعمرو [1]

أما ميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث قصده الطلاب من أنحاء العالم الاسلامي لعلو اسناده فيها . قال الحافظ الذهبي : كان أعلا أهل الأرض اسناداً في القراءات . فاني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره ... ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث [2] .

أخلاقه : لئن وصفه تلامذته واصدقاؤه بدماثة الأخلاق وحسن العشرة [3] فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس . وبالحقيقة كان حسن المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاظمين من أقرانه ومنافسيه . وبديهي ان من نال منزلة مثل منزلته وحظوة عند الملوك مثل حظوته ان لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه ، ويزهو في تعاظمه و كبريائه . فعبد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه ، والمنتقص لأكثر علماء عصره اجتمع به فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه : اجتمعت بالكندي البغدادي النحوي [4] وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه وجرى بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى الناس منه [5] ونرى التاج الكندي يحتقر عبد اللطيف البغدادي فيلقبه بالجدي الملتحي [6] .

---

(١) ذيل الروضتين (٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢١٧ (٣) ذيل الروضتين . البداية والنهاية ٣ ـ ٧٢ . الصفدي في الوافي بواسطة تنبيه الطالب مخطوط بغية الوعاة للسيوطي .
(٤) اجتماعه به كان في دمشق (٥) عيون الأنباء ٢ ـ ٢٠٦ (٦) فوات الوفيات ٢ ـ ٨

ونجد القاضي جمال الدين القفطي — وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق وعنده من الاعجاب بنفسه ما عند الكندي - حينما يترجم الكندي يقول عنه: كان ليناً في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقوله . واذا نوظر جبه بالقبيح واستطال بغير الحقيقة ولم يكن موثوق القلم فيما يسطره [1] .

وجرت له مهاترة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (٦٠٥) فقد جمعهما مجلس عند الوزير الصفي بن شكر فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى الى قول ابراهيم عليه السلام (انما كنت خليلاً من وراء وراء) بفتح اللفظتين فقال الكندي وراءُ وراءُ بضمهما فقال ابن دحية للوزير ابن شكر من هذا ؟ فقال هذا ابو اليمن الكندي . فنال منه ابن دحية وكان جريئاً . فقال الكندي : هو من ؟ كلب ينبح [2] أنت تكذب في نسبك الى دحية الكلبي ودحية باجماع المحدثين ما اعقب وقد قال فيك ابن عنين :

دحية لم يعقب فلم تنتمي اليه بالبهتان والافك
ماصح عند الناس فيه سوى انك من كلب بلا شك [3]

ثم الف ابن دحية كتاباً سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي والف الكندي كتاباً سماه : نتف اللحية من ابن دحية [4]

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي انه قال أُحلت على ديوان حماة برزق فسرت اليها لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر [5] وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريباً فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة . فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقنا [6]

(١) انباء الرواة (٢) البداية والنهاية ١٣ ـ ٥١ (٣) شذرات ٥ ـ ١٦٠
(٤) معجم الأدباء ١١ ـ ٢٧٥ (٥) هو محمد بن ظفر الصقلي صاحب التآليف الممتعة منها كتاب سلوان المطاع توفي سنة [٥٦٥] تراجم ترجمته في ابن خلكان [١ : ٦٦٠]
(٦) المصدر نفسه .

مؤلفاته : قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس · لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس · والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعاد عن الناس وشيخنا الكندي — وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والمماليك العديدة الذين أعتقهم ورفدهم بعلمه وماله — غير مدفوع عن التأليف والتصنيف ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد ان كرس وقته للافادة والتدريس وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين · وقد ذكر ياقوت في معجمه ان مؤلفاته هي : تعليقات على ديوان المتنبي ، وأخرى على خطب ابن نباتة ، وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي ، وكتاب في الفرق بين قول القائل : طلقتك ان دخلت الدار وبين ان دخلت الدار طلقتك الفه جواباً لسؤال ورد عليه ، وله غير ذلك ويتضح مما ذكر ان تآليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة ·

مواليه : كان الكندي كثير الاحسان الى الموالي والرقيق فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم منهم « النجيب ابو الدر ياقوت » سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره · ويقول عنه ابن كثير : كان لديه فضيلة وأدب شعر جيد وتوفي ببغداد سنة (٦٢٣)[1] وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية ·

ومن مواليه وتلميذاته « ست العرب » روى عنها شيخ الاسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن اربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا اسمع في رمضان سنة (٦٨١)[2] وترجمها صاحب الشذرات بقوله : ست العرب بنت يحيى بن قايماز ام الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاهم التاج الكندي وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات توفيت في المحرم عن خمس وثمانين سنة (٦٨٤)[3]

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٣ ـ ١١٦ ومجلة المجمع ص ١٢٩ من هذه السنة (٢) الاربعين المذكورة [المطبعة السلفية بمصر سنه ١٣٦١] ص ٣٦ (٣) شذرات الذهب ٦ ـ ٣٨٥

شعره : وللشيخ تاج الدين كثير من الشعر الميثوث في مطاوي الكتب . منه قوله في الربوة أعظم متنزهات دمشق لما جدد بناءها نور الدين محمود بن زنكي وجعل الأكل والنوم فيها مجاناً :

ان نور الدين لما أن رأى   في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصراً شاهقاً   نزهة مطلقة للفقراء [1]

وكتب الى صديقه مهذب الدين ابي طالب محمد المعروف بابن الخيمي :

أيها الصاحب المحافظ قد حملتنا من وفاء عهدك دينا
نحن بالشام رهن شوق اليكم   هل لديكم بمصر شوق الينا
قد غلبنا بما حرمنا عليكم   وغلبتم بما رزقتم علينا
فعجزنا عن ان ترونا لديكم   وعجزتم عن أن نراكم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد وأوفى به كما قد وفينا [2]

ومن شعره فيما رواه عنه الرشيد العطار :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته   وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تمنيت في شرخ الشبيبة انني   أعمر والأعمار لا شك ارزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني   من العمر ماقد كنت أهوى وأشتاق
عرتني أعراض شديد مراسها   علي وهم ليس لي فيه اغراق
وها أنا في احدى وتسعين حجة   لها في ارعاد مخوف وابراق [3]

وفاته : توفي سنة (٦١٣) ودفن بسفح قاسيون وبني عليه قبة وجعلت له تربة وقد ترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب وكذا العلموي والبقاعي (بالتربة التاجية) وذكروا انها بالصالحية في سفح قاسيون . أما في عصرنا فهي مجهولة لدينا .

محمد أحمد دهمان

(١) نزهة الأنام للبدري ص ٨٤ (٢) وفيات الأعيان ١ـ١٦٦ (٣) المصدر نفسه وانباء الرواة للقفطي في تعليقات معجم الأدباء ١١ـ١٧٦ (٤) معجم الأدباء لياقوت ١١ـ١٧٤

مخطوطات ومطبوعات

شروح سقط الزند (قسمها الأول)

كنت قلت في بعض ما كتبته عن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (أرأيت السيل بعد مضيه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعاً مرعاً للمنتجعين ونزلاً كريماً للمجدبين . كذلك مهرجان أبي العلاء فانه ترك بعد انقضائه آثاراً لأبي العلاء وفي أبي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفد فرائدها) وقد كان أنشط العاملين في ابراز تلك الآثار العلائية وزارة المعارف المصرية فانها ألفت لجنة دعتها (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) عكفت على جمع اخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره . وعزمت على إصدار تلك الأخبار والآثار اسفاراً متسلسلة فكان السفر الأول هو الذي سمته (تعريف القدماء بأبي العلاء) وضمنته النصوص المتعلقة بتراجم ابي العلاء وأخباره الخاصة ، وطبعته ونشرته سنة ١٩٤٤ م أي خلال أيام المهرجان وقد قرظناه في مجلة المجمع (مجلد ١٩ ص ٥٤٥) وها هي ذي اللجنة اليوم تهدي الينا السفر الثاني من تلك السلسلة المطبوع سنة ١٩٤٥ م (قسمه الأول) وسيتلوه بالطبع ثلاثة الأقسام الأخرى وقد ضمنت هذه الأقسام الأربعة شروحاً ثلاثة لأشعار أبي العلاء المسماة (سقط الزند) واقتصرت اللجنة من شروحه الثمانية المشهورة على نشر هذه الشروح الثلاثة وهي : (١) شرح التبريزي (ابي زكريا يحيى بن علي تلميذ المعري ٤٢١ — ٥٠٢) و (٢) شرح البطليوسي (ابي محمد عبد الله بن السيد ٤٤٤ — ٥٢١) و (٣) شرح الخوارزمي (ابي الفضل قاسم بن حسين ٥٥٥ — ٦١٧) وانما اقتصرت اللجنة على الثلاثة من الثمانية لأن ثلاثة منها مفقودة لم تظفر اللجنة بها . وواحداً منها (وهو الشرح الذي صنفه أبو العلاء نفسه) مختصر مدمج في شرح تلميذه التبريزي . والواحد الباقي وهو شرح التنوير استغني عنه لأن مؤلفه أبا يعقوب الخويي (تناول شرح التبريزي بالتهذيب والتنقيح وسار معه في كثير من المواضع على نهج واحد حتى أنه نقل كثيراً من عباراته كما هي ولهذا التقارب والتشابه ولأنه طبع قبل اليوم عدة طبعات ضربت

اللجنة صفحاً عن نشره) وقد افتتحت اللجنة هذا القسم الأول الذي أصدرته (بتقديم) استوعبت فيه جميع ما ينبغي ان يقال في هذا المقام من وصف الشروح الثمانية التي وصل اليها علمها ثم بوصف الثلاثة التي نشرتها وتراجم أصحابها وطبع نموذجات من مخطوطاتها وغير ذلك من الملاحظات التي فيها متعة للقارئ وهداية للحريص . وقد سلكت في طبع الشروح الثلاثة طريقة بكراً تسهل على القارئ فهم ما يقرأ من أشعار سقط الزند . ذلك انها تذكر البيت من القصيدة وتذكر ما قاله التبريزي في شرحه عليه أولاً وتعقبه بما قاله البطليوسي ثانياً ثم الخوارزمي ثالثاً ثم تعود الى البيت الثاني من القصيدة نفسها فتذكر ما قاله الثلاثة بحسب ترتيبهم السابق . حتى تمّ للجنة اربع عشرة قصيدة من أشعار السقط مطبوعة على ورق جيد طبعاً حسناً في مطبعة دار الكتب المصرية . وقد ضُبط بعض الكلمات بالشكل وخُصّ بعض المواطن المغلقة بالشرح . فجاء هذا القسم من السفر في ٤٧٠ صفحة كبيرة ليس بعد ما فيها من الإتقان استزادة لمستزيد . ثم ان قول اللجنة في المقدمة بصدد الشروح الثمانية التي وصفتها : (وليست هي كل الشروح التي تصدّت لسقط الزند ولكنها مبلغ ما وصل علمنا اليه . وأمكننا استخلاصه من التاريخ) — قولها هذا يفسح لي المجال لذكر الشرح المخطوط الذي في مكتبتي وأرجح انه المخطوط الوحيد لهذا الشرح واسمه (سَقَط العقيان والحلى لعروس ديوان ابي العلا) أو (ضوء الفند من سقط الزند) والشارح هو العلامة الشيخ محمد ابن نور الدين الدرا الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ ونَسْخُ المخطوطة كان بعد وفاة المؤلف بثلاثين سنة . وقد ترجم المحبي للمؤلف في تاريخه خلاصة الأثر (جزء ٤ ص ٣٤٩) . ووصفنا نحن هذا المخطوط وصفاً مسهباً في كلمة لنا منشورة في الكتاب الذي أصدره مجمعنا العلمي وسماه (المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري) ص ٢٧٠ ولعل (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) اطلعت على كلمتنا في وصف هذا الشرح وأضافت اسمه الى الشروح التي أحصتها . وهي لعمري جديرة بالشكر والثناء على ما تبذله من العناية وعظيم الجهد في تتبع هذه الآثار . وإصدار هذه الأسفار .

المغربي

من وحي المرأة

للشاعر المصري عبد الرحمن صدقي

ديوان صغير الحجم في ٦٠ صفحة يشتمل على نيف وثلاثين قطعة من الشعر بين قصيدة ومقطوعة ٠ كله في رثاء امرأة الشاعر ماري التي نذر لها التأبد بعدها وفاء لها ورعاية لماضي صحبتها ٠ فقضى غير مشفق على نفسه بالتبتل وقلبه بألا يخفق لربة دل أو تطمع باصطياده ذات حسن أو غنج وقد شاء ان يكون هذا بعهود آخذها على نفسه وسجلها في ختام بعض قصائده فمنها قوله :

سأحيا كميت لم يغيب بلحده　　يظللني ليل من الهم مظلم
وأضرب فى صحراي في غير غاية　　الى ان يوافيني القضاء المحتم

وقوله: أجل كان لي قلب وزوج حبيبة　　فلما قضت زوجي قضيت على قلبي
　〃　وهأنذا ان طال بي العمر صائر　　لشيخوخة حسرى بغير معان

ولا يخفى ان هذا النوع من الوفاء بالاعراض عن النساء جملة ان حسن عند بعض فلا يعدو أنه ضرب من ضروب تعذيب النفس وشيء من العقوبة لها على ما ليس لها فيه جريرة أو ذنب ٠ كما انه لا يخلو من تأديب لهـا وتهذيب على ما فرط من اندفاعها وشدة استرسالها في التعلق بما لا ضمان ببقائه ٠

ولهذا او لما هو اشد منه ظهوراً أو تواريًا من الاحتفاظ بالرجولة تامة والجري في طاعة نخوة الفحولة كاملة والحذر من الصيرورة الى ما قد يفضي الى الخور رغب العرب الا القليل منهم عن الجهر ببكاء المرأة زوجة وذهبوا بأنفسهم صعداً عن رثائها حليلة ٠

فمن بعض الأدلة على هذا ان الفرزدق لما ماتت زوجه النوار وامتنع عليه الشعر فيما زعموا في رثائها لعنجهيته وجفائه لم يجد بداً وقد حز به الأمر وزعزعت من أركانه الفاجعة من أن يركب أحد حدي شر اما اكراه طبعه على شعر يبكيها به واما التمثل من قصيدة أعدى أعدائه جرير في رثاء خالدة أم أولاد

جرير بما يتنفس من كربه ويذهب بعض الشيء بحزنه ومرعان ما ركب أهون الشرين وفضل أيسر الخطبين وما هو أقل نيلاً من نخوته وكسراً لانفته فتمثل بملء فيه :

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولّهت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار
ولقد أراكِ كسيت أجمل منظر ومع الجمال سكينة ووقار
لا يلبث القرناء ان يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

الى آخر ما تمثل به ولو وجد الفرزدق في شعر غير جرير ما يترجم عن لوعته ويبرد شيئاً من غلته لفزع اليه ولجعل معرجه تايه ولكان متنحاه بعيداً عن قصيدة ثلاثة أرباعها في هجائه ٠

وان في قول جرير لولا الحياء لدليلاً كل الدليل على ما وقر في نفس العربي من العزة عن بكاء المرأة ورثائها حتى عن زيارة قبرها ولا غرو فقد كان هذا من العرب وما هو أشد منه حين كان عهدهم بالبداوة قريباً ونفوسهم على ما تأصل فيها من قسوة وامتناع وصعوبة انقياد الى ما توجبه الحضارة من دماثة ولين ٠

على انه لن يحسن بنا في حال ان ننسى ان الناس مهما بلغت في بعضهم صلابة الاكباد وقسوة الأفئدة الا الجبابرة العتاة من المتردين على ذلة العشق وهوان الهوى وضراعة الحب ، مدينون لهذا الفريق من الشعراء حملة الأكباد المقرحة والقلوب المتصدعة والأحشاء الكليمة والترائب الملتهبة يذكرون الناس كلما نسي الناس برقائق الاعراب وحرق أهل الحضر وذوي اللوعات الصادقة الوفية منهم ٠ وأنىّ لا يكون الناس مدينين لهم وقد عمدوا الى افئدتهم واكبادهم ونفوسهم وأرواحهم فصهروها في بوتقة الألم على لهب التوجع والتفجع ثم سكبوها دموعاً وأرسلوا الدموع شعراً تركوه وقفاً على كل ثاكل يمثل ما ثكلوا يبكي بها متى شاء كما يشاء ٠ اذ ليس في طوق أحد أن يعير أو يستعير عيناً يبكي بها ٠

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار

ولكن في استطاعة أي انسان ان يعمد الى هذا النوع من الدموع المسكوبة شعراً يعوذ به بقدر ما ينقع من غلته كما فعل الفرزدق وهو ما هو شاعرية وترفعاً وكبرياء

وقد تخلل الديوان رسائل ثلاث الى صاحبه من الأساتذة الأدباء توفيق الحكيم وعباس محمود العقاد وعزيز أباظة فيها من الثناء على ما وفق اليه الشاعر في تصوير آلامه وهول فجيعته وارسال لوعته ما يشير الى الصدى وبعد المدى الذي أحدثته بين الأدباء قصائد (من وحي المرأة) أيام نشرها متفرقة في الرسالة والثقافة وذلك مما يغبط عليه الشاعر ويهنأ .

فالديوان بجملته آية من آيات حفاظ عهد المرأة وازماع الاقامة على مودتها بعد الموت قلما يعثر على مثله في مختلف الأعصار والأمصار وسيبقى مع أمثاله مفزعاً لكل من تعمد الدهر فجيعتهم بحلائلهم الغاليات . فهو يوشك أن يكون ثالث ثلاثة لشعر متمم بن نويرة في أخيه مالك وديوان الخنساء في أخيها صخر

ومما يستوقف نظر القارئ في (من وحي المرأة) غير حرارة التعبير عن العاطفة الحائرة والحسرة المتأججة والحرقة الغالبة هو تلك القوة التي أرادها الشاعر ارادة وعمد اليها عمداً حين خشي ان يقوده الضعف عن احتمال الكارثة الى الضعف في حوك الشعر ونسجه فكان حريصاً كل الحريص على ألا يطلع به على الناس إلا مزوداً بنصيبه من الجزالة وحظه من القوة التي كانت تساير الشاعر في أكثر خطواته وهو ينظم ديوانه حتى لقد انتهت به الى النجوة من أكثر ما يتعرض له معالجو شؤون المرأة وما تقتضيه من سعي وراء الرقة والنعومة مما قد يكون مدرجة الى اللين ومنحدراً الى الركة .

فمن الأدلة على ارادته هذه من تجنب الضعف ولياذه بكنف الجزالة انه لزم البحر الطويل بحر القوة ومعرض الفخامة والفحولة في كل الديوان فلم يخرج عنه الا في قصيدة واحده هي لوعته الأولى (أنة الزوج الثاكل) في عنفوان الصدمة قبل التفكير . كما أنه مما يثب عن الشك ولو الى قليل من اليقين ان كثيراً من عواطف الشاعر أو ما يجب أن يكون من العواطف قد حجبته ارادة

القوة هذه أو حالت دونه فبقي متغلغلاً في جوانح الشاعر معتصماً بين الصلب والترائب يأبى ان يزحزح الا الى مطمأن من رقة اللفظ ونعومة مس الوزن فهو جاد في استثارته بما يقذف به الى الصحف من القصائد وان كان مقيماً على وفائه للبحر الطويل ·

وأما احتشاد الشاعر وحفاوته بأن تكون لغة الديوان سليمة تدل على ما انتهى اليه حذقه اللغوي وتحرجه من الوقوع فيما لا يرضي العربية والساهرين لها وعليها فهو ظاهرة من ظواهر الديوان ملموسة تلازم القارئ ملازمة تحول بينه وبين ان ينصرف عنها أو يتلهى بسواها · هذا وان كان هناك الفاظ ادّى اليها الاسراع في اخراج الديوان على ما قذفته القريحة لا ما يقتضيه التنقيح والتهذيب مما لم يخل من مثله ديوان أو كتاب ولو لا ذلك لكان للشاعر عنها مندوحة واسعة ومستراد رحب · فمن تلك الألفاظ على قلتها (بضعة) في قوله في صدر الديوان :

فأمسيت مني في صحيفة أخبار وبضعة أشعار وصورة تذكار

وفي الديوان ما يربي على الثلاثين و (الموصد) ارى بابك المطروق امسى موصداً و (المحتم) · الى ان يوافيني القضاء المحتم · وحتّم والمحتم وتحتم بنتها قلما كتبت النجاة منها لكاتب أو شاعر اليوم على انه ان صح ما يدعو اليه بعض أهل اللغة من ان وجود تفعّل اللازم المطاوع لفعّل المشدد دليل على وجود فعّل هذا وصح ما حكاه الفيومي في المصباح وهو قوله (انحتم وتحتم الأمر وجب وجوباً لا يمكن اسقاطه) فهي حينئذ صحيحة : ولكن قولة صاحب المصباح هذه حكاية انفرد بها ولم يعزها الى أحد وليس أحد من شراح الحديث يشاركه بروايتها والظن كل الظن انها عن اخوانه الفقهاء ذكرها غفلة أو عصبية لهم فهي بلفظها وتفسيرها من بضاعتهم وتعابيرهم وعليها طابعهم معدودة على الفيومي في جملة ما انفرد به في مصباحه مما يجب ان يفرد له كلمة فيما سها ذوو المعجمات فأثبتوه ذهولاً عما اخذوه على أنفسهم من عدم الخروج عن أمانة النقل ·

محمد البزم

هنري برجسون : منبعا الأخلاق والدين

تعريب سامي الدروبي وعبد الله الدائم ، طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عدد صفحاته ٢٨٥ من القطع الوسط

كان المترجمون المعاصرون لا يحسنون اختيار الكتب التي يترجمونها ، فينقلون الى اللغة العربية كتباً سهلة لا تلذ مطالعتها الا لجمهور القراء من غير الاختصاصيين . فكان القارئ العربي يظن مثلاً ان أعظم فيلسوف اجتماعي فرنسي هو (غوستاف لوبون) لأن احمد فتحي زغلول وغيره قد ترجموا بعض كتبه ، مع ان (غوستاف لوبون) ليس من علماء الطبقة الأولى . وما أورده في علم الاجتماع والتربية كثير الشكوك . واذا أخذ علم الاجتماع عن (غوستاف لوبون) دون ان يرجع الى ما جاء به (دوركهايم) و (لفي برول) لم يوصل به الى الكمال .

والسبب في ميل المترجمين الى اختيار الكتب السهلة يرجع الى خوفهم من التعب ، او الى عجزهم عن تفهم كتب الاختصاص ، أو الى رغبتهم في الربح المادي والشهرة السريعة . لذلك بقيت كتب لوك وليبنيز وهيجيل وكنت وشوبنهاور وبرجسون مجهولة عندنا . وما نقل الى اللغة العربية من مذاهب هؤلاء الفلاسفة ، خال من الصفة العلمية الحقيقية . حتى ان كبار المترجمين الذين نقلوا بعض كتب أرسطو الى اللغة العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن الفرنسية .

أما السيدان سامي الدروبي وعبد الله الدائم فقد أحسنا الاختيار ونقلا كتاب منبعي الأخلاق والدين الى اللغة العربية بكل أمانة علمية . ومع ان بعض عبارات ترجمتها لا تخلو من الغموض ، فانهما لم يخرجا بالجملة عن الأصل . حتى لقد أدت رغبتهما في المحافظة على الأصل الى ضياع قسم كبير من سحر الاسلوب البرجسوني .

وقد صدرا الكتاب بمقدمة عامة مشتملة على مذهب (برجسون) في الابداع والديمومة ووثبة الحياة . وذكرا كيف انتهت الفلسفة البرجسونية الى البحث في

الأخلاق ، وكيف أتم هذا الكتاب الجديد مذهب برغسون في الخلق الدائم والزمان والتطور . فقد فرق فيلسوف الحدس في كتاب الزمان والحرية بين المكان والزمان ، وفي كتاب المادة والذاكرة بين الادراك المحض والذاكرة المحضة ، وفي كتاب التطور المبدع بين العقل والغريزة ، كما ميز في كتاب منبعي الأخلاق والدين الأخلاق «المغلقة» من الاخلاق «المفتوحة» .

وفي المقدمة شرح صحيح لمذهب (برجسون) في الأخلاق حاول المترجمان أن يحتفظا فيه بعبق من نفحات برجسون وسحر أسلوبه وشذا صوفيته . إلا أنهما حاولا كغيرهما من المؤلفين ان يرتبا مبادئ برجسون ، ويبينا تسلسلها بعضها من بعض . فمما جاء في المقدمة قولهما : «ان الدين والأخلاق من التوق والاندفاع ، والتوق والاندفاع من الانفعال المبدع والعاطفة الحرى ، والانفعال والعاطفة من التوازن والحركة ، والحركة من الديمومة ، والديمومة من الوثبة الحيوية» (ص — ٨) . فكأن المترجمين يعتقدان ان الفكرة الأولى في فلسفة (برجسون) هي الوثبة الحيوية ، وان الديمومة مشتقة منها ، مع ان (برجسون) صرح غير مرة بأن الديمومة هي الفكرة المركزية في فلسفته كلها . وما المادة والحياة والنفس إلا ظواهر مختلفة لجوهر واحد هو الديمومة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى ان الديمومة عنده هي الله .

ومهما يكن من أمر فان تعريب هذا الكتاب يدل على اتجاه جديد في الترجمة لم يكتف صاحباه بنقل كتاب سهل لا قيمة له ، بل استسهلا الصعب وعزما على ترجمة كتب برجسون كلها ككتاب الزمان والحرية ، وكتاب التطور المبدع ، وكتاب الضحك ، وكتاب المادة والذاكرة . فاذا تم لهما ذلك اضافا الى لغتنا العربية ثروة فكرية جديدة هي في أشد الحاجة اليها .

جميل صليبا

هنري برجسون : رسالة في معطيات الوجدان البديهية

ترجمة كمال يوسف الحاج . منشورات كنوز الفكر الغربي — بيروت ١٩٤٥
عدد صفحاته ١٣٨ من القطع الوسط

عنوان هذا الكتاب باللغة الفرنسية « Essai sur les données immédiates de la Conscience »، وكنا نود لو أطلق عليه باللغة العربية اسم **الزمان والحرية**. لأنه يبحث قبل كل شيء في مسألة الزمان ويبحث أيضاً في مسألة الجبر والحرية . حتى أن (هنري برجسون) لما سئل عن الاسم الذي يجب أن يطلق على كتابه في اللغات الأجنبية فضل هذا العنوان على غيره . وربما كان العنوان الفرنسي أدل على موضوع الكتاب من هذا العنوان الفلسفي المجرد ، لأنه يدل على ان حقائق الوجدان كالاحساس والعواطف والأهواء وغيرها يجب أن تعرى من جميع العادات المكتسبة والاعتقادات والأفكار والرموز . الا ان في ترجمة العنوان على النحو الذي اختاره المعرب شيئاً من اللبس والغموض . ونحن نفضل عنوان الزمان والحرية ، رغم صفته المجردة ، على هذا العنوان المفصل ، الذي لا تطابق كلماته كلمات العنوان الفرنسي .

أما ترجمة الكتاب فهي صحيحة بالجملة . الا انه ينقصها الضبط في بعض الاصطلاحات ، كما يعوزها الوضوح في بعض المعاني . أضف الى ذلك ان المترجم لم يوفق في ترجمته الى اعطاء الأسلوب البرجسوني حلة عربية قشيبة . بل أدت محافظته على الأصل الى التمسك بالحروف ، فجاءت ترجمته مشوبة بكثير من الغموض .

قال هنري برجسون : « ان كل تلخيص لنظرياتي يفسدها في مجموعها » . ونحن نقول ان كل ترجمة لكتبه تفقدها روعتها . فقد امتاز (برجسون) بقوة أسلوبه ، وتبدو هذه القوة في تشابيهه الجميلة ، واستعاراته اللطيفة ، وقدرته على ايضاح المعاني العميقة بألفاظ واضحة وصور حسية . ومن السهل على الكاتب أن

بنحو في اللغة العربية نحو (برجسون) في اللغة الفرنسية ، إلا أنه من الصعب جداً على المترجم ان يجمع بين ضبط المعاني وروعة الأسلوب . لأن لكل لغة خصائص يصعب نقلها الى غيرها . فكما ان كثيراً من التراكيب الفرنسية تفقد قوتها وجمالها اذا عربت تعريباً حرفياً ، كذلك تفقد بعض التراكيب العربية بلاغتها وروعتها اذا نقلت الى اللغات الأجنبية . فلا بد اذن في الترجمة العلمية من الاقتصار على ضبط الاصطلاحات ووضوح المعاني . ولو لاءمت اصطلاحات المترجم معانيه وأغراضه ، وجاءت عباراته مطابقة للأصل لاكتفينا بذلك وضحينا بالأسلوب . ولكن بعض اصطلاحاته بعيدة عن الغرض الذي وضعت له ، كما ان بعض عباراته مشتملة على معان لا وجود لها في الأصل .

ومهما يكن من أمر فان هذه الترجمة لا تخلو من الفائدة لاشتمالها على مقدمة بين فيها المترجم منزلة (هنري برجسون) ومنزلة كتابه هذا . والترجمة جيدة الطبع صقيلة الورق ، متقنة الترتيب ، أثبت المترجم في آخرها بعض الاصطلاحات الفلسفية باللغتين العربية والفرنسية . ومن عانى قراءة كتب (برجسون) وما اشتملت عليه من المعاني العويصة ، ادرك ما لقيه المترجم من المشاق والمصاعب في شق هذا المسلك الوعر . ولو سلك المترجمون طريقته في اختيار الكتب ونقلها الى لغتنا لأنموا ثروتنا الأدبية ، ووسعوا أفق تفكيرنا ، وفتحوا لنا طريق الانتاج .

ج . ص

و . ج ماكبرايد : مركب النقص

ترجمه الأستاذ نوري الحافظ ، وقدم له الدكتور فاضل الجمالي

طبع بمطبعة المعارف في بغداد ، وهو من منشورات مجلة المعلم الجديد

عدد صفحاته ٦٣ من القطع الوسط .

المركبات النفسية كثيرة : فمنها مركب (قابيل) وهو حالة نفسية تدفع الأخوة والأخوات الى التطاحن لامتلاك شيء من الأشياء . ومنها مركب

(اوديب) وهو مجموعة من النزعات والعواطف تدفع الطفل مثلاً الى حب أمه وكره أبيه . ومنها مركب النقص ، وهو صفة الرجل الذي اصبح غير واثق من نفسه يكدح تحت عبء الشعور بالخوف والنقص .

وقد أطلق الدكتور (فرويد) هذا الاصطلاح على العواطف السلبية الناشئة عن الخوف من عجز الأعضاء التناسلية . وبين الدكتور (آدلر) ان مركب النقص قد يظهر في عدة حالات لا علاقة لها بالقضايا الجنسية ، كشعور الطفل مثلاً بنقص عضوي في تكوينه يلازمه كل ايام حياته . فالدافع الأساسي للسلوك عنده هو ((تأكيد الذات)) ، وكل احباط لهذا الدافع ناشئ عن نقص وراثي او كسبي يولد مركب النقص ، ويودي في النهاية الى الوقوع في المرض النفسي .

ولمركب النقص صفات رئيسية ترجع الى اختبارات نفسية مكبوتة كالخوف والابتعاد عن الواقع ، والاخفاق في الحب ، واللجوء الى الأوهام والأحلام . وله صفات ثانوية ، تنشأ عن سوء التربية كالقلق ، والتهيب الاجتماعي ، والعزلة وشدة الاحساس ، وسذاجة التفكير ، وعدم الاعتدال ، والميل الى التهكم والانتقاد . وتظهر هذه الصفات في الرجل الوضيع المتعاظم وفي المسرف في تأنقه ، وفي المرأة المتشبهة بالرجال ، وفي الرجل المتشبه بالنساء ، وفي الشخص الذي يظن أنه فريد عصره ، وفي الشخص المشاغب المتحير .

وعلاج مركب النقص الانتباه الى أسبابه ومحاولة التغلب عليها . فاذا كان ناشئًا عن الشعور بنقص عضوي كالافراط في السمنة أو النحافة أو البرص ، أو الأنف الأعقف ، او الاختلاف في لون العينين ، أو الأسنان البارزة ، أو العور ، أو العمى ، وجب قبول هذا النقص على علاته بشجاعة وتعقل ، إذ لا حيلة لأصحاب العاهات في تبديل حالتهم . وفي وسعهم ان يتغلبوا على نقصهم بالسعي والمشقة وقوة الارادة . ومن كان قميئًا ، باذ الهيئة ذميماً ، وكان مع ذلك مثقفاً عالماً ، استطاع ان يبذ أقرانه ويفوقهم . والناس يفضلون الذميم العالم على الجميل الجاهل ، حتى ان التعجب من الذميم قد يكون سبباً للعجب به ، واذا كان

مركب النقص ناشئاً عن سوء التربية كالغنج والدلال أو القسوة والظلم أمكن التغلب على أسبابه بأضدادها ، فاذا كان الفتى مربى على الدلال عومل بشيء من القسوة ، واذا كان مربى على الظلم عومل بالرحمة ، ومهما يكن من أمر فان للمرء عدوين لدودين هما الأنانية والجهل ، فاذا استطاع ان يتحرر منهما عاش في أمن وسعادة ٠

فأنت ترى أن هذا الكتاب مشتمل على حقائق نفسية جليلة ٠ وهو مترجم بأسلوب واضح ، الا انه لم يخل من بعض الهنات ، كقول المترجم (اغاضته) ص — ١٢ ، والصواب (اغاظته) ، وكقوله (فضع) و (فضيعة) ص — ٣٧ ، والصواب أفظع ، وفظيعة ٠ وقوله (أحدى المعامل) ص ٥٤ ، ٥٥ ، والصواب (احد المعامل) ٠ وقوله (جابهها) ص ٨ ، والصواب واجهها ٠ ومن الهنات التي يجب التنبيه اليها شرح المترجم كلمة (الأتوبيا) في النص بقوله : « كاتوبيا توماس مور ، واتوبيا ملتن في الفردوس الأرضي ، ورسالة الغفران عند المعري ، والكوميديا الإلهية لدانتي اللجيري » (ص — ٢٤) ٠ فهذه الأمثلة لا تصلح كلها للدلالة على (الاوتوبيا) ، اذ أن رسالة الغفران ليست من الأوهام التي تخيلها ابو العلاء للارتقاء من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، بل هي مشتملة على نقد حقيقي ٠ وكان احرى بالمترجم ان يورد هذا الشرح في الهامش ، وان يقتصر على أمثلة واضحة لا جدال فيها كجمهورية افلاطون ، والمدينة الفاضلة للفارابي ، واوتوبيا توماس مور ، ومدينة الشمس لكامبا نللا ٠

وليست هذه الهنات بقادحة في قيمة الكتاب ، بل الكتاب كما قلنا جليل المباحث ، جيد الترجمة ، تلذ مطالعته لكل طالب ٠

ج ٠ ص

موجز الطب الجراحي

لمؤلفه الدكتور نظمي القباني أستاذ الجراحة في معهد الطب العربي بدمشق

كتاب فريد في بابه ليس له مثيل ، على ما نعلم ، في لغة الضاد . فان أسلافنا العظام الذين تركوا من المؤلفات في شتى الفروع الطبية ما يدل على طول باعهم لم يخطر لهم في بال طرق هذا الموضوع . ولا عجب فان الطب الجراحي فن حديث العهد لم توضع قواعده ولم تنظم سننه الا بعد ان وضعت قواعد الجراحة ذاتها ونظمت سننها وذللت العقبات التي تقوم في وجهها . واذا قيل ان هذا الفن يدرس على الجثث حيث لا يمنع الألم الجراح من اتقان عمله وحيث لا يخاف ان تفسد العفونة عليه طريقته أجبنا ان تشريح الجثث ، وهو الممر الذي يعبر به الجراح من الميت الى الحي ، كان محرماً في القرون الاولى فلا عجب اذا لم ترتق الجراحة في ذلك العهد ارتقاء الفروع الأخرى واذا لم تثب وثبتها الى الامام قبل حل هذه العقدة واباحة تشريح الجثة . وقد خطت الجراحة متبعة هذا الفن خطوات سريعة الى التقدم وسائرة معه جنباً الى جنب غير انها ارتطمت بعقبتين كؤودين هما الألم والعفونة فان الجراح لم يكن يتمكن من اتقان عمله على الأحياء للألم الذي كان ينتاب جريحه ولم يكن يقدم على الأعمال الجراحية الكبيرة وفتح الأجواف لأن العفونة كانت واقفة له بالمرصاد ولأنه كان يجهل قواعد التعقيم فكان التعفن يقضي على معظم جرحاه . فلا عجب بعد ما ذكرنا اذا لم يتعرض أطباء العرب للبحث في هذا الموضوع .

وبعد ان ذللت هذه العقبات جميعها في الغرب وسار هذا الفن هناك سيره السريع الى الأمام ودبت في البلاد العربية روح النهضة الحديثة لم نر من زملائنا العرب من أقدم على التأليف في هذا الموضوع لأن مؤلفات كهذه تتطلب نفقات كبيرة ولأن الاقبال عليها قليل . واذا دفعت اللذة العلمية بعضاً

من العلماء الى التضحية رغبة في التأليف نفسه فان هذه الرغبة لا تتعدى عادة حدود الخسارة المادية .

والنتيجة ان هذا المؤلف هو الأول الذي عرفناه في هذا الفن .

قسم المؤلف كتابه ثلاثة أبواب خصص الباب الأول بربط الشرايين وقد جعله أربعة فصول فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة في ربط هذه الاوعية وفي الفصل الثاني ربط شرايين الطرفين السفليين وفي الثالث ربط شرايين الطرفين العلويين وفي الرابع ربط شرايين العنق .

وتكلم في الباب الثاني عن بتر الأطراف وتتميم المفاصل وقد قسمه أربعة فصول أيضاً فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة وفي الثاني بتر الأطراف العلويين والسفليين وفي الثالث تتميم مفاصل الطرفين العلويين وفي الرابع تتميم مفاصل الطرفين السفليين .

وقد خصص الباب الثالث بنشر العظام قاسماً اياه اربعة فصول فجاء في الفصل الأول بالمعلومات العامة وفي الفصل الثاني بنشر عظام الطرف العلوي وفي الثالث بنشر عظام الطرف السفلي وفي الرابع بنشر عظام الرأس والجذع .

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ ونهج المؤلف في وضعه نهجاً خاصاً فلم يعمد الى التطويل الممل ولا الى الاقتضاب المُضل واختار من الطرائق أسهلها تناولاً تاركاً ما كان منها معقداً . ويقع الكتاب في ٣٣١ صفحة وهو مزدان بمائتين واثنين وستين رسماً على الرغم من صغر حجمه .

فالى زميلنا الفاضل ، الذي نكبر همته ونشكر له باسم اللغة العربية اقدامه على سد هذه الثلمة في مجموعة المؤلفات الطبية ، أخلص تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر

فن التوليد

الجزء الأول

لمؤلفيه : الدكتور شوكة القنواتي استاذ فن التوليد وأمراض النساء وسريرياتها في معهد الطب العربي والدكتور محمود مظفر برمدا مساعد شعبة التوليد وأمراض النساء وسريرياتهما في معهد الطب العربي ٠

كتاب يقع في ٥٤٤ صفحة طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ مزدان بـ ٨١ رسمًا يبحث في الحمل والولادة وعواقب الوضع الطبيعية قسمه مؤلفاه ثلاثة أبواب فخصصا الباب الأول بالحمل الطبيعي وضمناه ثمانية فصول الفصل الأول في الالقاح والثاني في نمو البيضة وتكوّن المضغة والثالث في الجنين وملحقاته والرابع في القناة الحوضية التناسلية والخامس في التبدلات التشريحية والغريزية الطارئة على جسم الوالدة في أثناء الحمل والسادس في اعراض الحمل وتشخيصه والسابع في أوضاع الجنين والثامن في حفظ صحة الحمل ٠

وخصصا الباب الثاني بالولادة الطبيعية وضمناه أربعة فصول : الفصل الأول في الولادة اجمالاً والثاني في مختلف المجيئات والثالث في الخلاص والرابع في الحمل المتعدد والولادة فيه ٠

وخصصا الباب الثالث بعواقب الوضع الطبيعية وضمناه فصلين : الأول في حالة النفساء والثاني في الوليد ٠

ولغة الكتاب ومصطلحاته صحيحة وأبحاثه مفيدة وفيه من النظريات أجدّها ومن المعلومات الفنية أوفرها ٠ ولا نغالي اذا قلنا انه يضاهي الكتب الأجنبية التي وقع عليها نظرنا من حيث غزارة المادة وحسن التبويب ٠ وانه أفضل مؤلف عربي في نوعه لأن ما كتب في هذا الموضوع بلغة الضاد قديم العهد ولا يوافق النظريات الحديثة ولا سيما ما كان منها ذا علاقة بالغدد الصم ووسائل تشخيص الحمل الحديثة ٠

جزى الله المؤلفين لقاء خدمتهما للغة الضاد خير الجزاء ووفقهما الى اصدار الجزء الثاني لتكتمل هذه الحلقة ويعم نفعها ٠

الدكتور م . خ

دمشق القديمة : أسوارها ، أبراجها ، أبوابها

هذه النشرة هي أولى مطبوعات مديرية الآثار القديمة السورية . وهي من وضع السيد صلاح الدين المنجد في عام ١٩٤٥ . وتقع في نحو (٦٠) صفحة . يتخللها صور ومصورات لبعض هذه الآثار . وقد ضمنها وصفاً موجزاً لسور دمشق وأبوابها مع نبذ من تاريخها . وقد رأت مديرية الآثار القديمة كما ذكر واضعها في مقدمته : « أن تصدر نشرات عربية مبسطة تضمن للناس ثقافة تاريخية آثارية . يتبينون فيها روائع ميراثهم القومي التاريخي الماثل في آثار هذا الوطن » . فنعم الفكرة هذه . وما أجزل فوائدها للناس . يتعرف بها أبناء البلاد الى تراث السلف وترشدهم الى محاسنه ، ليألفوه . وتحببه لهم ، ليقدروه حق قدره . فيعملوا على حفظه وصيانته .

حبذا لو ان الكاتب وضع الى جانب الاصطلاحات الفنية التي استعملها ما يقابلها في لغة أجنبية ما ، كي لا يلتبس على القارئ فهم مدلولها في مثل قوله : « برج مربع بشكل موشور ، وقوس مخمسة » . وذكر عن باب الجنيق المسدود أنه روماني مع انه لا يوجد ما يستدل منه على قدمه في حالته الحاضرة ويرجح أن يكون من العهد الاسلامي . وقال ان باب توما منسوب الى عظيم من عظماء الروم . والأصح بأنه منسوب الى مكان في ظاهر دمشق كان يعرف بهذا الاسم . وقال في صفحة ٤٥ : سيف الدين ابي بكر بن أيوب أمير المؤمنين . وصوابه أن يقال : .... بن أيوب ناصر أمير المؤمنين . وجاء في رقم (٣) من صفحة الاضافات والتصحيح : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبيه مدينتين ودفع ذلك كله غربي المدينة » . وهذه العبارة مشوشة في مبناها ومعناها . ولذلك أقترح تصحيحها على الوجه الآتي : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبيه مأذنتين ووقع ذلك كله غربي المدينة » . اذ لا يعقل ان يحمل السيل برجاً ومدينتين الى غربي المدينة . مع أن السيل لا يأتي دمشق الا من ناحية الغرب متوجها الى الشرق . وقال في رقم (١٨) باب النصر ويسمى باب السرايا . مع ان الباب الأول كان في سوق الأروام والثاني هو باب السرايا المشيرية .

وجاء في مصور مدينة دمشق القديمة ، ان اسم النهر الموجود شمالي قلعة دمشق نهر بانياس ، وصوابه نهر عقربا .

فنرجو للأستاذ المنجد الذي عرفناه أديباً أن يوفق في أبحاثه الأثرية كنجاحه في مواضيعه الأدبية وان تكون هذه النشرة المفيدة باكورة أبحاث أوسع ٠

جعفر الحسني

بيمارستان نور الدين

وهي أولى الدراسات التي وعد السيد صلاح الدين المنجد بنشرها عن أبنية دمشق التاريخية ٠ وتقع هذه النشرة في ٣٩ صفحة من القطع الكبير ٠ مزينة بعدد من الصور والرسوم المفيدة ٠ وقد وفق الأستاذ فيما أورد وأصاب فيما نقل ٠ متقياً ما أمكن مواطن الزلل ومتحاشياً كل ما يثير الجدل ٠ وهذا شأن قواعد الدراسات المبسطة التي يحسن أن يقتصر بحثها على الخطوط الأساسية المتفق عليها ٠ وأما قوله : ان بعض مواد البناء الرخامية المستعملة في بناء البيمارستان كالعمودين والألواح المزخرفة قد أخذت من احدى الكنائس ٠ فهذا زعم يفتقر لإثبات ولا يقوم عليه دليل ٠ وهي من جملة أوهام بعض المستشرقين ٠ ولذلك يجب علينا أن لا نتسرع في نقلها ولا نجزم في صحتها ٠ نشكر الأستاذ المنجد على هذه الدراسة المفيدة ونرجو له التوفيق في دراساته المقبلة ٠

ج ٠ ح

سومر

صدر الجزء الأول من المجلد الثاني من مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق ٠ وهو طافح بالأبحاث التاريخية عن العراق وانبائه الأثرية في مختلف العصور ومزين بأحسن الصور ٠ وتشهد جميع هذه الأبحاث على علو مكانة كاتبيها العلمية وحرصهم على تحري الحقيقة فضلاً عن توفقهم بانتقاء الأبحاث ٠ وجاء في جملة أنباء الآثار ص ١٣٣ ٠ ان المتحف العراقي قد اقتنى درهماً نقش عليه صورة الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر ٠ وانه قد يكون الوحيد من نوعه في العالم ٠ وقد سبق لدار الآثار في دمشق ان اقتنت منذ سنوات درهماً يشبهه وقد نشره في حينه كاتب هذه الأسطر في كتاب : Melanges Syriens offerts à M. R. Dussaud ص ٤١٨

ج ٠ ح

آراء وأنباء

الحكومة المصرية تتبرع بألفي جنيه لمكتبة أبي العلاء المعري

كان الدكتور طه حسين بك قال في كلمته التي ألقاها في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري الذي أقامه المجمع العلمي العربي في دمشق في ٢٥ إيلول سنة ١٩٤٤ : « ... ثم رأت مصر أن تكون مشاركتها في إحياء ذكرى أبي العلاء متصلة بشخصه وبلده ، وقد علمت أن سورية قد جددت قبر الشيخ وأقامت الى جانبه مكتبة ، فقررت أن تشارك في هذه المكتبة ، وكلفني وزير المعارف أن أعلن ان الحكومة المصرية تتبرع بألفين من الجنيهات لتشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج اليه هذه المكتبة من الكتب [1] » .

وقد استلم المجمع من المفوضية المصرية بدمشق حوالة بألفي جنيه مصري ، وقرر أن يؤسس بها خزانة كتب بجانب ضريح أبي العلاء يدعوها « دار الحكمة العلائية » يجمع بها آثار أبي العلاء مخطوطها ومطبوعها وما كتب عليه قديماً وحديثاً ، يضاف اليها أمهات الكتب في الأدب واللغة والتاريخ وبقية فروع الثقافة الاسلامية . فالمجمع يشكر للحكومة المصرية الجليلة هذه اليد البيضاء على العلم والأدب ، ويحيي مصر ويرجو لها السعادة واطراد التقدم والرقي في ظل مليكها الفاروق حفظه الله .

(١) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ص ٢١

الاستعمال محكَّم (١)

لو حلفنا للعامة بكل محرجة من الأيمان أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وشاحنة وسفينة أرق وألطف وأدخل في موازين اللغة من أوتومبيل وبيسكليت ولو كوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدقوا . ولو قلنا لهم ان لفظ بريد وبرق وهاتف أرشق من بوسطة وتلغراف وتلفون وجسر خير من كوبري ومستشفى من اسبتالية ومعمل ألطف من فاوريقة أو فابريكة والثوي أحسن من السلاملك والمثوى أنفع من بانسيون والحساء من شوربة والشطيرة من سندويتش والذرور من بودرة والجعة من بيرا وعقود من كنتراتات ويانصيب من لوتريا ووقاد أحسن من عطشجي ومصرف من بنك ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلمان وانتكخانة وكتبخانة ما سمعوا ولا ارعووا .

وحيثما انقلبتم في مصر وانصتم الى المتكلمين في مدنها وأريافها يترامى الى اسماعكم نموذجات غير جميلة من الأسماء التركية حتى لتسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة أبلة ، انشتة ، دادة ، نينة ، تيزة ، نا ، بابا ، فرشة ، طقم ، طربة ، بقجة ، شنطة ، شلتة ، يشمق ، طلمبة ، سادة ، يوبا ، يغا ، ماشة ، قولتق ، كليم ، تخنة ، خوجه ، جزمه ، شادر ، شاكوش ، أرمان ، بشاورة ، بشكير ، خردة الى عشرات غيرها . وفي الشارع تسمع كلمات طليانية ورومية وافرنسية وتركية ، فتراهم يقولون في المطاعم مستاردا ، كومبوستو ، روستو ، فينو ، فيلتو ، كوتليت ، اومليت ، سباكيتي ، ترشي ، بلاو ، ضولمة ، يخني ، كفته ، اوزي ، صلاطة ، صلصة ، جاتو ، فروتو . وعشرات مثلها مما له مقابل في لغتنا وهو أسهل وأسلس على النطق من اللفظ الأعجمي .

تسمع من أفواه المتمدنين والمتمدنات في الصباح والمساء كلمة فاتورة ، مانيفاتورة ،

---

(١) هذا بيان تلاه الأستاذ محمد كرد علي في الجلسة الخامسة من الدورة الثانية عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة (٢٧ صفر ١٣٦٥ و ٣١ من كانون الثاني ١٩٤٦) .

فورمه ، منيورا ، موضة ، بروتستو ، كبيو ، اسقنطو ، كارو ، مناورة ، بلاج ، كابين ، كابينه ، كاباريه ، بوفيه ، ادبرج ، كورنيش ، فرنيش ، مايو ، كلسون ، كومبينزون ، شورت ، سبور ، لوكاندة . أوتيل ، اوسته ، فانتيزي ، ياقة ، باترون ، مارمتون ، جارسون ، ميتردوفيل ، روب ، روب دي شمبر ، بيجاما ، جاكيته ، بالطو ، بنطلون ، ساتين ، موسلين ، اشارب ، ماتينيه ، سواريه ، كريم ، بودرا ، روج ، مانوكور ، تواليت ، فيترين ، بانيو ، صالة ، صالون . ولهذه الألفاظ كلها ما يقابلها من العربية وقد يعرفها العامة دع الخاصة ، ولا تجدتهم أنفسهم باستعمالها نكاية بهذه اللغة وكيداً لأهلها أو حتى يقال عنهم على الأقل أنهم متمدنون والألفاظ الافرنجية أقرب الى أذواقهم من الألفاظ العربية وما شاء الله كان .

وليت شعري متى يبطل في مصر ما تأصل فيها من الألفاظ التركية في الجيش والحياة العامة ورسخت في الألسن والأقلام وليس هناك من ينكرها مثل صول ، قول ، صاغ ، بيكباشي ، يوزباشي ، باشكاتب ، باشمهندس ، سواري ، بيادة ، طوبجية . الى كثير غيرها ، وقد قيل أن ألفاظ الجيش وحدها تبلغ ألفي كلمة . وكان مجمعنا عهد الى رصيفنا العلامة الشيخ أحمد الاسكندري رحمه الله النظر مع خبير عسكري في وضع أسماء عربية تقابل تلك الأسماء التركية فوضعا ما وضعا له من الألفاظ ولما هلكا لم نعد نسمع خبراً عما تعبا في وضعه من المفردات ، ولا تزال مصر الى الآن مقصرة عن العراق والشام في تعريب ألفاظ الجيش وكان المأمول أن تتوحد هذه المصطلحات في هذه الأقطار الثلاثة .

مساكين علماء اللغة يكدون أذهانهم ويتعبون عيونهم في البحث لإيجاد كلمات لا يقبلها الجمهور الا اذا وافقت هواه واستسهل النطق به وعرضت له عوارض تذكر به في كل شارقة وبارقة . والعامة على ما يظهر تختار من الألفاظ ما يطرق سمعها بادئ الرأي وتحفظه لا تحفظ غيره وصعب اكراهها على استعمال الفاظ بعينها اذا رأت في مألوفها ما يجزئ عنه ويعبر عن حاجات النفس . وثقوا أن كلمتي جريدة ومجلة اللتين وضعهما العلامة احمد فارس أثابه الله لو لم يكن أرباب

الصحف أنفسهم هم الذين دللوا عليها لظللنا الى اليوم نطلق اسم بولتين أو رفو أو مكازين على المجلة وجورنال أو غازيته على صحيفة أو جريدة ، ومع هذا لانزال نسمع كثيراً من خاصتنا الى اليوم يقولون الجورنال ومن العامة من يقول جورنان بالنون .

وضع هذا المجمع ومجمع الشام ألفاظاً لمسميات افرنجية ولم تنتشر كلها الانتشار المطلوب لقلة العناية بطرق نشرها ولا أكتمكم اني يائس من شيوع بعض ما وضعناه لناطحات السحاب مذ قلنا « الصرح » ومذ أطلقنا « الطزر » على البيت الصيفي و « المثعب » على سيفون و « الاردبة » على البالوعة الواسعة و « المشن » على الدوش و « الوشيعة » على حظيرة الشجر حول الكروم والبستان و « الوفيعة » على تلك الخرقة التي يمسح بها الكاتب قلمه من المداد و « الدريئة » على بارفان و « المشوش » على السرفيت و « الندل » على خدم القهوة أو الكارسونات و « الابريج » على الممخضة و « العتابيات » على المكشطة .

وليت شعري كم يقتضي من الزمن حتى تنتشر كلمة « المجسدة » التي وضعناها لتوت على نحو ما انتشرت الجزازة والاضبارة للاعراب عن فيش ودوسيه . ومثل ذلك قولوا في « الاراض » التي وضعت للبساط العظيم الذي يفرش في الأبهاء والردهات و « التحذيف » لتصفيف شعر المرأة وقص أطرافه و « المنوار » « لفربير » أي المصباح الكبير الذي يعلق في الشوارع والحدائق العامة و « المرصدة » التي وضعت لتلسكوب و « المصوات » لميكروفون و « الأجمية وحمى الأجمية » للملاريا .

ومهما يكن فلا ينبغي لنا أن نيأس من نشر ما يمنينا من الألفاظ فقد حاولت أن أنشر بعض الفصيح المنسي منذ بدأت أكتب في الصحف فكنت أستعمل لفظة أو لفظتين في المقالة الواحدة أو الفصل الواحد فأصبح ما استعملته مألوفاً بعض الشيء في البيئة التي عملت فيها وحصلت بها أنسة للقراء فلم تنفر منها الأسماع . فلو كانت وسائط النشر أوسع لدي لصادفت تلك الألفاظ من الرواج بالضرورة أكثر مما صادفت ، وبخاصة اذا تبناها بعض رجال الصحافة فان منهم من عاونوا

على اشاعة بعض الألفاظ حتى كدنا نعافها لكثرة ما رددوها في كل موطن مثل لفظ «أجل» و «فحسب» و «الميل والميلان» .

نعم يجب أن يكون أحدنا كالطبيب المداوي لا ينقطع عن معالجة مريضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في الألف ، قص علي أحد زملائي في المجمع العلمي العربي أنه كان في بعض العشايا ماراً في زقاق وكانت تلك الليلة من ليالي المرافع «الكارنافال» فسمع ولدين في نحو العاشرة من عمرهما يسأل أحدهما صاحبه أين كنت الآن قال كنت في المقنع Balmasqué فدهش صاحبي من سريان هذه اللفظة الفصيحة الى لسان الفتيين .

ومن الحزم أن يعول على الفتيان والفتيات في تقبل الفصيح بلقنهم إياه أساتذتهم منذ عهد الكتاتيب إلى آخر مراحل التعليم في الجامعات حتى اذا تمكنت من ألسنتهم انتشرت بحكم الطبيعة في العامة ومن قرب من طبقتهم وعندئذ يتعذر على العامية أن تقتل الفصحى .

ولا بد أن يأتي يوم يكثر فيه استعمال ما نضعه أو يضعه غيرنا من الفصيح ويقضى على الأسماء الأعجمية ويجب على كل حال أن نذكر الخطوات الناجحة التي خطوناها منذ خمسين سنة لاحلال الفصحى محل العامية المتلونة كل عهد بلون .

لا جرم أننا مقصرون في الدعاية لما نضع من الألفاظ ومن هذا التقاعس ما يمكن تلافيه ومنه ما دعت اليه أسباب قاهرة . فقد حالت الحرب دون نشر مجلتنا وهي أداتنا الوحيدة في الاعلان عن بضاعتنا فما طبقت قاعدتنا في نشر الألفاظ التي نحاول احياءها أو اشتقاقها من أصولها . وقاعدتنا هذه الا تصبح اللفظة الجديدة معمولاً بها الا اذا أتى على نشرها في المجلة حول كامل ولم يرد اعتراض عليها . ولذلك يكون يوم عودة مجلة المجمع الى الصدور من الأعياد السعيدة وعساه يطرد ارسالها هذه المرة الى القاصية والدانية تتناولها أيدي عشاق العربية في الآفاق . فنحن في حاجة لدعاية واسعة النطاق لما نحييه من المفردات ونقرره من القواعد لتسهيل اللغة . نحتاج الى نشر ما نضع في الصحف

والمجلات وفي نشرات ورسائل ترسل لمن ينتفع بها بالمجان في أوقات معينة لا تخل بها واذا استطعنا أن تقنع الحكومات بمعاونتنا في هذا الشأن يزيد ما نريد نشره في الناس انتشاراً كثيراً فبقليل من العناية يمكن الاستغناء عن مئات من الاسماء الأعجمية وذلك بأن تصح عزيمة الحكومات على حمل الفنادق والمقاهي والحانات مثلاً على استعمال ألفاظ عربية فتحظر على أربابها استعمال الألفاظ الافرنجية بتاتاً وما أظن ما نسمعه كل يوم في المقاهي مثل « اوناسكيتو » و « اونافاريليكي » و « اونامتريو » الى غير ذلك من الأسماء يرضى الناطقون به أن ينادي مناد بالعربية في مقاهي بلادهم وحاناتها وفنادقها هذا ونحن نرى القهاوي البلدية تنادي على هذه المشروبات بألفاظ عربية منتقاة جميلة تسمع نموذجات منها في مقاهي سيدنا الحسين وغيرها من مقاصف الأحياء .

ولو أن حكومة مصر عاونت هذا المجمع على بث الصحيح لما انقضت سنة الا وأكثر الألفاظ الأعجمية تختلي من الميدان ويطويها النسيان فلا يعثر عليها إلا في معاجم لغاتها وتحل محلها الألفاظ العربية في قطر هو عربي خالص منذ ثلاثة عشر قرناً .

أما أن نترك ما تعبنا في وضعه للطبيعة تنشره أو تغمره فنطبع من مجلتنا بضعة ألوف ونوزع منها مئات ونخزن الباقي في المستودعات يأكلها الفأر ويسودها الغبار فهذا تقصير أخشى أن يكون داخلاً في نقص القادرين على التمام .

أما ولم يبق أمامنا الآن عائق يعوقنا عن إتمام عملنا فواجبنا أن ننشط وندخل بعض التعديل في أساليبنا والزمن يدعونا الى ذلك فقد كان ابن القرن الماضي يكتفي بحفظ ألفين أو ثلاثة آلاف كلة يقلبها في وجوه استعمالاته وابن هذا العصر يحتاج الى استظهار ألوف من الألفاظ ما كانت تخطر ببال أبناء الأجيال السالفة فالمصلحة اذاً في نشر أكبر عدد ممكن من ألفاظنا المعربة والموضوعة واخراجها في معجم صغير يكبر مع الزمن ثم يجعل منه ما يفي بحاجة المبتدئ والمتوسط والمنتهي .

يشتد عوز الأمة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبريء نفسي من تهمة أدبية همس بعضهم بها وهي أني كنت في جملة الرافضين نشر معجم رصيفنا العلامة شيفر أنا لم أرتكب هذا الجرم وانما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو « اللوكس » ونحن نتطال أولاً الى البسيط العادي وانني أفضل تقديم الأهم على المهم والأهم نشر معجم المجمع الذي طال الوعد باصداره واني لا قصد لي الا قصدكم وما حدت ولن أحيد عن خطتكم والمصلحة في الاسراع بعرض أعمالنا على العالم والزمن لا يحتمل التسويف اوعصرنا عصر السرعة والمفاجآت . وعملنا لا يكلله النجاح الا بالدعاية بكل أساليبها على ما تجري عليه كل دعاية سياسية ودينية والله الهادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

محمد كرد علي

الفريونة

١ً — توطئة

هذه كلمة غريبة الصيغة ، حلوة على السمع . وتلفظ Freywinneh أي بضم الفاء (والعامة تسكنها) وفتح الراء فتحًا بإمالة قصيرة ، واسكان الياء المثناة التحتية ، وكسر الواو ، وتشديد النون المفتوحة ، وفي الآخر هاء ، غير صميم .

هي اسم نبات مبثوث في أراضي الموصل ، والهضاب التي حواليها ، ولم يتمكن احد من معرفته بالتمام والضبط ، إلا واحد من علمائنا الأعلام ، هو الطبيب النطاسي ، الدكتور داود الچلبي ، الموصلي الولادة والنشأة .

٢ً — أصل هذه الكلمة

سألت كثيرين عن أصل هذه الكلمة ، ومن أي لغة وردت علينا ، فلم يتمكن احد من معرفتها . وسألت جماعة من الفضلاء والبصراء باللغات السامية واليافثية والحامية ، فلم يستطع أحد ان يجيبني عنها الا الدكتور الچلبي وحده — فله الفضل العظيم على كل من يتلقاها عنه ، في هذا المقال . قال حرسه الله ما هذا نصه بحروفه ، وذلك بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٤٥ :

(الفريونة) : نبات ذو بصلة ، يزهر زهراً احمر وردياً جميلاً ، بصلته ذات طاقات حلوة ، تؤكل . خارجها قشر احمر ، كقشر البصل العادي ، يليه طبقة من ألياف دقيقة ، ناعمة ، حريرية ، كأنها شعر فَرْوة ، ومن هناك اسمها عند أهل الموصل .

« صغروا (فروة) ، فقالوا (فُرَيْوة[1]) وكسعوها بألف ونون للنسب ، بدل الياء بعد حرف الهاء ، فصارت : (فُرَيْوان) وهذه النسبة مستعملة بكثرة ، عند الأعراب[2] فيقولون لمن وُلد في ارض يكثر فيها الشيح : (شيحان) . واعرف اعرابياً اسمه (نديان) ، سألته لماذا سموك بهذا الاسم ؟ — فقال : لأن صبيحة الليلة التي ولدت فيها اصبحت الأرض قد عمها (الندى) ؛ ثم ألحقوا بفريوان ، تاء[3] التأنيث ، فصارت (فريوانة) ولكنهم يحرفونها فيلفظونها : (فريونة) [بتشديد النون في مكان حذف الألف][4] » .

ثم قال حضرة الدكتور : « لا شك في كون هذا النبات من الفصيلة الزنبقية Liliacées ؛ لكني لم أهتد لاسمه العلمي ، لأني لم اجد في الكتب التي لديّ ، من وصفها وصفاً واضحاً ، وذكر فروتها ، وانها تؤكل .

« ظننتُ أولاً ان Muscari comosum ينطبق عليها ؛ غير اني وجدت اني كتبت في بعض قيوداتي : ان هذا بصل القيء فعدلت عنه .

(١) قال الأب أنستاس ماري الكرملي : صحّحوا الواو ، وان جاء قبلها ياء ساكنة ، حرصاً على سلامة اللفظ الأصلي كما صححوها في تصغير أسود . فقالوا : أسيود . وفي تصغير حُلوة ، فقالوا : حُليوة . (٢) مثل هذه النسبة الغريبة معروفة عند الأقدمين ، ولم يذكرها النحاة ، ولا أرباب القواعد العربية . فقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة عبادان : « وأما إلحاق الألف والنون ، فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها : إنهم اذا سموا موضعاً ، أو نسبوه الى رجل ، أو صنعة ، يزيدون في آخره ألفاً ونوناً ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد اليان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان » انتهى كلام ياقوت . (٣) انما أتوها اشارة الى الزهرة كأنهم قالوا : الزهرة أو النبتة ذات الفروة ، لأن هذه الفروة لا تظهر إلا من بعد أن تزهر البصلة .

(٤) ومثل هذا الحذف والتعويض عنه بشد الحرف الذي يتلوه ، قولهم في انجاص : إجاص . وفي انجار : إجار ، وفي خرنوب : خرّوب ، وفي ذرنوح : ذرّوح ، وفي انجانة : إجانة ، إلى ما لا يحصى ذكره لكثرة وروده في لسانهم .

« وأكثر ظني ان (الفربونة) هي التي وردت في قاموس شرف باسم (قُطّان) لكن لا أجزم به ، لأن الدكتور شرف ، لم يتعرض لوصفه ؛ وكذلك احمد عيسى في معجمه . ولم اجد هذا الاسم في سائر الكتب » انتهى كلام صديقنا الدكتور العلامة .

قال الأب أنستاس ماري الكرملي : ان رأي الدكتور الجلبي الأول أي ان الفربونة هي Muscari comosum هو الصواب ، وأما قوله انه بصل القيء فمبني على معجم احمد عيسى ، فانه ذكر (للمسكاري كوموزوم) عدة مترادفات هي : « بصل الزيز » [أي بزابين] — حلحل ج : حلاحل ، بصل القيء — بصل بري — بصل المسك — بصيل — الزيز [بزابين] (عربية) — زوزا (سريانية) — مدّاد أقرع — ثومة الرعيان — بصل فرق — بصيلة (سوريا) انتهى .

وفي هذا كله من الخلط والخبط ، ما لا يحتاج الى تفنيد ، لظهوره لكل ذي عينين . اما ان (مسكاري كوموزم) وهو Muscari comosum هي الفربونة نفسها [1] فلا ينكر البتة ؛ لأن الكلمة العلمية اللاتينية تعني الحلحل الأشعر او الشعر (ككتف) ، لا الحلحل الأزبّ (بتشديد الباء) كما قال الأمير مصطفى الشهابي [2] ، لأن الأزبّ معناه الكثير شعر الوجه أما Comosum فمعناه الشعر او الأشعر ، اي الكثير الشعر ، ومعناه أيضاً المجمم اي ذو الجمة وهي مجتمع شعر الرأس . وقد ذكر الدكتور الجلبي ان (الفربونة) معناها ذات الفروة ، والمراد بالفروة هنا جلدة الرأس بشعرها ، لأن على رأس زهرتها ما يشبه الشعر او الفروة المذكورة .

---

(١) جاءت صورة الفربونة ، أي الحلحل الأشعر في معجم لاروس الوسيط بحيث لا يشك الناظر اليها شكاً دقيقة واحدة . والذي رآها مزهرة في نواحي الموصل ، قال : كأن المؤلف نقلها عما شاهده في ديارنا العراقية . فهي تُرى بكثرة في فصل الربيع .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية — تأليف الأمير مصطفى الشهابي . مطبعة الجمهورية السورية سنة ١٩٤٣ . صفحة ٤٣٥ سطر ٨

وزد على ذلك انهـا تؤكل ، ومما يثبت هذه الحقيقة ، كلام معجم لاروس الوسيط ، الفرنسي العبارة ، إذ قال ما ننقله الى لغتنا .

« الفريونة وبلغة العلم Muscari comosum وبالفرنسية Muscari chevelu وهو ايضاً الحلحل الأشعر او الشعر (ككتف) ، هو ما يسميه عوام فرنسة Viciet وما معناه الثوم المجمَّم ، ثم الحلحل المسكّ M. Racemosum معروفان في فرنسة ويرغب الناس في ان يكونا في جنائنهم للزينة ، ولا سيما ان بعض ضروبها تجهض فيها الأسدية في جميع ازهار النبت الواحد ، فتجيء عناقيدها شعرة جميلة جداً . وبصل هذه الانبتة تؤكل لأنها نافعة لدفع التشنج » انتهى تعريباً

٣ — الخلاصة

حلّ لنا الدكتور داود الچلبي اعظم مشكل من مشاكل نبات العراق . فقد حاول كثيرون معرفة ما يقابل عند الافرنج لكلمة (الفريونة) المشهورة على لسان كل صبيّ موصلي ، فلم يهتدوا اليها واما الدكتور الچلبي فقد أفادنا بأنها المسماة بلسان العلماء Muscari comosum وباللغة الفرنسية Muscari chevelu فنشكره على ما عاناه من النصب ، اذ نفى ثلاثة ايام بلياليها — على ما كتبه الينا حضرته — وهذا ما يعترف بفضله كل اديب ، عربياً كان أو غربياً .

الاب أنستاس ماري الكرملي

تعقيب

أطلقت في معجم الألفاظ الزراعية على جنس النبات المسمى Muscari كلمتي حلحل وبصل الزيز . وذكرت في الشرح ان هاتين الكلمتين وردتا في مفردات ابن البيطار ، وانني لم اجدهما في الأمهات من كتب اللغة . ووضعت أمام النوع المسمى بالفرنسية M. chevelu وبلسان العلم M. comosum كلمة حلحل أزَبّ ، أي انني ترجمت Chevelu بأزب ، فاذا بالأب إنستاس ماري الكرملي ينكر

عليَّ هذه الترجمة في مقال له في هذا العدد من المجلة عنوانه « الفربونة »[1] مدعياً أن الأزب معناه الكثير شعر الوجه ، وان الترجمة الصحيحة هي الأشعر والشَّعِر .

قلت لقد وهم الأب المحترم في حصره معنى الأزب بالكثير شعر الوجه . ولو راجع المعاجم لوجد في التاج مثلاً ان الزَّبَب في الناس كثرة الشعر وطوله ، وفي الابل كثرة شعر الوجه والعثنون ، وان الزبب مصدر الأزب وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين ، وانه يقال امرأة زباء اي كثيرة شعر الحاجبين والذراعين واليدين ، وأذن زباء كثيرة الشعر ، ومن المجاز داهية زباء كما قالوا شعراء الخ ... ولو راجع الأساس لوجد ان الزبب تطلق على كثرة الشعر في الجسد ، وانه من المجاز قولهم « عام أزب أي خصيب » قلت ومن بدائه الامور ان هذا الاستعمال مرده الى وفرة الكلأ في العام الخصيب .

ويتضح من ذلك ان الأزب تطلق على الكثير الشعر أياً كان ، وانها تستعمل مجازاً ، وان استعمالها ترجمة لكلمة Chevelu أمر لا غبار عليه ، وانه لا يجوز قصر معاني الألفاظ على الأمثلة التي ترد في المعاجم ، وذكر هذه الأمثلة فيها لا يفيد الحصر وهو شيء معروف . ولهذا استعملت في معجمي الأزب والأشعر والشَّعِر والوَبِر للانسان والحيوان والنبات على السواء

مصطفى الشهابي

ملاحظات لغوية

نشر الأب أنستاس ماري الكرملي في الجزء الحادي عشر من المجلد العشرين من هذه المجلة مقالاً بعنوان « الكلم العربية في اللغى الغربية » ردَّ فيه بعض الكلمات الفرنسية الى أصول عربية .

وقد راجعت عدداً من المعاجم الباحثة عن أصول الكلم الفرنسية ، ومنها معجم أسكار بلوخ Oscar Bloch المطبوع سنة ١٩٣٢ في باريس[2]

(١) الفربونة كلمة عامية تطلق في بعض أنحاء العراق على أحد النباتات .

(٢) اسمه Dictionnaire étymologique de la langue française وهو في مجلدين لا يشتملان الا على أصول الكلم وتواريخها . والذي يدقق في الفاظ هذا المعجم وينعم النظر في المراجع القديمة والحديثة التي نقل المؤلف عنها يجزم أنه ثقة في أبحاثه .

فألفيتها تذكر ان بعض الكلمات التي حاول الأب المحترم ردّها الى أصول عربية هي من أصول أخرى . وهاكم بعض هذه الكلمات :

Acheter — لم يرد في أي معجم من المعاجم القديمة او الحديثة ان هذا المصدر الفرنسي يمت الى «اشترى» العربية بصلة ، خلافاً لما ذهب اليه الأب المحترم ، بل رجحوا انه من أصل لاتيني ، وفي معجم بلوخ الذي أشرت اليه نحو نصف صفحة عن أصل هذا اللفظ وعن تحويره بالاستعمال على كر السنين . وليس من المعقول ان يحتاج الفرنسيون الى استعارة مثل هذا اللفظ من العرب وان يستعملوه مئات من السنين دون ان يذكر أحد من علماء اللغة عندهم شيئاً عن صلته بالكلمة العربية .

Agréer — ليست هذه اللفظة من أغرى يغري ، خلافاً لرأي الأب أنستاس ، بل هي وأشباهها مشتقة من gré وهذه من اللاتينية Grâtum ، وهذه الأخيرة من النعت Grâtus بمعنى Agréable وكل ذلك منذ القرون الوسطى .

Agrafe — ليست من العقرب العربية بل من فعل قديم هو Grafer ومعناه تثبيت الشيء بعقافة وهذا الفعل من Grafe بمعنى العقافة . والاسم الأعجمي الأخير من أصل ألماني قديم هو Grâpfo على ما رجحوه .

Aine — من اللاتينية العامية Inguinem لا من العانة العربية وهي باللاتينية Inguen ولها اسماء مشابهة لهذا الاسم في الايطالية والاسبانية والبروفنسية القديمة .

Aigle — من البروفنسية القديمة Aigla أو من اللاتينية Aquila. ولا دليل على انها من العاقلة العربية .

Alezan — تطلق هذه الكلمة الفرنسية على الفرس الأشقر ، لا على الكميت ، خلافاً لما ذهب اليه الأب انستاس . والكميت بالفرنسية Bai. (أنظر الفرق بين الأشقر والكميت في مادة Robes من معجم الألفاظ الزراعية) .

وكلمة Alezan مستعارة من الإسبانية Alazan وهذه من أصل مجهول . ولم يقم دليل علمي على كونها من الحصان العربية . ولكن ردّها الى الحصان محتمل لاختلاط الاسبانيين بالعرب قروناً في الأندلس .

م . ش

زوج Sexe

يترجم أغلب المؤلفين العرب كلمة sexe بجنس ، حال كون الجنس يقابل genre المأخوذة من genos اليونانية · وجنس ايضاً محرفة من genos · ويستحب في الاصطلاحات العلمية ان يكون للكلمة الواحدة مدلول واحد · فعلينا ان تقابل genre بجنس ونجد لكلمة sexe كلمة اخرى وإن استعمل كثير من المؤلفين كلمة جنس لإفادة معنى سكس كصاحب بحر الجواهر فانه قال (الجنس كلّيٌّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو ، هذا في اصطلاح للنطقيين · واما عند الأطباء فيراد به معناه اللغوي كما يقال جنس الذكورة والأنوثة ، فان الجنس في اللغة ما يعم كثيرين ولا يشترط فيه اختلاف الحقائق، ولا شك ان الذكورة والأنوثة كذلك)·

اراد الدكتور محمد شرف في معجمه ان يستبدل كلمة شقة بجنس فقال : SEX (جنس) — شقة (ج شقائق) « انما النساء شقائق الرجال » وقد عربها المحدثون بكلمة جنس والحال ان الجنس يقابله Genus بالفرنجية ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس · اه · اقول نعم يجب التمييز لأمن اللبس · ولكن الشقائق الواردة في الحديث الشريف ليست جمع شقة بل جمع شقيقة مؤنث شقيق بمعنى الأخ ، وجمع شقة شقق وليس شقائق ، وشقة لا تفيد معنى سكس · ثم ان الدكتور خالف نفسه بعد قليل فاستعمل ما أنكره فقال ارتكاس جنسي وانتخاب جنسي وتنقية جنسية الخ ·

ان الكلمة العربية الصحيحة المقابلة لكلمة sexe هي الزوج · فلقد وجدت كلمة زوج اتت بهذا المعنى في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، اليكها :

(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ···) سورة فاطر، آية ١١ ·

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) يس ٢٦

(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً يذرؤكم فيه ···) الشورى ١١ ·

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى ٤٩ و ٥٠

« قال ابو منصور اراد بالتزويج التصنيف ، والزوج الصنف ، والذكر صنف والأنثى صنف . التاج مادة زوج » .

(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) . الذاريات ٤٩ . « وفسروا الزوجين بالذكر والأنثى » .

(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . النجم ٤٥ .

(أيحسب الانسان ان يترك سدى . ألم يك نطفةً من مني يمنى . ثم كان علقةً فخلق فسوّى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) القيامة ٣٦ — ٣٩ .

(وخلقناكم ازواجاً) . النبأ ٨ .

فهذه الآيات الكريمة لا تدع محلاً للشك في ان سكس يقابله الزوج بالعربية . ولم تفت هذه الحقيقه مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد وضع كلمة زوج مقابل SEX في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرّها . ولكنه لما علم ان كثيراً من المؤلفين استعملوا كلمة جنس في هذا المعنى شفعوا كلمة زوج بكلمة جنس (ص ١٩) . وليتهم اقتصروا على كلمة زوج وخصصوا كلمة جنس بـ genus .

(الموصل) **الدكتور داود الجلبي**

التنبيه والتوجيه

اني كاتب هذه المقالة وناشرها قصداً مني الى التحقيق ورغبةً في التنبيه والتوجيه ، ولطالما تمنيت ان أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيمة غير متلبث ولا متمكث لأوفر على نفسي راحتها ولأستجمّ قلبي بشيء من القناعة والعزوف عن البحث والتحرّي اللذين لم يجبا عليّ ولا وُكلا إليّ ، فلم أحلَ من ذلك التمني بطائل ، ولا أعفيتُ المجلة من التعاليق والاستدراك ، فعلى الله تعالى أتوكل ، واليه أبتهل فأقول بعد التمثل بقول الراجز « لا بُدّ مما ليس منه بد » هذه الملحوظات الضرورية موجزاً فيها :

١ — جاء في ص ١٥ من المجلد الثامن عشر من المجلة « ولنا . . . ما يكفل إعادة

النظر » . ويكفل من الكفالة تتعدّى بالباء لا بنفسه وفي أساس البلاغة « وهو كفيل بنفسه وبماله وكفل عنه لغريمه بالمال وتكفّل به » فالصواب ما يكفل باعادة النظر ، اما للانسان فيقال « يكفله » .

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

حول (القنبلة)

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢ ج ٧ — ٨ و ٩ — ١٠) ما جادت به قريحة الأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر المغربي عن نشأة (القنبلة) وتكونها فدفعني حب الاستطلاع والتحقيق ان ارجع الى ما بين يديّ من المعاجم التركية فتبين لي ان اصل (القنبلة) فارسي وهي محرفة عن (خمبرة) .

جاء في مادة (خمبرة) في (رسملي قاموس عثماني) لصاحبه علي سيدي المطبوع في الآستانة سنة ١٣٢٤ رومية : (خمبرة) فارسية معناها (كُلّه) مجوفة . و (كلّه) تركية تطلق على مرمى المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس اﻫ . أما (خمبرة) فمركبة من (خُم) اي (حُقّ) دن خمر ؛ و (پاره) اي قطعة . والأتراك اخذوها عن الفارسية وهم يلفظونها (قومباره) ولا يزالون الى يومنا هذا يطلقونها على (حُق) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (متليك) او قرش مثلاً ، يجمع (يصمّد) فيه أولادهم ما يأخذونه من آبائهم او اقاربهم من النقود - و (الحُقّ) الصغير هذا كروي يشبه القنبلة الصغيرة وتسميه العامة في الشام (مَطْمُورة) وفي الكتب المدرسية (حصّالة النقود) .

وفي كتب التاريخ التركي ترد كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومباره) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره جي) اي ملقي القنابل او صاحب القنابل الخ .

فاذا لفظوها (هومباره) ارادوا بها القنبلة الحقيقية واذا لفظوها (قومباره) بالقاف ارادوا بها ذلك (الحُقّ) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

الصفحة

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الحادي والعشرون

١٩٣ من عمل المجمعيين . . . للأستاذ محمد كرد علي .
٢٠٥ ابو الهذيل العلاف (٢) . . . للدكتور جميل صليبا .
٢١٨ اقرب الموارد (٢) . . . للأستاذ احمد رضا . .
٢٢٧ الملك الظاهر بيبرس (٣) . . . « عبد القادر المغربي .
٢٣٦ ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون (٢) للدكتور اسعد طلس .
٢٤٨ تاج الدين الكندي . . . للأستاذ محمد احمد دهمان .

(مخطوطات ومطبوعات)

٢٥٦ شروح سقط الزند (قسمها الأول) للأستاذ عبد القادر المغربي .
٢٥٨ من وحي المرأة . . . . « محمد البزم . .
٢٦٢ منبعا الأخلاق والدين . . . للدكتور جميل صليبا . .
٢٦٤ معطيات الوجدان البديهية . . « « « . .
٢٦٥ مركب النقص . . . . « « « . .
٢٦٨ موجز الطب الجراحي . . . « مرشد خاطر . .
٢٧٠ فن التوليد . . . . « « « . .
٢٧١ دمشق القديمة . . . . للأمير جعفر الحسني .
٢٧٢ بيمارستان نور الدين . . . « « « . .
٢٧٢ سومر . . . . . « « « . .

(آراء وأنباء)

٢٧٣ الحكومة المصرية تتبرع بألفي جنيه لمكتبة المعري . . . .
٢٧٤ الاستعمال محكم . . . . للأستاذ محمد كرد علي .
٢٧٩ الفريونة . . . . . للأب أنستاس ماري الكرملي
٢٨٢ تعقيب . . . . . للأمير مصطفى الشهابي .
٢٨٣ ملاحظات لغوية . . . . « « « .
٢٨٥ زوج Sexe . . . . للدكتور داود الچلبي .
٢٨٦ التنبيه والتوجيه . . . . « مصطفى جواد .
٢٨٧ حول القنبلة . . . . « محمد صلاح الدين الكواكبي .


Bibliotheca Alexandrina
0652758